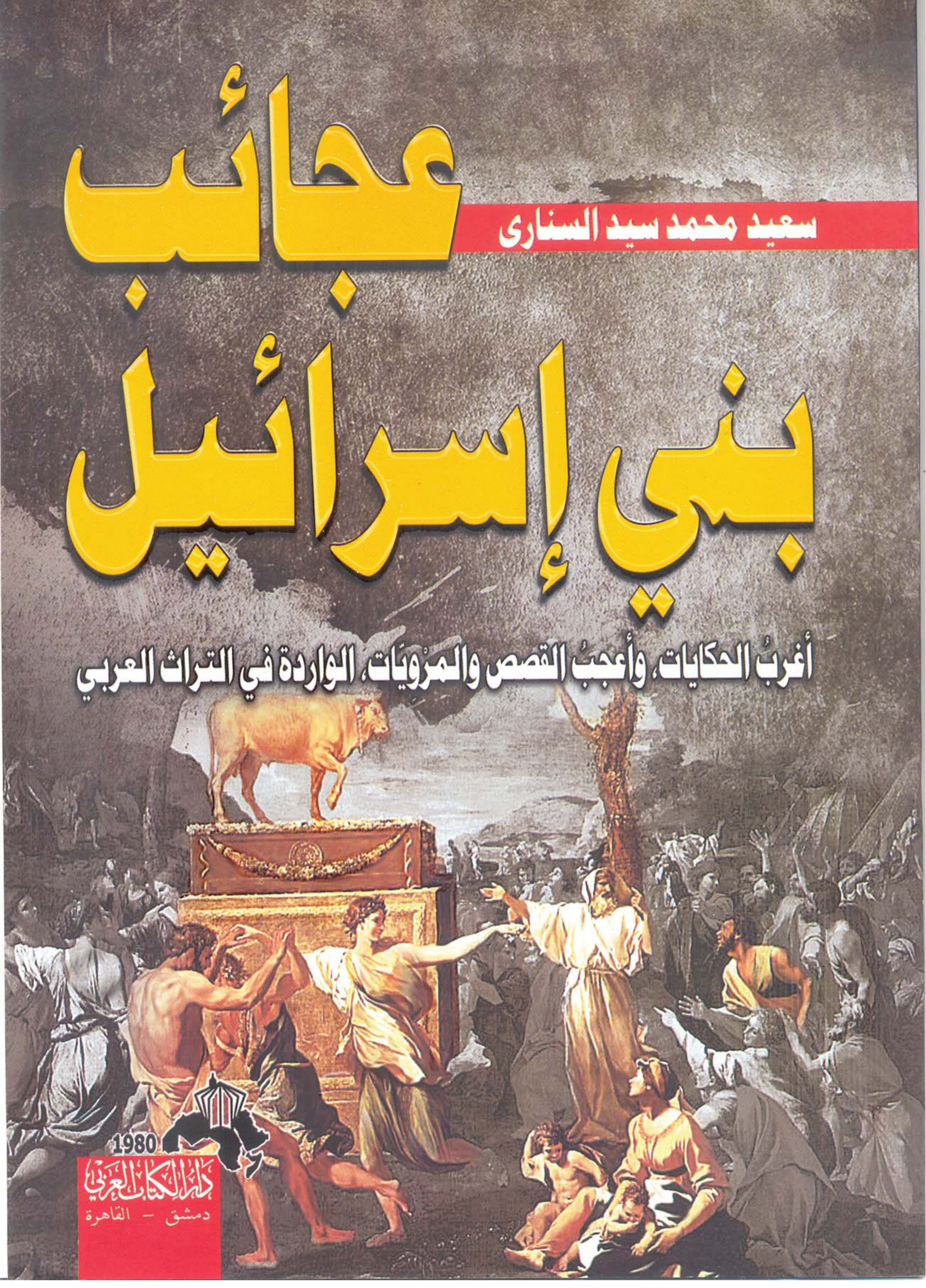

عجائب
بني إسرائيل
سعيد محمد سيد السنارى
أغربُ الحكايات، وأعجبُ القصص والمرْوِيّات، الواردة في التراث العربي
1980
دار الكتاب العربي
دمشق - القاهرة

عَجَائِبُ بَنِي إسرائيلَ

أغربُ الحكاياتِ وأعجبُ القصَصِ والمرويّاتِ

الواردةِ في التراثِ العربيِّ

جَمَعَ نصوص وعَلق عليه

أبو المظفرِ سعيدُ بنُ مُحَمدِ السّناريُّ

الناشر

دار الكتاب العربي

دمشق - القاهرة



إهـــداء

إلى صديقنا الكريم الوفيِّ: د/ مصطفى محمد عبد الحميد.

مَتَّعَه الله في دُنياه بالرِّضا والسعادة، وختَمَ له في آخرته بالحُسنَى وزِيادة.

وإلى أخينا الفاضل المحترم: أبي عبد الرحمن عمر علي إسماعيل.

أجزَل الله له العطاء، ووهبه من نَعمائِه ما يُحبُّ ويشاء.

وإلى صاحبنا النابه الباحث: أبي رُمَيْسَاء صلاح محمد فتحي.

أنهض الله عزيمته إلى كل معرفة ورُشد،

وساقَ أقدامَ مساعيه إلى كلِّ تأييدٍ وسَعد.

وإلى الباحثين عمَّا يعود عليهم بالمعرفة والفَهم،

والناشدين ما يرْجعُ إليهم بالدِّرَاية والعِلْم.

أهدي هذا الكتاب ،،،

السائر العاثر

أبو المُظفَّر السِّناري

سأصبر حتى يعجز الصبر عن صبري

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله كما يحب أن يُحْمَد، والصلاة والسلام على النبي محمد، وبعد:

فهذا الكتاب يَحْمِل بين طَيَّاته مجموعة حسنة مختارة مما انتهى إلينا من غرائب الحكايات، وعجائب المَرْوِيَّات، المأثورة عن أخبار بني إسرائيل.

وقد كان يقع لي في غضون مطالعاتي جملة من تلك القصص المثيرة التي وقعت في عصور أنبياء بني إسرائيل، حيث كانت العجائب منتشرة، والغرائب متواترة.

فرأيتُ جَمْعَها في كتاب، بعد أن انتخبتُ منها ما راق لي، واصطفيْتُ من بدائعها ما يَسُرُّ الناظرين إن شاء الله.

وكان عملنا في هذا الكتاب على النحْو التالي:

مقدمة الكتاب :

وفيها نذكر التعريف ببني إسرائيل، ومراحل تطوُّرهم الثقافي والديني، وعصورهم المختلفة. وأهم الكتب السماوية وغيرها المتداولة بينهم.

ثم نتطرَّق إلى أقسام الإسرائيليات، وحُكْم النقْل من كتب بني إسرائيل أو الرواية عنهم.

ثم نذكر الفوائد من تلك القَصص القديمة، والدروس المستفادة من نشْرها بين الناس قديمًا وحديثًا.

مادة الكتاب:

وفيه نذكر ما تيسَّر لنا من عجائب الحكايات المنقولة عن بني إسرائيل. مع توثيقها وتهذيبها وتوضيحها بأسلوب عصري يناسب مختلف أنْماط القُرَّاء. ثم نتعقب أكثرها بذكر الفوائد المستفادة منها، والدروس التي تعود بالنفْع على قارئها.

وأنا سائلٌ اللهَ تعالى أن يتقبل منا سائر الأعمال بقبول حَسَن، وأن يُنْبِتَها لنا في غَرْسِ فضْلِه الواسع المُسْتَحْسَن. وأنْ لا يجعل أجْرَنا على أحدٍ من العالمين سُواه، ولا يكون فلاحُنا معقودًا بيَمِين راحمٍ إلا إيَّاه.

آمِينَ آمِينَ لا أرْضَى بواحِدةٍ ... حتى أُكـرِّرَها أَلْفَيْنَ آمِينَا

وكتبه السائر العاثر

أبو المظفر سعيد بن محمد السناري

saidoaed@yahoo.com

تعريف الإسرائيليات
وفوائد التحديث عنها

الإسرائيليات:

الإسرائيليات: هي جَمْعٌ مفرَدُه إسرائيلية، نسبةً إلى بني إسرائيل، والنسبة في هذا المُرَكَّب - بني إسرائيل - الإضافي النسبة فيه للعَجُز لا للصدْر، [يعني: للجزء الثاني من الكلمة] فنقول: إسرائيلي، وقصة إسرائيلية، خبر إسرائيلي، وقصة إسرائيلية، أو حادثة إسرائيلية.

ما معنى إسرائيلية؟

هي القصة أو الحادثة، تُرْوَى عن مصدر إسرائيلي، وكلمة إسرائيلي نسبة إلى بني إسرائيل أو إلى أبيهم الأول؛ لأن بني إسرائيل هم بنو سيدنا يعقوب - عليه السلام -.

فلفظ إسرائيليات - كما يقول الدكتور محمد الذهبي - وإن كان يدل على القصص الذي يُرْوَى أصلًا عن مصادر يهودية، يستعمله علماء التفسير والحديث على ما هو أوسع وأشمل من القصص اليهودي، فهو يُطْلَق على التفسير والحديث من أساطير قديمة منسوبة إلى مصدر يهودي أو نصراني.

إذًا: كلمة إسرائيليات ليست قاصرةً على المنسوب لليهود، إنما الكلمة تشمل ما نُسِبَ إلى اليهود أو إلى النصارى، بل توسَّع العلماء، فعدوا من الإسرائيليات ما دَسَّه أعداء الإسلام من اليهود وغيرهم على التفسير وعلى الحديث، ومِنْ أخبار لا أصلَ لها في مصدر قديم، قالوا عنْها جميعًا: إنها إسرائيليات.

وأطلق علماء التفسير والحديث لفظ إسرائيليات على كل ذلك من باب التغليب لِلَّوْن اليهود على غيرهم؛ وذلك لأن اليهود كانوا ساكنين في المدينة، واللقاءات التي كانت تتم بين العرب واليهود في رحلتي الشتاء إلى اليمن والصيف إلى الشام، وفي اليمن والشام كثير من أهل الكِتاب.

كما كانت لقاءات هناك كثيرة بين اليهود والنبي - ﷺ - وبين اليهود وبعض المسلمين، أما النصارى فكانت ثقافتهم تعتمد في الغالب على الإنجيل الذي أشار القرآن إلى أنه من الكتب السماوية في قوله: ﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ ﴾ (الحديد: 27).

وعلى كل حالٍ: الأناجيل يُطْلَق عليها وعلى ما انضم إليها من رسائل الرسل اسم «العهد الجديد» والكتاب المقدس عند النصارى يشمل: التوراة والإنجيل. يعني: يشمل العهد القديم والعهد الجديد، وهذا مما لا ينبغي أن نغفل عنه.

وعلى كل حال: فأثر الإسرائيليات هو الأكثر، فأُطلِقَ لفظ الإسرائيليات على كلام اليهود، وعلى كلام غيرهم.[1]

وإسرائيل هو: يعقوب عليه السلام، وبنو إسرائيل هم: أبناء يعقوب، ومن تناسلوا منهم فيما بعد، إلى عهد موسى ومن جاء بعده من الأنبياء، حتى عهد عيسى عليه السلام وحتى عهد نبينا محمد - ﷺ - .

الكتب الإسرائيلية

التوراة

أما التوراة المحرَّفة المُبدَّلَة، فهي بمعزِل عن كونها كلها هداية، وكونها نورًا، ولا سيما بعد نزول القرآن الكريم، الذي هو الشاهد والمهيمن على الكتب السماوية السابقة، فما وافقه فهو حق، وما خالفه فهو باطل.

الزَّبُور

ومن كتبهم أيضا: الزبور وهو كتاب داود عليه السلام، وأسفار الأنبياء، الذين جاءوا بعد موسى عليه وعليهم السلام، وتسمَّى التوراة وما اشتملت عليه من الأسفار الموسوية وغيرها بـــ: «العهد القديم».

---

(1) نقلا عن « الدخيل في التفسير» [ص/ 29 - 33]، رسالة ماجستير للشيخ محمد حسن عبد الغفار.

التلْمود

وكان لليهود بجانب التوراة المكتوبة «التلمود»، وهي التوراة الشفهية، وهو مجموعة قواعد ووصايا وشرائع دينية وأدبية، ومدنية وشروح، وتفاسير، وتعاليم، وروايات كانت تتناقل وتدرس شفهيًّا من حين إلى آخر ...

وهذه كلها كانت المنابع الأصلية للإسرائيليات التي زخرتْ بها بعض كتب التفسير، والتاريخ والقصص والمواعظ، وهذه المنابع إن كان فيها حق، ففيها باطل كثير، وإن كان فيها صدق، ففيها كذب صراح، وإن كان فيها سمين، ففيها غَثٌّ كثير، فمنْ ثَمَّ انجر ذلك إلى الإسرائيليات، وقد يتوسع بعض الباحثين في الإسرائيليات، فيجعلها شاملة لما كان من معارف اليهود.

وما كان من معارف النصارى التي تدور حول الأناجيل وشروحها، والرسل وسِيَرهم ونحو ذلك؛ وإنما سُمِّيَتْ إسرائيليات؛ لأن الغالب والكثير منها إنما هو من ثقافة بني إسرائيل، أو من كتبهم ومعارفهم، أو من أساطيرهم وأباطيلهم.[1]

من فوائد القَصَص

1- إن هذه القصص فيها نوعٌ من التربية عظيم، فإن التربية بالقصة من ألوان التربية المهمة، فإن الحادث المرتبط بالأسباب والنتائج تهفو لها الأسماع، فإذا تخلَّلَتْها مواطن العبرة في أخبار الماضي كان حب الاستطلاع لمعرفتها من أقوى العوامل على رسوخ عبرتها في النفس.

2- وكذلك نستفيد منها الإيمان بالرسل، فإننا وإن كنا نؤمن بجميعهم على وجه العموم والإجمال، لكن لما تأتي تفاصيل قصة بعض الأنبياء بالدقائق والأحداث، فإن ذلك يزيدنا إيمانًا بهم على إيمان.

3- وكذلك فإن في هذه القصص تقريرًا للإيمان بالله وتوحيده وإخلاص العمل له عز وجل.

---

(1) نقلا عن «الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير» [1/ 12 - 14] لمحمد أبو شهبة.

4- وكذلك فإن فيها عبرة للمؤمنين يقتدون بها في سائر المقامات، كالعبودية والدعوة والصبر والثبات والطمأنينة والسكون والصدق والإخلاص لله رب العالمين.

5- وكذلك فإن في هذه القصص التسلية عن المؤمنين فيما يلاقونه من أنواع التكذيب والاتهام الباطل من الكفار، وفيها إبراز أن الأنبياء كلهم جاءوا بشيءٍ واحد وهو التوحيد والإسلام وإن اختلفت شرائعهم [1].

قلت: وهناك فوائد أخرى كثيرة سيلتمس القارئ المزيد منها عند مطالعته قَصص هذا الكتاب إن شاء الله.

■ ■ ■

(1) نقلا عن « سلسلة القصص/ دروس صوتية» لفضيلة الشيخ: محمد صالح المنجد.

يا ربِّ أَرِني عدْلَك

رُوِيَ في «الإسرائيليات» أن موسى عليه السلام كان يُناجِي ربه عز وجل على جبل الطُّور فقال في مناجاته: إلَهي أرِني عدْلَك وإنصافك .

فقال له: أنت رجل حادٌّ جرِيء لا تقدر أن تصبر .

فقال: أقْدِر على الصبر بتوفيقك .

فقال: اذهب إلى عَيْن الماء التي بأرض كذا وكذا، واختفِ وراءها، وانظر إلى قُدْرتي وعِلْمِي بالغيوب .

فمضى موسى وصعد إلى تلٍّ بإزاء تلك العيْن، وقعد مُخْتفيًا، فوصل إلى العين فارس، فنزل عن فرسه وشرب من ماء العين، وأخرج من وسَطه كِيسًا فيه ألف دينار فوضعه إلى جانبه واستراح قليلا، ثم ركب ونَسِيَ الكيس في موضعه وسار.

فجاء صبي صغير فشرب من العين، ثم رأى الكيس بجانب العين، ففرح به وأخذه ومضى.

فجاء بعد الصبي شيخ أعمى فشرب من الماء وتوضأ ووقف يصلي، ثم قعد بجانب العين يستريح.

فبينما الفارس في طريقه فتذكَّر أنه ترك الكيس هناك عند عين الماء، فعاد من طريقه إلى العين فوجد الشيخ الأعمى جالسًا بجوار العين، فأقبل عليه وقال: إني نسيت كيسًا فيه ألف دينار في هذا الموضع هذه الساعة، وما جاء إلى هذا المكان أحد سواك، فأَخْرِجْ الكيس الآن!

فقال له الشيخ الأعمى: يا بنيَّ تعلم أني رجل أعمى كما ترى، فكيف أبصرتُ كيسك وأنا لا أبصر تحت قدمي؟!

فغضب الفارس من كلامه، وظنه يكذب عليه، وجذَب سيفه وقال: إما أن تُخْرِج الكيس وإلا فإني قاتِلُك!

فبكى الشيخ وأقسم له أنه لم يره أبدًا، وكيف يراه وهو ضرير لا يرى!

فلم يُصدِّق الفارس كلامه وضربه بالسيف فقتله، ثم قام بتفتيش ملابسه فلم يجد الكيس معه! فمضى وتركه.

وعند ذلك قال الله لموسى: هذا عدْلِي وإنصافي يا موسى.

فقال موسى: إلَهي وسيدي قد نفد صبري وأنت عادل حكيم، فعرِّفْني كيف هذه الأحوال؟

فهبط جبريل - عليه السلام - وقال: يا موسى الباري تعالى يقول لك: أنا عالم الأسرار أعلم ما لا تعلم.

أما الصبي الصغير الذي أخذ الكيس: فإنما أخذ حقه ومُلْكَه الذي كان له، وذلك أن أبا الصبي كان أجيرًا عند ذلك الفارس، فاستأْجَرَه ولم يعْطِه حقه، فأنْصَفْنا له بأنْ أعطينا حقه لولده.

وأما ذلك الأعمى: فإنه قبل أن يعْمَى كان قد قتل أبا ذلك الفارس، فقد اقتص الفارس لأبيه منه.

فأوصلْنا إلى كل ذي حقٍّ حقَّه، فهذا عدْلُنا وإنصافنا ونحن أحكم الحاكمين.

فلما علم موسى ذلك تحيَّر واستغفر.(1)

---

(1) نقلا - ببعض التصرُّف والإيضاح - عن «التِّبْر المسبوك في نصيحة الملوك» [ص/ 37 - 38] للإمام الغزالي.

قلت: وذكَر هذه القصة أيضًا: الإمام الصفوري في كتابه اللطيف: «نزهة المجالس ومنتخب النفائس» [2/ 300] ولكن في سياق مختصر.

من فوائد القصة:

قال الإمام الغزالي بعد أن ساق تلك القصة في كتابه: « **التِّبْر المسبوك في نصيحة الملوك** »:

«وهذه الحكاية أوردناها ليعلم العقلاء ويتصوَّر الألِبَّاء أن الله - جلَّ ذِكْرُه - لا يَخْفَى عليه شيء، وأنه يقْتصُّ من الظالم في الدنيا، ولكن نحن غافلون عما جاءنا، لا ندري من أين أتانا؟ ».

قلت: عجائب صنائع الله في خَلْقه لا تنتهي. سبحانه وتعالى. ولا إله غيره.

وينبغي للإنسان أن يقف عند قدره عندما تستعصى على عقله بعض أقدار الله تعالى، ولا يسعه إلا التسليم لله فيما قضاه وأمضاه.

■ ■ ■

إنَّ الذي أضحككَ هو الذي أبكاك

ورد في «**الإسرائيليات**» أنَّ الله عز وجل اطلع يومًا على «**ملك الموت**» فرآه جالسًا يضحك! ثم بعد ذلك جعل يبكي!

فسأله الله – وهو أعلم بحاله – ما الذي أضحكك وما الذي أبكاك؟

فقال ملك الموت: الذي أضحكني يا رب أنك أرسلتني مرة لأقبض روح رجل من الناس، فلما أتيته وجدته شيخًا كبيرًا طاعنًا في السِّنِّ، متوكئًا على عصاه، وهو جالس عند إسكافي (**وهو صانع ومُصْلِح الأحذية**) يطلب من الإسكافي أن يصنع له قاعدة قوية في أسفل نعْله كي تعيش معه سنة أو أكثر!

وعند ذلك لم أتمالك نفسي من الضحك على هذا الرجل الفاني؛ متعجبًا من شدة تمسُّكِه وحِرْصه وطول أمله بالعيش بعد هذا العمر المديد، ولم يعلم بأنه لم يتبق من عمره إلا لحظات!

فهذا هو الذي أضحكني يا ربي وخالقي.

وأما الذي أبكاني: فهو أنك أرسلتني بعد ذلك بسنين مديدة لأقبض روح امرأة من الناس، فلما أتيتها لأقبض روحها وجدتها وحيدة ضعيفة مع رضيع لها تُرْضِعه وهما في صحراء قاحلة ليس حولهما أحد! وليس أمامهما طعام ولا شراب!

وعندما رأيتُ حالها لم أتمالك نفسي فدمعتْ عيناي وبكيتُ من ذلك المشهد، رحمة وشفقة بذلك الرضيع، غير أني مأمور للمُضِيِّ لِمَا أرسلْتني من أجله، فقبَضْتُ روح تلك المرأة الضعيفة، ثم مضيْتُ وتركتُ ابنها الرضيع وحيدًا في تلك الصحراء القاحلة!

فهذا الذي أبكاني يا مولاي وخالقي.

فعند ذلك فأوحى الله إلى ملك الموت قائلًا: بعزَّتي وجلالي إنَّ الذي أبكاك هو الذي أضحكك.

فإن ذلك الشيخ الفاني الذي ضحْكتَ من شدة حِرْصِه وطول أمله على بقائه في الدنيا، هو نفسه ذلك الرضيع الذي بكيْتَ عليه عندما قبضتَ روح أمه في الصحراء وتركتَه وحيدًا!

سبحانك ربي ما أحكمك. سبحانك ربي ما أعدلك. سبحانك ربي ما أرحمك[1].

من فوائد القصة:

هذه الحكاية لم أجد لها مصدرًا أعتمد عليه، لكن معناها صحيح في الجملة. إذ فيها عناية الله عز وجل بخلْقِه، وكيف هو قائم على تدبير مصالحهم دون أن يشعر غيرهم بهم! وكيف رحمته بالضعفاء حتى يصيروا أقوياء! وبالصغار حتى يصبحوا أقوياء دون معين سواه وحده.

وفي الحكاية أيضًا: بيان أن الإنسان كلما طال عمره طال أمله في الحياة، وزاد حرصًا على البقاء فيها. وقد ثبت في «صحيح البخاري» [حديث رقم/ 6057]، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم - يقول: «**لا يزال قلْبُ الكبير شابًّا في اثنتين: في حب الدنيا، وطول الأمل**».

■ ■ ■

(1) قلت: سيأتي أن هذه الحكاية لم أجد لها مصدرًا أعتمد عليه. لكن معناها صحيح كما سبق.

قُمْ يا صاحب هذا القبر بإذن الله

ذكــر أهل التاريخ: « أن رجلًا من بني إسرائيل اسمه «إسحاق» في زمـن عيـسى ابن مريم عليهما السلام، كان له ابنة عَمٍّ من أجمل أهل زمانها، وكانـت زوجـا لـه وكـان مُغْرَمًا بها، فماتت، فلزم قبرها ومكث زمانًا لا يَفْتُرُ عن زيارته.

فمــرّ بـه عيسى يـومـا وهـو على قبرها يبكي، فقال له عيسى عليه السلام: ما يبكيـك يا إسحاق؟

فقال له: يا روح الله كانت لي ابنة عم وهي زوجتي، وكنت أُحبها حُبًّا شديدًا وإنها قد تُوفِّيَتْ، وهذا قبرها وإني لا أستطيع الصبر عنها وقد قتَلَني فراقُها.

فقال له عيسى: أتحب أنْ أُحييها لك بإذن الله؟

قال: نعم يا روح الله.

فوقف عيسى على القبر، وقال: قُمْ يا صاحب هذا القبر بـإذن الله، فانـشقَّ القـبر وخرج منه عبدٌ أسود، والنار خارجة من مناخِره وعينيه، ومنافذِ وجهه، وهو يقول:

لا إله إلَّا الله عيسى روح الله وكلِمَتُه وعبده ورسوله.

فقال إسحاق: يا روح الله وكلِمَته ما هذا القبر الذي فيه زوجتي، وإنـما هـو هـذا، وأشار إلى قبر آخر.

فقال عيسى للأسود: ارجعْ إلى ما كنتَ فيه، فسقط ميِّتًا، فوارَاه في قبره.

ثم وقف على القبر الآخر وقال: قُمْ يا ساكن هـذا القـبر بـإذن الله، فقامـت المـرأة وهى تنْفُضُ التراب عن وجهها.

فقال عيسى: هذه زوجتك؟

قال: نعم يا روح الله.

قال: خُذْ بيدها وانصرف.

فأَخَذَها ومضى، فأدركه النوم فقال لها: إنه قد قتلَني السَّهَر على قبْرِك، وأُريد أن آخذ لي راحة.

فقالت: افعل [ما تريد]، فوضع رأسه على فخذها ونام.

فبينما هو نائم إذ مرَّ عليها ابنُ المَلِك، وكان ذا حُسْن وجمال وهيئة عظيمة، راكبًا على جَوَاد حسَن، فلما رأته هَوِيَتْه، وقامت إليه مُسْرعة، فلما نظر إليها وقعتْ في قلْبه، فأتت إليه وقالت: خُذْني، فأرْدَفها على جوَادِه وسار.

فاستيقظ زوجها ونظر فلم يرَها، فقام يطلبها، وقصَّ أثَرَ الجوَاد فأدركهما، وقال لابن الملك: أعْطِني زوجتي وابنة عمي، فأنكرتْه وقالت: أنا جارية ابن الملك!

فقال: بل أنت زوجتي وابنة عمي.

فقالت: ما أعرفك! وما أنا إلا جارية ابن الملك!

فقال له ابن الملك: أفتُريد أن تُفْسِد جاريتي؟

فقال: والله إنها لزوجتي وإن عيسى ابن مريم أحياها لي بإذن الله، بعد أن كانت ميِّتة، فبينما هُمْ في المنازعة إذ مر عيسى - ﷺ - فقال إسحاق: يا روح الله أمَا هذه زوجتي التي أحييتَها لي بإذن الله؟

قال: نعم.

فقالت المرأة: يا روح الله إنه يكذِب وإني جارية ابن الملك. وقال ابن الملك: هذه جاريتي.

فقال عيسى لها: أَلَسْتِ التي أَحْيَيْتُكِ بإذن الله؟

قالت: لا والله يا روح الله!

قال: فَرُدِّي علينا ما أعطيناكِ؟ فسقطتْ مكانها ميتة من ساعتها!

فقال عيسى: مَنْ أراد أن ينظر إلى رجل أماته الله كافرًا ثم أحياه وأماته مسلمًا فلْينْظر إلى ذلك الأسود.

ومن أراد أن ينظر إلى امرأة أماتَها الله مؤمنة، ثم أحياها وأماتها كافرة، فلينْظر إلى هذه.

ثم إن إسحاق الإسرائيلي، عاهَد الله تعالى أنْ لا يتزوج أبدًا، وهامَ على وجهه في البَرَارِي و[الصَّحارِي] باكيًا». [1]

من فوائد القصة:

قال بعض العلماء بعد أن ساق تلك القصة: « وفي هذه الحكاية أعظم عبرة لأولي الألباب، وهي من أعجب ما يُسْمَع في التوفيق والخذْلان، نسأل الله تعالى السلامة، وحُسْنَ الخاتمة» [2]

■ ■ ■

(1) انظر: «حياة الحيوان الكبرى» للدميري [1/ 316 - 317/ الطبعة العلمية]. و« نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري» [14/ 179 - 180/ الطبعة العلمية].

(2) انظر: «حياة الحيوان الكبرى» [1/ 317]، للدميري

وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ

مما يُحْكَى من كَيْد النساء ومَكْرِهن: أنه كان في بني إسرائيل رجل من أعبد بني إسرائيل وأزهدهم، وكانت له مع الله معاملة حسنة، وكان له زوجة وكان ضَنِينًا بها، وكانت من أجمل أهل زمانها مُطْلَقًا، فهي مُفْرِطة في الجمال والحُسْن.

وكان هذا الرجل من خوفه على زوجته ومحبَّته لها يقفل عليها الباب، فبينما المرأة جالسة ذات يوم من نافذة بيتها نظرَتْ شابًّا واقفًا فأحبَّتْه ووقع في قلبها، وكذلك الشاب أحبَّها ووقع في هواها.

وسرعان ما خانت المرأة ربها[1] وأقامت علاقة محرمة مع ذلك الشاب الغريب!

وأمَرَتْه أن يعمل له مفتاحًا خاصًّا لباب دارها، فكان يدخل ويخرج ليلًا ونهارًا متى شاء، وزوجها المسكين لا يشعر بذلك، وظل الحال هكذا مدة من الزمان.

وفي يوم من الأيام شعر الزوج المخدوع أن امرأته قد تغيَّرَتْ نحوه، ولم تَعُدْ هي بالتي يعرفها!

فقال لها يوما: إنكِ قد تغيَّرْتِ عليَّ ولَمْ أعلم ما سبب ذلك، وقد جاءني الوسواس في قلبي أنكِ ربما تكونين تعملين عملا لا أُحِبُّه.

ثم قال لها: أشْتَهي منكِ أنْ تحْلِفي لي أنك لم تعرفي رجلًا غيري أبدًا.

وكان لبني إسرائيل جبل يقْسِمون عليه بالله ويتحاكمون عنده، وكان الجبل خارج

---

(1) اشتهر عبارة خاطئة بين الناس في هذا الزمان! حيث يقولون على المرأة التي تقع في الحرام مع غير زوجها: «إنها خانت زوجها»! وكذلك يقولون على الرجل الذي وقع في الحرام مع غير زوجته: «إنه خان زوجته»! وهذا كله خطأ في التعبير!

والصواب أن يقال عن الرجل الخائن: «خان ربه» وعن المرأة: «خانت ربها»، ولا علاقة هنا بالزوج أو الزوجة في أصل الخيانة، بدليل أن المراة التي ترتكب الحرام بموافقة زوجها لا يقال عنها: «خانت زوجها» وكذلك الرجل الذي يفعل الحرام بإذن امرأته لا يقال عنه: «خان زوجته»!

فالخيانة في الحقيقة: إنما هي لله الذي ائتمن الإنسان على جسمه وقوته وأعضائه فلم يُراعِ الأمانة وخانها حيث استخدمها في غير ما أمره الله به.

المدينة، وكان عنده نهر يَجْري، وكان لا يحلِف أحد عنده كاذبًا إلا أهلكه الله.

فقالت له زوجته: وهل يَطِيبُ قلبك ويطمئن إذا حلفتُ لك عند الجبل؟

قال: نعم.

قالت: متى شئتَ فعلتُ لك ذلك.

فلما خرج زوجها العابد لقضاء حاجته، دخل عليها الشاب العاشق، فأخبرتْه بما جرى لها مع زوجها، وأنها تريد أن تحلف له عند الجبل، وقالت له: إنني لا أستطيع أنْ أحلِف بالله كاذبة، ولا أدري ما سيُحَلِّفني عليه؟

فَبُهِتَ الشاب وتَحيَّر، وقال: فما تصنعين؟

فقالت له: ائْتِني غدًا في الصباح، ولكن عليك أن تلبس ثوب رجلٍ حَمَّال، وخُذْ حمارًا واجلس على باب المدينة، فإذا خرجتُ مع زوجي فسأقول له: إني لا أستطيع المشْيَ، فاسْتأْجِر لنا هذا الحَمَّال يحملنا إلى الجبل!

فإذا استأجرك زوجي فأسْرِعْ إليَّ واحملني بيديك وارفعني فوق الحمار، حتى أحلف لزوجي فوق الجبل - وأنا صادقة - أني ما مسَّني أحدٌ غيرك وغير هذا الرجل الحمَّال.

فقال لها الشاب: أفعل ذلك حُبًّا وَكرامة.

فلما جاء زوجها في الغد قال لها: قومي بنا إلى الجبل لتحْلِفي عليه.

فقالت له: ما لي طاقة بالمَشْي ولا أقدر عليه فإني مُجْهَدَة.

فقال: أُخْرِجي فإن وجدتِ حمَّالًا فإني أستأجرْه لكِ.

فقامت وتجهَّزتْ إلا أنها لم تلبس ملابس أخرى تحت جلبابها الظاهر، فلما خرج العابد وزوجته، رأتِ الشاب ينتظرها فصاحت به: يا حمَّال نريد أن نستأجرَ حمارك إلى الجبل بنصف درهم؟

قال: نعم، ثم تقدَّم ورفَعَها على الحمار.

فساروا حتى وصلوا إلى الجبل. فقالت للشاب: أنزلْني عن الحمار حتى أصعد على الجبل، فلما تقدم الشاب إليها ألْقَتْ بنفسها إلى الأرض، فانكشفتْ عورتها! فأظهرتْ لزوجها أن الحَمَّال هو الذي أسقطها! فجعلتْ تشْتِم الحَمَّال وتُسِيء إليه بالكلام، فقال لها الحَمَّال: والله ما لي ذنب.

ثم بعد ذلك أمَرَها زوجها أن تحلِف، فمدَّتْ يدها إلى حجَر في أعلى الجبل فأمسكته وحلفت لزوجها قائلة: أقسم لك بالله أنه لم يمْسَسْني أحد، ولا نظر إلى جسدي ظاهرًا وباطنًا إنسان منذ عرفتك، إلا أنت وهذا الشاب الحَمَّال!

فعندئذٍ اهتزَّ الجبل واضطرب اضطرابًا شديدًا حتى زال عن مكانه!

فاشتهرتْ القصة بين بني إسرائيل فأعظموا ذلك، واستغربوا لاهتزاز الجبل وزواله عن مكانه.

ثم شاء الله بعد ذلك أن يفضح كذب تلك الزوجة وعشيقها، ويُعْلِم الناس السببَ الحقيقي الذي جعل الجبل يزول عن مكانه.

وقيل: إن تلك القصة هي التي أشار الله إليه في القرآن إذ قال: ﴿ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِندَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ ﴾ (سورة إبراهيم: 46)[1]

من فوائد القصة:

هذه القصة من أغرب ما قرأته في حِيَل النساء على فِعْل الحرام، مع عجيب كيدهن إذا أردْن الكيد!

■ ■ ■

(1) نقلا - ببعض التصرُّف والتوضيح - عن: «حياة الحيوان الكبرى» [1/ 351 - 352/ الطبعة العلمية] للدميري. و« منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة» [7/ 162 - 163] للخوئي. و«بحار الأنوار» [61/ 194 - 195]، للمجلسي.

بقرة تتكلم

عن أبي هُرَيْرَةَ، قال: قَالَ رَسُولُ الله - ﷺ -: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَسُوقُ بَقَرَةً لَهُ، قَدْ حَمَلَ عَلَيْهَا [وفي رواية إِذْ ركبها] الْتَفَتَتْ إِلَيْهِ الْبَقَرَةُ فَقَالَتْ: إِنِّي لَمْ أُخْلَقْ لِهَذَا، وَلَكِنِّي إِنَّمَا خُلِقْتُ لِلْحَرْثِ[1].

فَقَالَ النَّاسُ: سُبْحَانَ الله. تَعَجُّبًا وَفَزَعًا، أَبَقَرَةٌ تَكَلَّمُ؟ فَقَالَ رَسُولُ الله - ﷺ -: فَإِنِّي أُومِنُ بِهِ وَأَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ»[2].

من فوائد القصة:

يتكلم الرسول - ﷺ - عن رجل ممن كان قبلنا في القرون الأولى كان له بقرة يستخدمها في حِراثة أرضه، وبدلا من أن يسوقها ويوجِّهها وهي في طريقها للحراثة وأثنائها، كان يركبها كما يركب فرسه! فالتفتتْ إليه البقرة غاضبة وهي تكلِّمُه وتقول: إن الله لم يخلقني للركوب، وإنما خلقني لحِرَاثة الأرض.

وقد صح في «جامع الترمذي» عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله - ﷺ -: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُكَلِّمَ السِّبَاعُ الإِنْسَ».

وقد ورد في تراثنا الإسلامي بعض الوقائع تدل على حدوث هذا الإخبار النبوي على وجه الحقيقة.

■ ■ ■

---

(1) الحرث: بفتح الحاء هو إثارة الأرض لزراعتها.

(2) صحيح: أخرجه البخاري [رقم/ 3471]، ومسلم [رقم/ 2388]، وجماعة من حديث أبي هريرة به ...

حكايـة الثّـوْر الـذي تـكلّـم !

قال الشيخ المؤرِّخ قطب الدين اليونيني: «حكى جماعة كثيرة من أهل دمشق واستفاض ذلك فى دمشق وكثُرَ الحديث فيه عن قاضى جبَّة أعسال، وهي قرية من قُـرَى دمشق، أنّه تكلّم ثَوْر بقرية من قُرَى «جبّة أعسال»!

وملخّصها: أنّ الثور خرج مع صبيٍّ يشرب ماء من هناك فلمّا فرغ حمد الله تعالى فتعجّب الصبي! وحكى لسيِّده مالِك الثور، فشكَّ فى قوله!

وحضر في اليوم الثاني بنفسه، فلمّا شرب الثور حمد الله تعالى؛ ثم في اليوم الثالث حضر جماعة وسمعوه يحمد الله تعالى؛ فكلَّمه بعضهم فقال الثور: إنّ الله كان كتب على الأمّة سبع سنين جَدْبًا (يعني: مجاعة وقلة في الطعام.)، ولكن بشفاعة النّبيّ - ﷺ - أبدلها بالخَصْب.

وذكر أنَّ النّبيَّ - ﷺ - أمره بتبليغ ذلك، وقال الثور: يا رسول الله ما علامة صِدْقِي عندهم؟ قال: أن يموت عقب الإخبار. قال الحاكي لذلك: ثم تقدَّم الثور على مكان عالٍ فسقط مَيّتًا، فأخذ الناس من شعره لِلتّبرُّك[1]، وكُفِّن ودُفِن. »[2]

قال المؤرخ ابن تغْرِي بَرْدِي: «هذه الحكاية غريبة الوقوع، والحاكي لها ثقة حُجَّة[3]، وقد قال: إنّه استفاض ذلك بدمشق».[4]

والله أعلم بحقيقة الحال.

---

(1) هذا من جهل العامة، فلا يجوز لأحدٍ أن يتبرك بما لم يأذن به الله.

(2) نقله عنه ابن تغري بردي في «النجوم الزاهرة» [8/ 59/ طبعة وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر].

وساق القصة أيضًا: شمس الدين محمد بن إبراهيم الجزري في تاريخه: «حوادث الزمان» كما ذكره الشهاب النويري في «نهاية الأرب في فنون الأدب» [33/ 186 - 187].

(3) يعني: الشيخ قطب الدين اليونيني.

(4) انظر كتابنا: «أَحْلَى حِكَايَاتِ كَهْفِ الْغَرَائِبِ ومَغَارَةِ العَجَائِبِ». [ص/ 41]. وهو من منشورات دار الكتاب العربي/ القاهرة - دمشق.



ذئب يتكلم

عن أبي هُرَيْرَةَ، قال: قَالَ رَسُولُ الله - ﷺ -: «بَيْنَمَا رَجُلٌ فِي غَنَمِهِ إِذْ عَدَا الذِّئْبُ فَذَهَبَ مِنْهَا بِشاةٍ، فطَلَبَ حتَّى كأَنَّهُ اسْتَنْقَذَهَا مِنْهُ. فَقَالَ لَهُ الذِّئْبُ هَذَا: اسْتَنْقَذْتَهَا مِنِّي، فَمَنْ لَهَا يَوْمَ السَّبْعُ [1] يَوْمَ لاَ رَاعِيَ غَيْرِي؟! فقالَ النَّاسُ سُبْحَانَ الله ذِئْبٌ يَتكَلَّمُ قَالَ فإنِّي أومِنُ بِهَذَا أَنَا وأَبُو بَكْر وعُمَرُ» [2].

من فوائد القصة:

يخبرنا الرسول - ﷺ - عن رجل ممن كان قبلنا في القرون الأولى كان له غنم يرعاها، فبينما هو في غفلة عنها إذ عَدَا الذئب على شاة منها وفرَّ هاربًا، فانتبه له الراعي وجرى خلفه حتى أخذ منه الشاة، فتكلم الذئب وقال له: إنك أخذتَّ الشاة مني الآن، وسيأتي وقت وزمان أعْدُو فيه على الغنم وآخُذُ منها ما أشاء ولن تستطيع أنت أو غيرك أن تمنعني منها!

قال الحافظ ابن حجر: «لم أقف على اسم هذا الراعي الذي كلمه الذئب، وقد أورد المُصنِّف - يعني البخاري - الحديث في ذِكْر بني إسرائيل، وهو مشعر بأنه عنده ممن كان قبل الإسلام، وقد وقع كلام الذئب لبعض الصحابة في نحو هذه القصة» [3]

قلت: يقصد الحافظ ببعض الصحابة: «أهبان بن أوس الأسلمي» أحد الصحابة المشهورين.

■ ■ ■

(1) قيل: إن المقصود بـ «يوم السبع» قبل قيام الساعة، حين تَخْرَبُ البلاد، ويَهْلِكُ الناس، فَتَسْكُنُ فيها الذئاب. وقيل: أرادَ الذئب: من لها عِنْدَ الفِتَن حين يتركها الناسُ هملًا لا رَاعِيَ لَهَا نُهْبَةً للذئاب. انظر: «قوت المغتذي على جامع الترمذي» [2/ 996]. للسيوطي.

(2) صحيح: أخرجه البخاري [رقم/ 3471]، ومسلم [رقم/ 2388]، وجماعة من حديث أبي هريرة به ...

(3) انظر: «فتح الباري» [7/ 27].

قصة الصَّحابي الذي كلَّمه الذئب

وملخص القصة: « أن أهبان بن أوس كان يرعى غنمًا له، فهجم الذئب على شاة منها، فصاح أهبان عليه، فجلس الذئب على ذيله ثم خاطبه، فقال: من يحميه مني يوم تنشغل عنها؟! أتنزع مني رزقًا رزقنيه الله؟!

قال أهبان: فصفَّقت بيدي - يعني تعجُّبًا - وقلت: والله ما رأيت شيئًا أعجب من هذا!

فقال له الذئب: أتعجب ورسول الله - صلي الله عليه وسلم - بين هذه النخلات، وأشار الذئب بيده إلي المدينة - يعني مدينة النبي عليه الصلاة والسلام - يُحدِّث الناس بنبأ ما قد سبق، ونبأ ما يكون، وهو يدعو إلى الله وإلى عبادته.

فأتى أهبان إلى رسول الله - ﷺ - فأخبره بأمْره وأمر الذئب، ثم أسلم .. ». [1]

قلت: قد ثبت أن من أشراط الساعة التي أخبر بها الرسول - ﷺ - تكليم السباع الإنس.

■ ■ ■

(1) أخرجه البخاري في «تاريخه الكبير» [2/ 44] مختصرًا، ومن طريقه البيهقي في «دلائل النبوة» [6/ رقم 2291] وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» [3/ رقم 885]، وجماعة. وسنده لا يثبت، لكن في الباب أحاديث عن جماعة من الصحابة تؤيد قصة أهبان بن أوس. وأنها قد وقعت إما له وإما لغيره من الصحابة.

أُرِيدُ أَنْ تَحْمِلَنِي الرِّيح

عَنْ شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ قَالَ: «دَخَلَ مَلَكُ الْمَوْتِ عَلَى سُلَيْمَانَ - الْكَلِيلِمْ - فَجَعَلَ يَنْظُرُ إِلَى رَجُلٍ مِنْ جُلَسَائِهِ؛ يُدِيمُ النَّظَرَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا خَرَجَ قَالَ الرَّجُلُ: مَنْ هَذَا؟

قَالَ: هَذَا مَلَكُ الْمَوْتِ الْكَلِيلِمْ.

قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُهُ يَنْظُرُ إِلَيَّ كَأَنَّهُ يُرِيدُنِي!

قَالَ: فَمَا تُرِيدُ؟

قَالَ: أُرِيدُ أَنْ تَحْمِلَنِي الرِّيحُ، فَتُلْقِيَنِي بِالْهِنْدِ!

قَالَ: فَدَعَا بِالرِّيحِ، فَحَمَلَهُ عَلَيْهَا، فَأَلْقَتْهُ بِالْهِنْدِ.

ثُمَّ أَتَى مَلَكُ الْمَوْتِ سُلَيْمَانَ الْكَلِيلِمْ فَقَالَ: إِنَّكَ كُنْتَ تُدِيمُ النَّظَرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ جُلَسَائِي؟ قَالَ: كُنْتُ أَعْجَبَ مِنْهُ؛ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَقْبِضَ رُوحَهُ بِالْهِنْدِ، وَهُوَ عِنْدَكَ»[1].

وقد حكى داود بن أبي هند هذه القصة بلفظ آخر فقال:

«بلغني أن ملك الموت كان وُكِّل بسليمان - الكَلِيلِمْ - فقيل له: ادخل عليه كل يوم دخْلة فسلْه عن حاجته ثم لا تبرح حتى تقضيَها، فكان يدخل عليه في صورة رجل فيسأله: كيف هو؟

ثم يقول: يا رسول الله ألك حاجة؟ فإنْ قال: نعم؛ لم يبرح حتى يقضيَها، وإن قال: لا؛ انصرف عنه إلى الغد.

فدخل عليه يومًا وعنده شيخ فقام فسلَّم عليه ثم قال: ألك حاجة يا رسول الله؟ قال: لا، ولَحَظ الشيخ لحظة فارتعد الشيخ وانصرف ملك الموت.

---

(1) أخرجه: الإمام أحمد في «الزهد» [ص/ 37].

فقام الشيخ فقال لسليمان: أسالك بحق الله إلا ما أمرتَ الريح فتحملني فتلقيني بأقصى [مكان] من أرض الهند، فأمرها فحملتْه.

ودخل ملك الموت على سليمان من الغد، فسأله عن الشيخ فقال: [أمرني الله] أمس أن أقبض روحه غدا مع طلوع الفجر بأقصى [مكان] من أرض الهند فهبطت وما أحسبه إلا هناك، فوجدته عندك، فجعلت أتعجب، وأنظر إليه، مالي همٌّ غيره، فهبطت عليه اليوم مع طلوع الفجر فوجدتُّه بأقصى مكان من أرض الهند ينتفض! فقبضت روحه، وتركت جسده هناك». [1]

من فوائد القصة:

هذه القصة وغيرها أمثلة جيدة لقوله تعالى: ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾ (سورة النساء آية: 66). ومثلها ما يأتي في القصة الآتية.

■ ■ ■

(1) أخرجه أبو الشيخ، كما ذكره السيوطي في «الحبائك في أخبار الملائك» [ص/ 14].

أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ

عن وهب بن منبه قال: إن رجلا كان يدعو لَمِلك الشمس عليه السلام[1] فظل على هذا الدعاء زمانًا، فعلم ملك الشمس بدعاء الرجل له، فأتاه فقال له: ما تريد بدعائك لملك الشمس الذي تدعو له؟

قال: حاجة لي إليه؟

قال ما حاجتك إليه فإني أنا ملك الشمس.

فقال الرجل: بلغني أنك أكرم الملائكة وأمْكن الملائكة عند ملك الموت ولك به صداقة، فاشفع لي إليه أن يؤخِّر أجل موتي.

فقال له: نعم. سوف أكلمه لك فما يستطيع أن يفعل لأحد من بني آدم فهو فاعله لك.

ثم حمله ملك الشمس بين جناحيه فوضعه عنده بمكانه عند مطلع الشمس، ثم أتى ملك الموت - عليه السلام - فقال له: لي إليك حاجة؟

فقال له: أفعل كل شيء أستطيعه لك.

فقال ملك الشمس: لي صديق من بني آدم تشفَّع بي إليك لتؤخر من أجله.

فقال ملك الموت: ليس ذلك إليَّ ولا أستطيعه! ولكنْ إنْ أحببتَ أنْ أخبره متى يكون أجل موته فعلتُ.

فقال: نعم أخبره بهذا.

فنظر ملك الموت في ديوانه فوجد اسمه في عداد الموتى المأمور بقبض أرواحهم!

---

(1) هو أحد الملائكة الذي وكَّلهم الله بأمور الشمس.

فقال لملك الشمس: لقد كلمتني في إنسان ما أراه إلا يموت الليلة!

قال له: وكيف يموت وأين؟

قال: لا أجده يموت إلا عند مطلع الشمس! وإني قد قبضتُ روحه الساعة! فانطلق هناك فلا تجده إلا وقد مات!

فرجع إليه ملك الشمس فوجده ميتًا ! [1]

■ ■ ■

(1) نقلا – ببعض التصرف والإيضاح – عن «العظمة» [3/ 916] لأبي الشيخ الحافظ.

الرجل الذي غفر الله له برغيف

ذكروا: «أن راهبًا تعبَّد في صومعته ستين سنة، فقال في نفسه: لو نزلت إلى الأرض ومشيت فيها لأنظر إلى ثمارها وأنهارها، فنزل ومعه رغيف، فتعرضتْ له امرأة فلم يملك نفسه إلى أنْ واقعها.

ثم إنه رأى سائلًا فأعطاه الرغيف ومات في تلك الحالة، فجاء الله بعمل ستين سنة فوضع في كفة من الميزان، ثم جيء بالخطيئة فوضعت في الكفة الأخرى، فرجحتْ على عمل الستين، ثم جيء بالرغيف فوضع في أعماله فرجحت أعماله على خطيئته »[1].

من فوائد القصة :

في تراثنا الإسلامي الكثير من أخبار الذين ندموا على ما فعلوا، أو تركوا ما اشتهتْه أنفسهم واستغفروا وتابوا خوفًا من الله، فعوَّضهم الله خيرًا. وتجاوز عن هفواتهم.

■ ■ ■

(1) نقلا عن « الزهر الفائح في ذكر من تنزه عن الذنوب والقبائح» [ص/ 16]، لابن الجزري، وقد ورد عن عبد الله بن مسعود عند: ابن أبي شيبة [رقم/ 9906].

لاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - «إِنَّ مُوسَى كَانَ رَجُلًا حَيِيًّا سِتِّيرًا، لاَ يُرَى مِنْ جِلْدِهِ شَيْءٌ اسْتِحْيَاءً مِنْهُ[1].

فَآذَاهُ مَنْ آذَاهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَقَالُوا: مَا يَسْتَتِرُ هَذَا التَّسَتُّرَ، إِلَّا مِنْ عَيْبٍ بِجِلْدِهِ: إِمَّا بَرَصٌ [هو بَيَاضٌ يَظْهَرُ فِي ظَاهِرِ الْبَدَنِ] وَإِمَّا أُدْرَةٌ[2] وَإِمَّا آفَةٌ، وَإِنَّ اللهَ أَرَادَ أَنْ يُبَرِّئَهُ مِمَّا قَالُوا لِمُوسَى [أَيْ يُنَزِّهَهُ عَنْ نِسْبَةِ ذَلِكَ الْعَيْبِ].

فَخَلاَ يَوْمًا وَحْدَهُ [أَيِ انْفَرَدَ عَنِ النَّاسِ يَوْمًا] فَوَضَعَ ثِيَابَهُ عَلَى الحَجَرِ، ثُمَّ اغْتَسَلَ، فَلَمَّا فَرَغَ أَقْبَلَ إِلَى ثِيَابِهِ لِيَأْخُذَهَا، وَإِنَّ الحَجَرَ عَدَا بِثَوْبِهِ [أَيْ فَرَّ وَمَضَى مُسْرِعًا] فَأَخَذَ مُوسَى عَصَاهُ وَطَلَبَ الحَجَرَ، فَجَعَلَ يَقُولُ: ثَوْبِي حَجَرُ، ثَوْبِي حَجَرُ! [أي: أَعْطِنِي ثَوْبِي أَوْ رُدَّ ثَوْبِي].

حَتَّى انْتَهَى إِلَى مَلَإٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَرَأَوْهُ عُرْيَانًا أَحْسَنَ مَا خَلَقَ اللهُ، وَأَبْرَأَهُ مِمَّا يَقُولُونَ، وَقَامَ الحَجَرُ، فَأَخَذَ ثَوْبَهُ فَلَبِسَهُ، وَطَفِقَ [أي: أَخَذَ وَشَرَعَ] بِالحَجَرِ ضَرْبًا بِعَصَاهُ.

فَوَاللهِ إِنَّ بِالحَجَرِ لَنَدَبًا[3] مِنْ أَثَرِ ضَرْبِهِ، ثَلاَثًا أَوْ أَرْبَعًا أَوْ خَمْسًا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللهِ وَجِيهًا**﴾[4].

من فوائد القصة:

هؤلاء السفهاء ظنوا أن بِنَبِيِّ الله موسى عيبًا أو مرضًا لكونه كان لا يستحم عاريًا

---

(1) هَذَا يُشْعِرُ بِأَنَّ اغْتِسَالَ بَنِي إِسْرَائِيلَ عُرَاةً بِمَحْضَرٍ مِنْهُمْ كَانَ جَائِزًا فِي شَرْعِهِمْ، وَإِنَّمَا اغْتَسَلَ مُوسَى وَحْدَهُ اسْتِحْيَاءً.

(2) هو مرض مشهور يصيب الخصية.

(3) الندب: هو الأثر الباقي في الحجر من ضَرْب موسى لهُ.

(4) [صحيح] أخرجه: البخاري [رقم/ 3401] وغيره.

معهم! فأراد الله عز وجل أن يريَهم أنه لا عيب فيه أبدًا. لكنه ذو حياء وعفة ودين.

فإن قيل: كيف يضرب موسى - عليه السلام - الحَجَر، كأنَّ الحَجَر له عقل يُحاسَب عليه!؟

فالجواب: أن موسى - عليه السلام - إنما ضربه لَمَّا رآه يفعل ما يفعله العقلاء من الناس! حيث أخذ الثوب وهرب به! فاستحق أن يؤدَّبه بالضرب!

وذلك تمامًا مثل ذلك ما تفعله الأمهات بأولادها الصغار إذا تعثَّر الطفل فوقع أو ضربه شيء من الجماد، فإن الأم تراها تضرب ذلك الجماد الذي تسبب في وجه طفلها حتى يسكت صغيرها ويطيب خاطره.[1]

■ ■ ■

(1) انظر: «شرح رياض الصالحين» [ص/ 2207] لابن عثيمين.

هَلْ يُغْنِي عَنِ الكافر شَيْءٌ أَصَابَهُ فِي الدُّنْيَا؟

عَنْ نَوْفٍ الْبِكَالِيِّ قَالَ: «انْطَلَقَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ وَرَجُلٌ كَافِرٌ يَصِيدَانِ السَّمَكَ فَجَعَلَ الْكَافِرُ يُلْقِي شَبَكَتَهُ وَيَذْكُرُ آلِهَتَهُ فَيَجِيءُ مُدَفَّقًا [يعني: يخرج له السمك كثيرا] وَيُلْقِي الْمُؤْمِنُ وَيُذْكَرُ اللهَّ - عَجَلَّ - فَلَا يَجِيءُ شَيْءٌ!

قَالَ: فَتَعَاوَدَا ذَلِكَ إِلَى مَغِيبِ الشَّمْسِ! [يعني: ظلَّا كذلك طوال النهار]

ثُمَّ إِنَّ الْمُؤْمِنَ صَادَ سَمَكَةً فَأَخَذَهَا بِيَدِهِ، فَاضْطَرَبَتْ فَوَقَعَتْ فِي الْمَاءِ!

فَرَجَعَ الْمُؤْمِنُ وَلَيْسَ مَعَهُ شَيْءٌ!

وَرَجَعَ الْكَافِرُ وَقَدِ امْتَلَأَتْ سَفِينَتُهُ!

فَأَسِفَ مَلَكُ الْمُؤْمِنِ فَقَالَ: رَبِّ عَبْدُكَ هَذَا الْمُؤْمِنُ الَّذِي يَدْعُوكَ رَجَعَ وَلَيْسَ مَعَهُ شَيْءٌ! وَعَبْدُكَ الْكَافِرُ رَجَعَ وَقَدِ امْتَلَأَتْ سَفِينَتُهُ!

قَالَ اللهُّ عَجَلَّ لِمَلَكِ الْمُؤْمِنِ: تَعَالَ؛ فَأَرَاهُ مَسْكَنَ الْمُؤْمِنِ فِي الْجَنَّةِ.

فَقَالَ: مَا يَضُرُّ عَبْدِيَ الْمُؤْمِنَ مَا أَصَابَهُ بَعْدَ أَنْ يَصِيرَ إِلَى هَذَا.

وَأَرَاهُ مَسْكَنَ الْكَافِرِ فِي النَّارِ فَقَالَ: هَلْ يُغْنِي عَنْهُ شَيْءٌ أَصَابَهُ فِي الدُّنْيَا؟

قَالَ: لَا وَاللهِّ يَا رَبِّ»[1].

من فوائد القصة:

كثير من المُلْحِدين يُعجِّل الله لهم طيباتهم في الحياة الدنيا، أما المؤمنون فإنه يدخِّر لهم الخيرات في الآخرة، فذلك لا يهنأ لهم عيش في تلك الحياة، لعلْمهم بكونهم مفارقوها

---

(١) النظر: «الزهد» للإمام أحمد [ص/ ١٧٧].

إلى الدار الحق.

ولذلك ثبت في «صحيح مسلم» عن رَسُولُ الله ﷺ - أنه قال: **«الدُّنْيَا سَجِنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ»**.

من عجيب الحكايات

يُرْوَى: أن الحافظ المشهور ابن حجر العسقلاني لَمَّا كان قاضي القضاة مرَّ يومًا بالسوق في موكب عظيم وهيئة جميلة فهجم عليه يهودي يبيع الزيت الحار وأثوابه ملطخة بالزيت وهو في غاية الرثاثة والشناعة، فقبض على لِجام بغْلَته وقال:

يا شيخ الإسلام تزعم أن نبيّكم قال: **«الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر»** فأيُّ سجن أنت فيه وأيُّ جنة أنا فيها؟

فقال ابن حجر: أنا بالنسبة لِمَا أعدَّ الله لي في الآخرة من النعيم كأني الآن في السجن، وأنت بالنسبة لِمَا أعدَّ لك في الآخرة من العذاب الأليم كأنك في جنة!

فقال له اليهودي: أكذلك يكون؟

قال: نعم.

فقال اليهودي: أشهد ألا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله [1]

■ ■ ■

(1) انظر: «فيض القدير» [3/ 546]. للمناوي.

لُقْمةٌ بِلُقْمة

عن وهب بن منبه قال: «بينما امرأة من بني إسرائيل، على ساحل البحر تغسل ثيابها، وصبي لها يدب بين يديها، إذ جاء سائل فأعطته لقمة من رغيف كان معها، فما كان بأسرع من أن جاء ذئب فالتقم الصبي، فجعلت تعْدُو خلفه وتقول: يا ذئب ابني يا ذئب ابني! فبعث الله ملكا فنزع الصبي من فم الذئب ورمَى به إليها. وقال: لقمة بلقمة»[1].

وقد ورد نحو تلك القصة في تراثنا الإسلامي.

فقال أبو بكر البسطامي: «كان لامرأة ابن غاب عنها غيبة منقطعة، فجلست تأكل يومًا، فحين قطعت لقمة وأهوتْ بها إلى فمها، وقف ببابها سائل يريد الصدقة.

فامتنعت المرأة من أكل اللقمة، وحملتْها مع تمام الرغيف، فتصدقت بها إلى ذلك السائل، وبقيت جائعة .

وكانت شديدة الحذر على ابنها، والدعاء برَدِّه سالمًا، فما مضت إلا ليالٍ يسيرة على هذا الحديث، حتى قدم ابنها، فأخبر أمه بشدائد مرَّتْ به عظيمة .

ثم جعل يحدث أمه ويقول: أعظم شيء مرَّ على رأسي أني كنت في وقت كذا أسْلُك غابة في البلد الفلاني، إذ خرج أسد، فقفز عليَّ من حمار كنت فوقه، ففرَّ الحمار هاربًا، فتشبَّكَتْ مخالبُ الأسد في ملابسي، وكاد أن يذهب عقلي من الخوف، وجَرَّني حتى أدخلني في مكانه!

فلمّا أنْ برك عليَّ ليفترسني، رأيت رجلًا عظيم الجسم، أبيض الوجه والثياب، وقد جاء حتى قبض على قفا الأسد، وأخذه حتى خبَطَ به الأرضَ! ثم قال للأسد: قم يا كلب! لقمة بلقمة .

(1) انظر: «حياة الحيوان الكبرى» للدميري [1/ 503]. و«سكب الأدب على لامية العرب» [ص/ 283] لسليمان بك ابن عبد الله بك الشاوي.

فقام الأسد هاربًا، ورجع إليَّ عقلي، ثم مضى الرجل، فتبعته فلم أجده؟ فجلست ساعات إلى أنْ عادت إليَّ قوتي، ثم نظرت إلى نفسي، فلم أجد بها بأسًا، فمشيت فلحقت القافلة، وأخبرتهم فعجبوا من خلاصي، لكني لم أدْرِ ما معنى قول الرجل للأسد: لقمة بلقمة .

فلما سمعتْ أمه كلامه نظرتْ إلى الوقت الذي وقع فيه حادثة ابنها، فإذا هو الوقت الذي أخرجتْ فيه اللقمة من فمها، وتصدقت بها على السائل! ».[1]

■ ■ ■

(1) نقلا – ببعض التصرف والإيضاح – عن «نشوار المحاضرة» [1/ 268] للتنوخي.

قصة موسى والخضر (عَلَيْهِمَا السَّلَام)

عن أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - «أَنَّ مُوسَى قَامَ خَطِيبًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَسُئِلَ أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ؟

فَقَالَ: أَنَا، فَعَتَبَ اللهُ عَلَيْهِ، إِذْ لَمْ يَرُدَّ العِلْمَ إِلَيْهِ.

فَقَالَ لَهُ: بَلَى، لِي عَبْدٌ بِمَجْمَعِ البَحْرَيْنِ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ قَالَ: أَيْ رَبِّ وَمَنْ لِي بِهِ؟

قَالَ: تَأْخُذُ حُوتًا، فَتَجْعَلُهُ فِي مِكْتَلٍ، حَيْثُمَا فَقَدْتَ الحُوتَ فَهُوَ ثَمَّ.

وَأَخَذَ حُوتًا فَجَعَلَهُ فِي مِكْتَلٍ، ثُمَّ انْطَلَقَ هُوَ وَفَتَاهُ يُوشَعُ بْنُ نُونٍ، حَتَّى إِذَا أَتَيَا الصَّخْرَةَ وَضَعَا رُءُوسَهُمَا، فَرَقَدَ مُوسَى وَاضْطَرَبَ الحُوتُ فَخَرَجَ، فَسَقَطَ فِي البَحْرِ فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي البَحْرِ سَرَبًا ....

فَانْطَلَقَا يَمْشِيَانِ بَقِيَّةَ لَيْلَتِهِمَا وَيَوْمَهُمَا، حَتَّى إِذَا كَانَ مِنَ الغَدِ قَالَ لِفَتَاهُ: آتِنَا غَدَاءَنَا، لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا، وَلَمْ يَجِدْ مُوسَى النَّصَبَ حَتَّى جَاوَزَ حَيْثُ أَمَرَهُ اللهُ، قَالَ لَهُ فَتَاهُ: ﴿ **قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا (٦٣)** ﴾.

فَكَانَ لِلْحُوتِ سَرَبًا وَلَهُمَا عَجَبًا، قَالَ لَهُ مُوسَى: ﴿ **ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا** ﴾. رَجَعَا يَقُصَّانِ آثَارَهُمَا، حَتَّى انْتَهَيَا إِلَى الصَّخْرَةِ، فَإِذَا رَجُلٌ مُسَجًّى بِثَوْبٍ، فَسَلَّمَ مُوسَى فَرَدَّ عَلَيْهِ.

فَقَالَ وَأَنَّى بِأَرْضِكَ السَّلَامُ؟

قَالَ: أَنَا مُوسَى.

قَالَ: مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ.

قَالَ: نَعَمْ، أَتَيْتُكَ لِتُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا.

قَالَ: يَا مُوسَى: إِنِّي عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللهِ عَلَّمَنِيهِ اللهِ لاَ تَعْلَمُهُ، وَأَنْتَ عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللهِ عَلَّمَكَهُ الله لاَ أَعْلَمُهُ.

قَالَ: هَلْ أَتَّبِعُكَ؟

قَالَ: ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾﴾. [الكهف: 68] - إِلَى قَوْلِهِ: - ﴿إِمْرًا﴾. [الكهف: 71].

فَانْطَلَقَا يَمْشِيَانِ عَلَى سَاحِلِ البَحْرِ، فَمَرَّتْ بِهِمَا سَفِينَةٌ كَلَّمُوهُمْ أَنْ يَحْمِلُوهُمْ، فَعَرَفُوا الخَضِرَ فَحَمَلُوهُ بِغَيْرِ نَوْلٍ، فَلَمَّا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ جَاءَ عُصْفُورٌ، فَوَقَعَ عَلَى حَرْفِ السَّفِينَةِ فَنَقَرَ فِي البَحْرِ نَقْرَةً أَوْ نَقْرَتَيْنِ.

قَالَ لَهُ الخَضِرُ يَا مُوسَى مَا نَقَصَ عِلْمِي وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللهِ إِلَّا مِثْلَ مَا نَقَصَ هَذَا العُصْفُورُ بِمِنْقَارِهِ مِنَ البَحْرِ، إِذْ أَخَذَ الفَأْسَ فَنَزَعَ لَوْحًا..

قَالَ: فَلَمْ يَفْجَأْ مُوسَى إِلَّا وَقَدْ قَلَعَ لَوْحًا بِالقَدُّومِ، فَقَالَ لَهُ مُوسَى: مَا صَنَعْتَ؟ قَوْمٌ حَمَلُونَا بِغَيْرِ نَوْلٍ عَمَدْتَ إِلَى سَفِينَتِهِمْ فَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا، لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا، قَالَ: ﴿أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾﴾ [الكهف: 72،73].

فَكَانَتِ الأُولَى مِنْ مُوسَى نِسْيَانًا. فَلَمَّا خَرَجَا مِنَ البَحْرِ مَرُّوا بِغُلَامٍ يَلْعَبُ مَعَ الصِّبْيَانِ، فَأَخَذَ الخَضِرُ بِرَأْسِهِ فَقَلَعَهُ بِيَدِهِ هَكَذَا!

فَقَالَ لَهُ مُوسَى: أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ، لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا!

قَالَ: أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا.

قَالَ: إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلاَ تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا.

فَانْطَلَقَا، حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا، فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا، فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ، مَائِلًا فَأَقَامَه.

قَالَ: قَوْمٌ أَتَيْنَاهُمْ فَلَمْ يُطْعِمُونَا وَلَمْ يُضَيِّفُونَا، عَمَدْتَ إِلَى حَائِطِهِمْ، لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا.

قَالَ: هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ، سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا».

ثم قَالَ النَّبِيُّ - ﷺ - «**يَرْحَمُ اللهُ مُوسَى لَوْ كَانَ صَبَرَ لَقُصَّ عَلَيْنَا مِنْ أَمْرِهِمَا**»[1].

الفوائد المستفادة من القصة:

القصة هذه من بدايتها إلى نهايتها نَبْعٌ من المعاني التربوية القرآنية الرائعة. وفي كل كلمة مَنْحَى بديع ولفْتة راقية:

الفائدة الأولى:

إنَّ لموسى - عليه السلام - هدفًا محددًا يسعى لتحقيقه وهو:

أ - يريد أن يلقى مُعلِّمًا يتعلم منه صلاح أمره في دنياه وآخرته.

ب - في مكان محدد يلتقيان فيه.

ج - في وقت ينتظره المعلم فيه.

الفائدة الثانية:

- وعلى التلميذ أن يسعى إلى المعلم لا أن يسعى المعلم إليه، فهذا أكرم للعلم والمعلم والمتعلم، فالعلم إن جاء سهل المتناول زهد المتعلم فيه، وأعظم للمعلم في عين المتعلم أن يسعى الأخير إلى الأول ليعرف قدره وقدر ما يحمله، فيتعلق بها.

- ونرى الإصرار العجيب على لقاء المعلم والنهل من علمه في قوله: (**لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضي حقبًا**) فهو مصمم على بذل الجهد ليصل إلى مبتغاه - لقاء الأستاذ في المكان المنشود - ولو أمضى عمره يبحث عنه (**أو أمضي حقبًا**) والحقبة أربعون سنة كما قال العلماء، فما بالك بذكر الجمع (**حقبًا**)؟!.

---

(1) [صحيح] أخرجه: البخاري [رقم/ 3401] وغيره.

الفائدة الثالثة:

- ومن الأدب التربوي في هذه القصة كذلك أن موسى حين علِم بخطئه وخطإ فتَاه لم يشغل نفسه بلَوْم نفسه أو لوم صاحبه، فهناك أمر مهم جدًا عليهما تداركه قبل فواته. إنه لقاء الرجل المعلم. فماذا فعلا؟

أ - إنهما عادا سريعًا لم يضيّعا الوقت، والدليل على ذلك قوله تعالى: (**فارتدا** ...) وهذه الكلمة مع الفاء - حرف العطف والترتيب والتعقيب - تدلان على سرعة الحركة والعزم على الوصول بقوة إلى الهدف.

ب - عادا من حيث جاءا، يستهديان بآثار الخطوات التي مشياها كي لا ينحرفا عن الصخرة (... **على آثارهما قصصًا** ...).

جـ - فكان عاقبة سرعتهما وجَدِّهما أن وصلا إلى الهدف فورًا (**فوجدا عبدًا من عبادنا** ...).

الفائدة الرابعة:

العُجْب بالعِلْم مكْمَن الخطر. فعلى الإنسان ألا يعجب بعِلْمه، ويظهر ذلك في معاتبة الله تعالى لموسى - عليه السلام - بعد أن سئل عن أعلم الناس فنسب ذلك إلى نفسه، وهو درس لمن وراءه، أن لا يرى في نفسه إعجابًا بعلمه أو فهمه أو تميزه، فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، وما أُوتِيَ الإنسان من العلم إلا قليلًا حتى لو كثر.[1]

■ ■ ■

(1) نقلا عن مقال: «دروس وعبر من قصة موسى والخضر» للشيخ الدكتور عبد الله القرشي.

ذبح عجْلاً بين يدَيْ أمه فشلَّ اللهُ يدَه

عن إبراهيم بن أدهم قال: «بلغني أنه كان رجل من بني إسرائيل ذبح عجْلًا بين يدي أمه! فأيبس الله يده [يعني: شلَّ الله يده].

فبينما هو ذات يوم جالس، وإذا بعصفور طائر سقط من عِشَّته. فجعل ينظر ويُبَصْبِص إلى أبويه، وأبواه ينظران ويُبَصْبِصان إليه!

فأخذه ذلك الرجل وردَّه إلى عشته رحمة له! فرحمه الله لرحمته لذلك العصفور، وردَّ عليه يده بما صنع. والله تعالى أعلم»[1].

من فوائد القصة:

قلت: إنما شلَّ الله يده أول مره لكونه أراد تعذيب أُمِّ العجل بذبح ابنها أمام عينها! فشاء الله أن تُشَلَّ يده التي ذبح بها! فلمّا رحم العصفور رحمه الله وردَّ عليه يده.

ولا ريب أن الإسلام قد نهانا عن تعذيب الحيوان والطيور وكل ذي روح. وقد صح عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «**دخلت امرأة النار في هرة ربطتها، فلم تطعمها، ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض**»[2].

وعلى نقيض هذه الصورة ذكر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - صورة أخرى لامرأة من البغايا غفر الله لها ذنبها بسبب كلب:

فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «**بينما كلب يطيف بِرَكِيَّة كاد يقتله العطش، إذ رأته بغِيٌّ من بغايا بني إسرائيل فنزعت مُوقَها** [يعني: خُفَّها وحذاءها] **فسقَتْه فغفر لها به**»[3]

---

(1) انظر: «حياة الحيوان الكبرى» للدميري [2/ 284 - 285] بتصرف يسير.

(2) حديث صحيح: رواه البخاري [رقم/ 3318]، ومسلم [رقم/ 2242] من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(3) حديث صحيح: رواه البخاري [رقم/ 3467].

هذا هو الإسلام، وهذه هي تعاليمه ومبادئه السمْحة، حرَّم تعذيب الحيوان، ولعَن المخالفين على مخالفتهم، ولا أدلَّ على ذلك مما رواه مسلم بسنده إلى ابن عباس: «**أن النبى - ﷺ - مرَّ على حمار قد وُسِم فى وجهه** [يعني: في وجهه كيَّةُ نار] **فقال: «لعن الله الذى وسَمه!»**. يعني: مَن كوَاه.

■ ■ ■

الثلاث دعـــوات

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا ﴾. [سورة: الأعراف/ جزء من الآية: 175].

قَالَ: «هُوَ رَجُلٌ كَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، أُعْطِيَ ثَلاثَ دَعَوَاتٍ يُسْتَجَابُ لَهُ فِيهِنَّ مَا يَدْعُو بِهِ! وَكَانَ لَهُ امْرَأَةٌ لَهُ مِنْهَا وَلَدٌ (وَكَانَ سَمِجَةً دَمِيمَةً)[1]، قَالَتِ: ادْعُ اللهَّ أَنْ يَجْعَلَنِي أَجْمَلَ امْرَأَةٍ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ!

فَدَعَا الله لَهَا، فَلَمَّا عَلِمَتْ أَنْ لَيْسَ فِي بني إِسْرَائِيل أجمل مِنْهَا؛ رَغِبَتْ عَنْ زَوْجِهَا وَأَرَادَتْ غَيْرَهُ!! فَلَمَّا رَغِبَتْ عَنْهُ؛ دَعَا الله أَن يَجْعَلهَا كلبة نباحة، وَذَهَبت عَنهُ دَعْوَتَانِ!! فَجَاءَ بَنُوهَا وَقَالُوا: لَيْسَ بِنَا عَلَى هَذَا صَبْرٌ؛ أَنْ صَارَتْ أُمُّنَا كَلْبَةً نَبَّاحَةً يُعَيِّرُنَا النَّاسُ بِهَا، فَادْعُ اللهَّ أَنْ يردهَا إِلَى الْحَال الَّتِي كَانت عَلَيْهَا أَوَّلا.

فَدَعَا اللهَّ فَعَادَتْ كَمَا كَانَتْ. فَذَهَبَ فِيهَا الدَّعَوَاتُ الثَّلاثُ!! فَسُمِّيَتِ: «الْبَسُوسَ». وَقِيلَ: «أَشْأَمُ مِنَ الْبَسُوسِ»[2].

قال أبو الفرج المعافي النهرواني[3]: الْمَشْهُور عِنْدَ أَهْلَ السِّيَر وَالْأَخْبَار: أَنَّ البسوس الَّتِي يُقَالُ من أجلهَا: «أشأم من البسوس»، النَّاقة الَّتِي جرى فِيمَا جرى من أمرهَا حَرْب: «داحس والغبراء». وَالْمَعْرُوف من قَول جُمْهُور أَهْلَ التَّأْوِيل أَنَّ قَوْله:

﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا ﴾. عَنَى بِهِ: «بلْعَم بْن بَاعُورَاء»، الَّذِي دَعَا للجبارين عَلَى مُوسَى وَبني إِسْرَائِيل. وَقَالَ بَعضهم: نزلت فِي أُميَّة بْن أَبِي الصَّلْت».

---

(1) يَعْنِي بِهِ القُبح.

(2) أخرج القصة: أبو الفرج المعافي النهرواني في كتابه: «الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي» [ص/ 22]. وهي مذكورة (أيضًا) في «حياة الحيوان الكبرى» للدميري [2/ 419]، و«نهاية الأرب في فنون الأدب» لشهاب الدين النويري [13/ 273].

(3) في كتابه: «الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي» [ص/ 22].

جزاء الإخلاص في التوكل على الله

رُوِيَ عن أبي هُرَيْرَةَ: قال: «بَيْنَمَا رَجُلٌ وَامْرَأَةٌ لَهُ فِي السَّلَفِ الْخَالِي، لَا يَقْدِرَانِ عَلَى شَيْءٍ! [يعني: من شدة الفقر].

فَجَاءَ الرَّجُلُ مِنْ سَفَرِهِ، فَدَخَلَ عَلَى امْرَأَتِهِ جَائِعًا، قَدْ أَصَابَتْهُ مَسْغَبَةٌ شَدِيدَةٌ،[يعني: جوع شديد] فَقَالَ لِامْرَأَتِهِ: أَعِنْدَكِ شَيْءٌ؟

قَالَتْ: نَعَمْ، أَبْشِرْ أَتَاكَ رِزْقُ الله [تقول ذلك من وثوقها بالله، مع أن بيتها ليس فيه طعام!] فَاسْتَحَثَّهَا [يعني: قال لها: تعجَّلي بإحضار الطعام] فَقَالَ: وَيْحَكِ، ابْتَغِي إِنْ كَانَ عِنْدَكِ شَيْءٌ.

قَالَتْ: نَعَمْ، هُنَيَّةً [يعني: انتظر قليلا] نَرْجُو رَحْمَةَ اللهَّ، حَتَّى إِذَا طَالَ عَلَيْهِ الطَّوَلُ، قَالَ: وَيْحَكِ، قُومِي، فَابْتَغِي إِنْ كَانَ عِنْدَكِ خُبْزٌ، فَأْتِينِي بِهِ، فَإِنِّي قَدْ بَلَغْتُ وَجَهِدْتُ!

فَقَالَتْ: نَعَمْ، الْآنَ يَنْضَجُ التَّنُّورُ فَلَا تَعْجَلْ، فَلَمَّا أَنْ سَكَتَ عَنْهَا سَاعَةً، وَتَحَيَّنَتْ أَيْضًا أَنْ يَقُولَ لَهَا، قَالَتْ هِيَ مِنْ عِنْدِ نَفْسِهَا: لَوْ قُمْتُ فَنَظَرْتُ إِلَى تَنُّورِي![مع كونها تعلم أن التنور خاوٍ من الطعام، لكنها تُمَنِّي نفسها لعلها تجد فيه شيئا]!

فَقَامَتْ فَوَجَدَتْ تَنُّورَهَا مَلْآنَ جُنُوبَ الْغَنَمِ [جنوب: جمع جنب، يعني جنوب غنم مشوية] وَرَحْيَيْهَا تَطْحَنَانِ، فَقَامَتْ إِلَى الرَّحَى فَنَفَضَتْهَا وَاسْتَخْرَجَتْ مَا فِي تَنُّورِهَا مِنْ جُنُوبِ الْغَنَمِ.

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَوَالَّذِي نَفْسُ أَبِي الْقَاسِمِ بِيَدِهِ، عَنْ قَوْلِ مُحَمَّدٍ - ﷺ: **«لَوْ أَخَذَتْ مَا فِي رَحْيَيْهَا، وَلَمْ تَنْفُضْهَا لَطَحَنَتْهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»**[1] .

---

(1) أخرجه أحمد في «المسند» [15/ 276].

من فوائد القصة:

- العُسْر يتبعه يُسْر، وأن الفرج مع الصبر.

- حُسْنُ الظن بالله تعالى، وأن الله سبحانه يرزق من يتكل عليه، ويحسن الظن به، مع محاولة اتخاذ ما يمكن من الأسباب، وقديمًا قالوا: من اعتمد على الأسباب فقد كفر، ومن تركها فقد جُنَّ.

- فضل الدعاء، وأن الله سبحانه يستجيب من المضطر.[1]

■ ■ ■

---

(1) نقلا عن «قصص الماضين من حديث سيد المرسلين» [ص/ 334]، لمشهور حسن سلمان.

الْقُضَاةُ ثَلاثَةٌ
وَاحِدٌ فِي الْجَنَّةِ، وَاثْنَانِ فِي النَّارِ

عن عكرمة قال: «كانت القضاة في بني إسرائيل ثلاثة، فمات أحدهم، فوَلِيَ غيره مكانه، ثم قضوا ما شاء الله أن يقضوا، ثم بعث الله لهم ملِكًا يمتحنهم فوجد رجلًا يسقي بقرة على ماء، وخلْفها عجلة فدعاها الملك وهو راكب فرسًا، فتبعتها[1] العجلة فتخاصما[2]، فجاء إلى القاضي الأول؛ فدفع إليه الملك درَّة[3] كانت معه.

وقال له: احكم بأن العجلة لي!

قال: بماذا أحكم ؟

قال: أرسل الفرس والبقرة والعجلة، فإن تبعت الفرس فهي لي. فأرسلها فتبعت الفرس؛ فحكم له بها .

وأتيَا القاضي الثاني فحكم كذلك . وأخذ درة!

وأما القاضي الثالث: فدفع له الملك درة وقال: احكم بيننا.

قال: إني حائض!

قال الملك سبحان الله أيحيض الذكر ؟

قال: سبحان الله أتلد الفرس بقرة ؟

وحكم بها لصاحبها». [4]

---

(1) أي تابعت العجلةُ الفرسَ الذي يركبه الملك.

(2) أي الرجل صاحب العجلة وهذا الملك.

(3) يعني: صُرَّة نقود.

(4) انظر: «حياة الحيوان الكبرى» [1/ 219] للدميري.

من فوائد القصة:

هؤلاء القضاة حالهم كما قال نبينا - ﷺ -: «الْقُضَاةُ ثَلَاثَةٌ: وَاحِدٌ فِي الْجَنَّةِ، وَاثْنَانِ فِي النَّارِ، فَأَمَّا الَّذِي فِي الْجَنَّةِ؛ فَرَجُلٌ عَرَفَ الْحَقَّ فَقَضَى بِهِ، وَرَجُلٌ عَرَفَ الْحَقَّ فَجَارَ فِي الْحُكْمِ، فَهُوَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ قَضَى لِلنَّاسِ عَلَى جَهْلٍ فَهُوَ فِي النَّارِ»[1].

■ ■ ■

(1) [صحيح لغيره] أخرجه: أبو داود [رقم/ 3573]، والترمذي [رقم/ 1322]، وابن ماجه [رقم/ 2315]، وغيرهم من حديث: بريدة بن الحصيب الأسلمي رضي الله عنه.

سبحان مَنْ فرَّقهم وجمعهم

كان في بني إسرائيل رجل صالح، له ولد صالح، فلما حضره الموت قال لولده: لا تحلف بالله كاذبًا، ولا صادقًا!

فلما مات تسامع به الناس، فتسابق إليه بنو إسرائيل، فكان الرجل يقول له: لي عند أبيك كذا وكذا من المال! فيدفعه إليه حتى افتقر!

فخرج بزوجته وولديه إلى البحر؛ فانكسرت بهم السفينة! فصار كل واحد على لوح! فوقع الرجل في جزيرة، فناداه مناد: أيها الرجل البار لوالديه، إن الله تعالى يريد أن يخرج لك كنزًا! وهو في موضع كذا، فكشف عنه فوجده، فساق إليه بعض الناس، فأحسن إليهم، فتسامع الناس به.

فقصدوه وصارت الجزيرة بلدًا، وصار الرجل كبيرها.

فسمع ولده الأكبر بحسن سيرته، فقصده وقرَّبه، ولم يعرفه.

ثم سمع ولده الآخر فقصده وقرَّبه أيضا.

ثم سمع زوج امرأته (الذي صارت الزوجة إليه)، فتوجه بها إليه.

فلما قرب من الجزيرة ترك المرأة في المركب، ودخل عليه ومعه هدية.

فقربه وقال له: نَمْ عندنا الليلة!

فقال: تركت امرأتي في مركب، وعاهدتها لا أَكِلُ أمرها إلى غيري!

فقال: أنا أرسل لها رجلين يحرسانها هذه الليلة.

فلما دخلا عليها قال أحدهما للآخر: قد أمرنا الملك أن نحفظ هذه المرأة، ونخاف من النوم، فاذكر لي، وأنا أذكر لك؛ ما رأينا من الأخبار.

فقال أحدهما: كان لي أخ اسمه: كاسمك، فركب والدنا في البحر من بلد كذا، فانكسرت السفينة، وفرَّق الله شملنا.

فلما سمع كلامه قال: كيف كان اسم والدك؟

قال: فلان.

قال: وأمك؟

قال فلانة.

فترامى عليه وقال أنت أخي، والأم تسمع كلامهما.

فلما طلع الفجر؛ جاء الرجل من عند الملك، فوجدها في هَمٍّ عظيم، فغضب ورجع إلى الملك وأخبره بذلك، فأمر بإحضارهما وإحضار المرأة.

قال لها: أيتها المرأة؛ ما الذي رأيت من هذَيْن؟

فقالت: أيها الملك؛ دعهما يذكران كلامهما البارحة، فذكرا ذلك، فوثب الملك عن سريره وقال: أنتما والله ولدي.

وقالت المرأة: والله أنا أمهما، وهو على جمعهم إذا يشاء قدير!

فسبحان مَنْ فرَّقهم وجمعهم[1].

■ ■ ■

(1) انظر: «نزهة المجالس ومنتخب النفائس» للصفوري [1/ 186]، بتصرف يسير.

البقرة التي بِـيعَتْ بوزنها ذهبًا

روي أنه كان في بني إسرائيل رجل صالح، وله طفل له عِجلة، فأتى بها إلى غَيْضة، وقال: اللهم إني أستودعك هذه العجلة لابني حتى يكبر، ومات الرجل . فصارت العجلة في الغيضة عَوانًا، وكانت تهرب من كل من رآها فلما كبر الابن، وكان بارًا بأمه، كان يقسم الليل ثلاثة أثلاث: يصلي ثلثًا، وينام ثلثًا، ويجلس عند رأس أمه ثلثًا، وكان إذا أصبح، انطلق فاحتطب على ظهره، وأتى به السوق فيبيعه بما شاء الله، ثم يتصدق بثلثه ويأكل بثلثه ويعطي أمه ثلثه .

فقالت أمه له يومًا: إن أباك ورثك عجلة استودعها الله في غيضة كذا وكذا، فانطلق وادع إله إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب أن يردَّها عليك، وعلامتها أنك إذا نظرتَ إليها يُخيَّل لك أن شعاع الشمس يخرج من جلدها، وكانت تسمى المُذَهَّبة لِحُسْنها وصفرتها .

فأتى الفتى الغيْضة فرآها ترعى فصاح بها، وقال: أعزِم عليك بإله إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب أن تأتيَ، فأقبلتْ تسعى حتى قامت بين يديه، فقبض على عنقها وأقبل يقودها .

فتكلمت العجلة بإذن الله تعالى وقالت: أيها الفتى البار بوالدته اركبني فإن ذلك أهون عليك. فقال الفتى: إن أمي لم تأمرني بذلك، ولكن قالت خذ بعنقها .

فقالت: وإله بني إسرائيل لو ركبتني لَمَا قدرت علي أبدًا، فانطلق فإنك لو أمرتَ الجبل أن ينقلع من أصله وينطلق معك لفعل؛ لِبِرِّك بأمك!

فسار الفتى بها إلى أمه فقالت له: إنك فقير لا مال لك، ويشق عليك الاحتطاب بالنهار والقيام بالليل، فانطلق فبع هذه البقرة، قال: بكم أبيعها ؟ قالت: بثلاثة دنانير، ولا تبع بغير مشورتي (وكان ثمن البقرة إذا ذاك ثلاثة دنانير).

فانطلق بها إلى السوق، فبعث الله إليه مَلَكًا ليُرِيَ قُدْرَتَه خلْقَه، وليختبر الفتى كيف

بِرِّه بوالدته، (وكان الله عليمًا خبيرًا).

فقال له الملك: بكم تبيع هذه البقرة ؟

قال: بثلاثة دنانير، وأشترط عليك رضا والدتي .

فقال له الملك: فإني أعطيك ستة دنانير ولا تستأمر والدتك!

فقال الفتى: لو أعطيتني وزنها ذهبًا لم آخذه إلا برضا والدتي.

ثم إن الفتى رجع إلى أمه وأخبرها بالثمن، فقالت له: ارجع وبعها بستة دنانير، على رضا مني، فانطلق بها إلى السوق.

فأتاه الملك فقال له: استأمرت أمك ؟

فقال له الفتى: إنها أمرتني أن لا أنقصها عن ستة دنانير على أن أستأمرها .

فقال له الملك: فإني أعطيك اثني عشر دينارًا، على أن لا تستأمرها.

فأبى الفتى ورجع إلى أمه، فأخبرها بذلك.

فقالت له: إن الذي يأتيك مَلَك في صورة آدمي ليجرِّبك!

فإذا أتاك فقل له: أتأمرنا أن نبيع هذه البقرة أم لا ؟ ففعل.

فقال له الملك: اذهب إلى أمك وقل لها: أمسكي هذه البقرة فإن موسى يشتريها منك لقتيل من بني إسرائيل، فلا تبيعيها إلا بمِلء مِسْكها ذهبًا (أي جلدها دنانير)، فأمسكوها . وقدَّر الله عز وجل على بني إسرائيل، ذبح تلك البقرة بعينها مكافأة له على بِرِّه بأمه، فضلا منه ورحمة، فما زالوا يستوصفون، حتى وُصِف لهم تلك البقرة بعينها[1].

من فوائد القصة:

سبب ذلك القصة: أنه كان في بني إسرائيل رجل غني وله ابن عم فقير لا وارث له سواه، فلما طال عليه موته؛ قتله ليرثه، وحوله إلى قرية أخرى، فألقاه بفنائها ثم أصبح

(1) انظر: «حياة الحيوان الكبرى» للدميري [2/ 419]. بتصرف يسير.

يطلب بثأره!

وجاء بناس إلى موسى - عليه الصلاة والسلام -، فادعى عليهم القتل! فسألهم موسى فجحدوا. فاشتبه أمر القتيل على موسى، فسألوا موسى أن يدعو الله ليبين لهم ذلك، فدعا الله، فأوحى إليه أن يعلمهم أن الله يأمرهم أن يذبحوا بقرة[1].

■ ■ ■

(1) قلتُ: والقصة مذكورة في كتب التفسير عند قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ﴾ [سورة: البقرة/ الشطر الأول من الآية:67].

قصة جُرَيْج العابد

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ – ﷺ –: « كَانَ جُرَيْجٌ يَتَعَبَّدُ فِي صَوْمَعَةٍ، فَجَاءَتْ أُمُّهُ. – وقد جعلَتْ كَفَّهَا فَوْقَ حَاجِبِهَا، ثُمَّ رَفعَتْ رَأْسَهَا إِلَيْهِ تدْعُوهُ – فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ أَنَا أُمُّكَ كَلِّمْنِي فَصَادَفَتْهُ يُصَلِّي.

فَقَالَ: اللهُمَّ أُمِّي وَصَلَاتِي؟! فَاخْتَارَ صَلَاتَهُ.

فَرَجَعَتْ، ثُمَّ عَادَتْ فِي الثَّانِيَةِ، فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ أَنَا أُمُّكَ فَكَلِّمْنِي.

قَالَ: اللهُمَّ أُمِّي وَصَلَاتِي؟ فَاخْتَارَ صَلَاتَهُ.

فَقَالَتْ: اللهُمَّ إِنَّ هَذَا جُرَيْجٌ وَهُوَ ابْنِي وَإِنِّي كَلَّمْتُهُ، فَأَبَى أَنْ يُكَلِّمَنِي، اللهُمَّ فَلَا تُمِتْهُ حَتَّى تُرِيَهُ الْمُومِسَاتِ [1] .

قَالَ: وَلَوْ دَعَتْ عَلَيْهِ أَنْ يُفْتَنَ لَفُتِنَ. قَالَ: وَكَانَ رَاعِي ضَأْنٍ يَأْوِي إِلَى دَيْرِهِ، قَالَ: فَخَرَجَتِ امْرَأَةٌ مِنَ الْقَرْيَةِ فَوَقَعَ عَلَيْهَا الرَّاعِي، فَحَمَلَتْ فَوَلَدَتْ غُلَامًا.

فَقِيلَ لَهَا: مَا هَذَا؟

قَالَتْ: مِنْ صَاحِبِ هَذَا الدَّيْرِ.

قَالَ فَجَاءُوا بِفُئُوسِهِمْ وَمَسَاحِيهِمْ، فَنَادَوْهُ فَصَادَفُوهُ يُصَلِّي، فَلَمْ يُكَلِّمْهُمْ، قَالَ: فَأَخَذُوا يَهْدِمُونَ دَيْرَهُ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ نَزَلَ إِلَيْهِمْ.

فَقَالُوا لَهُ: سَلْ هَذِهِ.

قَالَ: فَتَبَسَّمَ، ثُمَّ مَسَحَ رَأْسَ الصَّبِيِّ فَقَالَ: مَنْ أَبُوكَ؟

قَالَ: أَبِي رَاعِي الضَّأْنِ.

---

(1) أي: البغايا المتجاهرات بذلك.

فَلَمَّا سَمِعُوا ذَلِكَ مِنْهُ قَالُوا: نَبْنِي مَا هَدَمْنَا مِنْ دَيْرِكَ بِالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، قَالَ: لَا، وَلَكِنْ أَعِيدُوهُ تُرَابًا كَمَا كَانَ»[1].

من فوائد القصة:

مع ابتلاء جريج بما ابتلاه الله به إلا أن الله نَفَعه بصلاته، وكانت له نجاة من تلك الفتنة التي كاد أن يُقْتَل فيها.

وهذه القصة التي بين أيدينا هي قصة مِن أنباء مَن قد سبق، قصها علينا النبي - ﷺ - وهو الذي لا ينطق عن الهوى.

ومن فوائد القصة: أن صاحب الصدق مع الله لا تضره الفتن، فنلاحظ أن جريجًا لما كان متفرغًا للعبادة مقبلًا على الله كان صاحب قلب قوي، وإيمان سوي، ولذلك ما ضرته المرأة لما تعرضت له، والإنسان لو كان إيمانه ضعيفًا، فدعته امرأة وهي ذات جمال ربما يقع.

لكن عندما يكون الإنسان صاحب دين وصاحب عبادة، ليس فقط لا يقع، وإنما لا يلتفت أصلًا[2].

■ ■ ■

(1) [صحيح] أخرجه: مسلم [رقم/ 2550]، - واللفظ له - والبخاري [رقم/ 2482] وغيره.
(2) نقلا عن «سلسلة القصص/ دروس صوتية» لفضيلة الشيخ: محمد صالح المنجد.

القاتل لا يفلت من عقاب الله تعالى

عن مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه قَالَ: «كَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ رَجُلٌ عَقِيمٌ لا يُولَدُ لَهُ، وَكَانَ يَخْرُجُ فَإِذَا رَأَى غُلامًا مِنْ غِلْمَانِ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَيْهِ حُلِيٌّ، يَخْدَعُهُ حَتَّى يُدْخِلَهُ فَيَقْتُلُهُ وَيُلْقِيهِ فِي مَطْمُورَةٍ[1] لَهُ.

فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ لَقِيَ غُلامَيْنِ أَخَوَيْنِ عَلَيْهِمَا حُلِيٌّ لَهُمَا، فَأَدْخَلَهُمَا فَقَتَلَهُمَا وَطَرَحَهُمَا فِي مَطْمُورَةٍ لَهُ، وَكَانَتْ لَهُ امْرَأَةٌ مُسْلِمَةٌ تَنْهَاهُ عَنْ ذَلِكَ فَتَقُولُ لَهُ: إِنِّي أُحَذِّرُكَ النِّقْمَةَ مِنَ اللهِ - عَزَّ وَجَلَّ.

وَكَانَ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ اللهَ أَخَذَنِي عَلَى شَيْءٍ أَخَذَنِي يَوْمَ فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، فَتَقُولُ[2]: إِنَّ صَاعَكَ لَمْ تَمْتَلِئْ بَعْدُ، وَلَوْ قَدِ امْتَلأَ صَاعُكَ أُخِذْتَ.

فَلَمَّا قَتَلَ الْغُلامَيْنِ الأَخَوَيْنِ خَرَجَ أَبُوهُمَا، فَطَلَبَهُمَا فَلَمْ يَجِدْ أَحَدًا يُخْبِرُهُ عَنْهُمَا، فَأَتَى نَبِيًّا مِنْ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ: هَلْ كَانَتْ لَهُمَا لُعْبَةٌ يَلْعَبَانِ بِهَا؟

قَالَ: نَعَمْ، كَانَ لَهُمَا جَرْوٌ[3]، فَأُتِيَ بِالْجَرْوِ فَوَضَعَ النَّبِيُّ خَاتَمَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، ثُمَّ خَلَّى سَبِيلَهُ فَقَالَ: أَوَّلُ دَارٍ يَدْخُلُهَا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِيهَا مَيِّتَانِ.

فَأَقْبَلَ الْجَرْوُ يَتَخَلَّلُ الدُّورَ حَتَّى دَخَلَ دَارًا، فَدَخَلُوا خَلْفَهُ، فَوَجَدُوا الْغُلامَيْنِ مَقْتُولَيْنِ مَعَ غُلامٍ قَدْ قَتَلَهُ وَطَرَحَهُمْ فِي الْمَطْمُورَةِ، فَانْطَلَقُوا بِهِ إِلَى النَّبِيِّ فَأَمَرَ بِهِ أَنْ يُصْلَبَ.

فَلَمَّا رُفِعَ عَلَى خَشَبَتِهِ أَتَتِ امْرَأَتُهُ فَقَالَتْ: يَا فُلانُ قَدْ كُنْتُ أُحَذِّرُكَ هَذَا الْيَوْمَ، وَأُخْبِرُكَ أَنَّ اللهَ غَيْرُ تَارِكِكَ وَأَنْتَ تَقُولُ: لَوْ أَنَّ اللهَ أَخَذَنِي عَلَى شَيْءٍ أَخَذَنِي يَوْمَ فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، فَأُخْبِرُكَ أَنَّ صَاعَكَ بَعْدُ لَمْ تَمْتَلِئْ، أَلا وَإِنَّ هَذَا قَدِ امْتَلأَ صَاعُكَ»[4].

---

(1) وَهُوَ مِنْ طَمَرْتُ الشيءَ إِذَا أخفيته. وَمِنْهُ المَطْمُورَة: الحَبْسُ. راجع: «النهاية في غريب الحديث والأثر» [3/ 138].

(2) أي زوجته.

(3) الجرو: الصَّغِير من ولد الكَلْب والأسد وَالسِّبَاع. راجع: «المعجم الوسيط» [1/ 119].

(4) أخرجه: البيهقي في « شعب الإيمان» [9/ 418].

قِصَّةُ بَرْصِيصَا العابد

عَنْ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ فِي قوله تعالى: ﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [سورة: الْحَشْرِ/ الآيتان: 16 - 17].

قَالَ عبد الله بْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: «كَانَت امْرَأَةٌ تَرْعَى الْغَنَمَ، وَكَانَ لَهَا إِخْوَةٌ أَرْبَعَةٌ، وَكَانَتْ تَأْوِي بِاللَّيْلِ إِلَى صَوْمَعَةِ رَاهِبٍ.

قَالَ: فَنَزَلَ الرَّاهِبُ فَفَجَرَ بِهَا[1] فَحَمَلَتْ، فَأَتَاهُ الشَّيْطَانُ فَقَالَ لَهُ: اقْتُلْهَا ثُمَّ ادْفِنْهَا، فَإِنَّكَ رَجُلٌ مُصَدَّقٌ، يُسْمَعُ قَوْلُكَ! فَقَتَلَهَا ثُمَّ دَفَنَهَا!

قَالَ: فَأَتَى الشَّيْطَانُ إِخْوَتَهَا فِي الْمَنَامِ؛ فَقَالَ لَهُمْ: إِنَّ الرَّاهِبَ صَاحِبَ الصَّوْمَعَةِ فَجَرَ بِأُخْتِكُمْ، فَلَمَّا أَحْبَلَهَا قَتَلَهَا، ثُمَّ دَفَنَهَا فِي مَكَانِ كَذَا وَكَذَا.

فَلَمَّا أَصْبَحُوا قَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ: وَاللهِ لَقَدْ رَأَيْتُ الْبَارِحَةَ رُؤْيَا مَا أَدْرِي أَقُصُّهَا عَلَيْكُمْ أَمْ أَتْرُكُ؟

قَالُوا: لَا بَلْ قُصَّهَا عَلَيْنَا.

قَالَ: فَقَصَّهَا.

فَقَالَ الْآخَرُ: وَأَنَا وَاللهِ لَقَدْ رَأَيْتُ ذَلِكَ.

فَقَالَ الْآخَرُ: وَأَنَا وَاللهِ لَقَدْ رَأَيْتُ ذَلِكَ.

قَالُوا: فَوَاللهِ مَا هَذَا إِلَّا لِشَيْءٍ.

---

(1) أي: زنى بها.

فَانْطَلَقُوا فَاسْتَعَدَوْا مَلِكَهُمْ عَلَى ذَلِكَ الرَّاهِبِ، فَأَتَوْهُ فَأَنْزَلُوهُ، ثُمَّ انْطَلَقُوا بِهِ فَأَتَاهُ الشَّيْطَانُ فَقَالَ: إِنِّي أَنَا الَّذِي أَوْقَعْتُكَ فِي هَذَا، وَلَنْ يُنْجِيَكَ مِنْهُ غَيْرِي! فَاسْجُدْ لِي سَجْدَةً وَاحِدَةً! وَأُنَجِّيكَ مِمَّا أَوْقَعْتُكَ فِيهِ!

قَالَ: فَسَجَدَ لَهُ!! فَلَمَّا أَتَوْا بِهِ مَلِكَهُمْ تَبَرَّأَ مِنْهُ، وَأُخِذَ فَقُتِلَ»[1].

■ ■ ■

(1) انظر: «البداية والنهاية» لابن كثير [3/ 44 - 45]. والقصة قد ذكرها غير واحد من أهل العلم، بسياق آخر.

ليس لي على النار جَلَدٌ

كان في بني إسرائيل امرأة صالحة محافظة على الصلاة في وقتها، ولها زوج كافر! فنهاها عن ذلك، فلم تُطِعه.

فأودعها مالًا ثم سرقه وألقاه في البحر! فابتلعته سمكة، فأخذها صياد وباعها لزوج المرأة! فأخذتها لتصلحها[1]، فوجدت الصرة التي فيها المال في جوفها! فوضعتها في مكانها.

ثم طلب منها المال فدفعته إليه! فتعجب من ذلك. فأوقدت المرأة تنُّورًا[2] لتخبز فيه العجين، فرماها الكافر فيه[3]! فقالت: يا واحد يا أَحَد؛ ليس لي على النار جَلَد[4]! فخمدت النار بإذن الله[5].

من فوائد القصة:

انظر هذا الزوج الكافر كيف كان يحتال على إيذاء زوجته المؤمنة فلم يُفْلِح، وردَّ الله كيده إلى نحْره!

أراد أن يؤذيها أولا بذلك المال الذي ائتمنها عليه، ثم سرقه منها بدون علمها، حتى إذا طلبه منها فلم تجده، اتهمها بسرقته وعدم الأمانة، واتخذ من ذلك سبيلا في إهانتها وسبِّها، لكن الله حفظ تلك المرأة بصلاتها وإيمانها وثقتها بالله، وأعاد إليها ذلك المال مرة أخرى بطريقة عجيبة لكنها غير غريبة على قدرته سبحانه وتعالى.

ثم عاد ذلك الزوج الكافر مرة أخرى في محاولة لإيذاء زوجته بأيِّ سبيل، فأخذ

---

(1) من أجل أكلها.

(2) مكان تُوقد في النار.

(3) أي رمى الكافر صرة المال في النار!

(4) أي لم استطع أن أُدخل يدي في النار لإخراج تلك الصرة!

(5) انظر: «نزهة المجالس ومنتخب النفائس» للصفوري [1/ 117].

صرَّة النقود ورمى بها في التنُّور الذي تُوقِد امرأته عليه الطعام، وهذا بدون علمها، فلما رأته المرأة قبل أن يحترق لم تدْرِ كيف السبيل من إنقاد الصرة من النار! وخشيتْ أن تحترق يدها إنْ مدَّتْها لإخراج تلك الصرة!

وهنا لجأت إلى رب العالمين قائلة: « يا واحد يا أحَد؛ ليس لي على النار جَلَد »! أي لا أقوى على الاقتراب من النار، فاستجاب الله رجاءها، وأخمد النار بقدرته.

■ ■ ■

قصة الأبْرَص وَالأقْرَعَ وَالأعْمَى

عن أَبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهَّ ﷺ، يَقُـولُ: «إِنَّ ثَلاثَـةً فِي بَنِـي إِسْرَائِيـلَ: أَبْرَصَ وَأَقْرَعَ وَأَعْمَى، بَدَا لله تعالى [1] أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ[2]، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا[3].

فَأَتَى الأَبْرَصَ، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: لَوْنٌ حَسَنٌ، وَجِلْـدٌ حَـسَنٌ، قَـدْ قَذِرَنِي النَّاسُ، قَالَ: فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ، فَأُعْطِيَ لَوْنًا حَسَنًا، وَجِلْدًا حَسَنًا.

فَقَالَ: أَيُّ المَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟

قَالَ: الإِبِلُ. فَأُعْطِيَ نَاقَةً عُشَرَاءَ[4].

فَقَالَ: يُبَارَكُ لَكَ فِيهَا.

وَأَتَى الأَقْرَعَ فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟

قَالَ شَعَرٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِّي هَذَا، قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ.

قَالَ: فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ وَأُعْطِيَ شَعَرًا حَسَنًا، قَالَ: فَأَيُّ المَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟

قَالَ: البَقَرُ.

قَالَ: فَأَعْطَاهُ بَقَرَةً حَامِلًا، وَقَالَ: يُبَارَكُ لَكَ فِيهَا.،

وَأَتَى الأَعْمَى فقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟

قَالَ: يَرُدُّ اللهُّ إِلَيَّ بَصَرِي، فَأُبْصِرُ بِهِ النَّاسَ.

قَالَ: فَمَسَحَهُ فَرَدَّ اللهُّ إِلَيْهِ بَصَرَهُ!

---

(1) أراد أن يظهر ما سبق في علمه.

(2) أي: يختبرهم.

(3) أي بصورة إنسان.

(4) الحامل التي أتى على حملها عشرة أشهر من يوم طَرْق الفحل لها. ويقال لها ذلك إلى أن تلد، وبعدما تضع.

قَالَ: فَأَيُّ المَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟

قَالَ الغَنَمُ.

فَأَعْطَاهُ شَاةً وَالِدًا[1]، فَأُنْتِجَ هَذَانِ[2] وَوَلَّدَ هَذَا[3]، فَكَانَ لِهَذَا وَادٍ مِنْ إِبِلٍ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنْ بَقَرٍ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنْ غَنَمٍ.

ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى الأَبْرَصَ فِي صُورَتِهِ[4] وَهَيْئَتِهِ[5]، فَقَالَ رَجُلٌ مِسْكِينٌ[6]، تَقَطَّعَتْ بِيَ الحِبَالُ[7] فِي سَفَرِي، فَلاَ بَلاَغَ[8] اليَوْمَ إِلَّا بِاللهِ ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الحَسَنَ، وَالجِلْدَ الحَسَنَ، وَالمَالَ، بَعِيرًا[9] أَتَبَلَّغُ عَلَيْهِ فِي سَفَرِي[10].

فَقَالَ لَهُ: إِنَّ الحُقُوقَ كَثِيرَةٌ!!

فَقَالَ لَهُ: كَأَنِّي أَعْرِفُكَ؟ أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَقْذَرُكَ النَّاسُ، فَقِيرًا فَأَعْطَاكَ اللهُ؟

فَقَالَ: لَقَدْ وَرِثْتُ لِكَابِرٍ عَنْ كَابِرٍ!!

فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللهُ إِلَى مَا كُنْتَ.

وَأَتَى الأَقْرَعَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ لَهُ: مِثْلَ مَا قَالَ لِهَذَا، فَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا رَدَّ عَلَيْهِ هَذَا!

---

(1) أي حامل. وقيل: أي عرف منها كثرة النتاج.

(2) أي صاحب الإبل والبقر وأنتج من النتاج وهو ما تضعه البهائم.

(3) أي فعل هذا في الشاء كفعل الآخَرَيْن في البقر والإبل؛ من التربية والرفق بالنتاج عند الولادة.

(4) أي: التي كان عليها.

(5) من رذالة الملبس، وقيل: الضمير في صورته وهيئته؛ يرجعان للمَلَك. أي: جاءه بعد أن صار مُعافى غنيًّا في الصورة التي قد جاءه فيها وهو بضد ذلك، فدعا له فذهب عنه. راجع: «دليل الفالحين في شرح رياض الصالحين» ابن علان [1/ 242].

(6) من المسكنة: وهي الحاجة. أي: أنا رجل محتاج.

(7) وهو المستطيل من الرمل. وقيل الأسباب في طلب الرزق.

(8) البلاغ: ما يُتَبلَّغ ويتوصل به إلى الشيء المطلوب: أي الوصول لي لما أريده.

(9) هو اسم يقع على الذكر والأنثى، وهو من الإبل بمنزلة الإنسان من الناس. راجع: «دليل الفالحين في شرح رياض الصالحين» ابن علان [1/ 243].

(10) أي: بعيرًا أكتفي به. أو حال كوني عليه.

فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللهُ إِلَى مَا كُنْتَ.

وَأَتَى الأَعْمَى فِي صُورَتِهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ وَابْنُ سَبِيلٍ وَتَقَطَّعَتْ بِيَ الحِبَالُ فِي سَفَرِي، فَلاَ بَلاَغَ اليَوْمَ إِلَّا بِاللهِ ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ؛ شَاةً أَتَبَلَّغُ بِهَا فِي سَفَرِي.

فَقَالَ: قَدْ كُنْتُ أَعْمَى فَرَدَّ اللهُ بَصَرِي، وَفَقِيرًا فَقَدْ أَغْنَانِي، فَخُذْ مَا شِئْتَ، فَوَاللهِ لاَ أَجْهَدُكَ اليَوْمَ بِشَيْءٍ أَخَذْتَهُ للهِ!

فَقَالَ أَمْسِكْ مَالَكَ، فَإِنَّمَا ابْتُلِيتُمْ [أي أن الله قد اختبركم] فَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنْكَ، وَسَخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ»[1].

من فوائد القصة:

في تلك القصة عِبَر وفوائد كثيرة، منها:

1 - اختبار الله لعباده، وهي سُنة الله في أرضه، كما أخبر الله به في كتابه.

2 - الابتلاء يكون في الجسم والمال والأولاد وغيرها.

3 - الملائكة تتصوَّر أحيانًا على هيئة البَشر، وتتكلم، وتمسح على المريض فيبرأ بإذن الله.

4 - لا شيء أحب للمبتلَى بالمرض من ذهاب مرضه ومعافاته.

5 - الله هو الذي يعطي ويمنع، ويُغْنِي ويُفْقِر، بتقديره وحكمته.

6 - بعض الأغنياء ينسون ماضيهم الفقير ويغضبون ممن يذكِّرهم به.

7 - إنكار النعمة يجلب النقمة، ويُسبِّب الشقاء.

8 - الكرم يجلب النعمة ويُذْهِب بالنقمة، ويُرْضِي الرب، والبخل يجلب السوء ويُسْخِط الرب.

9 - المؤمن يَفِي بما وعد ولا يبخل، والمنافق يعاهد ويَعد، ولكن لا يفي بعهده ووعده.[2]

---

(1) [صحيح] أخرجه: البخاري [رقم/ 3277] ومسلم [رقم/ 2964]، وجماعة غيرهما من حديث: أبي هريرة رضي الله عنه.

(2) انظر: «من بدائع القصص النبوي الصحيح» [ص/ 8 - 9].

قد قَضَيْتُ
أن جميع عمركما يكون في الغِنَى

كان في بني إسرائيل رجل صالح له زوجة صالحة، فأوحى الله إلى نبي زمانهما قل للعابد إني قد قضيت أن نصف عمره يمضي في الغِنَى، ونصفه في الفقر، فإن اختار الغنى في شبابه أغنيناه أو في كِبَرِه فعلناه.

فاختار الغِنَى في كِبَرِه؛ لئلا يشتغل بالكسْب [يعني: بالعمل وطلب الرزق] عن العبادة في آخر عمره.

واختارت الزوجة أن يكون الغِنَى في صغرها؛ لأنه أقوى لها على العبادة، والكبير لا يليق به إلا الزهد والانقطاع إلى ربه.

فأوحى الله إلى نبي زمانهما: قل لهما: لما آثَرْتما طاعتي، واجتهدتما على عبادتي؛ قد قضيت أن جميع عمركما يكون في الغِنى؛ لتحصل لكما الدنيا والآخرة[1].

الدروس المستفادة

هكذا يكون جزاء من قدَّم طاعة الله على رغبته وشهوته، وهكذا يكون ثواب من بادر بما ينفعه في آخرته قبل ما تنقضي لذته بفواته.

وكم ممن آثر مقام ربه ونهى النفس عن الهوى قد عوضه الله خيرًا مما آثر، وبارك له في أمره كله، واستوفى نصيبه يوم الحساب غير منقوص. والعاقبة للمتقين.

■ ■ ■

(1) انظر: «نزهة المجالس ومنتخب النفائس» للصفوري [1/ 101]، بتصرف يسير.

الشاب الذي كان يقرأ التوراة ويشرب الخمر!

كان في بني إسرائيل شاب إذا قرأ التوراة خرج الرجال والنساء لحُسْن صوته! وكان يشرب الخمر!!

فقالت له أمه: لو علم بك عُبَّاد بني إسرائيل؛ لأخرجوك من جوارهم.

فدخل ليلة وهو سكران، فقرأ التوراة، فاجتمع الناس فقالت له أمه: قم فتوضأ، فضرب وجهها، فقلع عينها، وقلع سِنَّها!!

فقالت: لا رَضِيَ الله عنك!

فلما أصبح رآها قال: السلام عليك يا أماه! فلا أراك بعدها إلى يوم القيامة! فقالت: لا رضي الله عنك، أينما توجهت.

فذهب إلى جبل يعبد ربه فيه أربعين سنة! حتى لصق جلده على عظمه!

ثم رفع رأسه وقال: يا رب، إن كنت غفرت لي فأعَلِمْني؟

فهتف به هاتف: رضائي من رضا أمك.

فرجع إليها ونادى لها: «يا مفتاح الجنة» إنْ كنتِ بالحياة وَاطَرَباه.

وإنْ كنتِ ميِّتة فوَاعَذَباه.

فقالت: من هذا؟

فقال: وَلَدُكِ.

فقالت: لا رضيَ الله عنك!

فتقدم إليها وقطع يده! وقال: هذه التي قلعتْ عينك؛ لا تصحبني أبدًا!

ثم قال لأصحابه: اجمعوا إلي حَطبًا ونارًا، ففعلوا، فوثب فيها وقال لجسمه: ذُقْ نار الدنيا، قبل نار الآخرة!

فأخبروا أمه بذلك، فنادته: يا قرة عيني؛ أين أنت؟

قال بين النيران!

قالت: يا بني رضي الله عنك!

فأمر الله (تعالى) جبريل فمسح بريشة من جناحه على عينها وسنها؛ فعادا كما كانا! ثم مسح يد ولدها؛ فعادت كما كانت بإذن الله تعالى!![1].

■ ■ ■

(1) انظر: «نزهة المجالس ومنتخب النفائس» للصفوري [1/ 188].

هدَمُوا بيتي وأنا غائبة فأين كنتَ أنت؟

عن وهب بن منبه قال: «بنى جبَّار من الجبابرة قصرًا وشيَّده وأحسن بناءه، فجاءت امرأة عجوز فبنت إلى ظهر قصره كوخًا صغيرًا تعبد الله فيه.

فركب ذلك الملِك الجبار يومًا فطاف بفِناء القصر فرأى الكوخ الصغير.

فقال: ما هذا؟ ومن أين جاء؟

فقيل له: ها هنا امرأة عجوز تسكن فيه، وهي التي أقامتْه.

فأمرهم أن يهدموه على من فيه! فهدموه ولم تكن المرأة العجوز حاضرة، وإنما كانت خرجتْ لبعض شأنها.

فلما جاءت العجوز رأت كوخها قد صار ترابًا!

فقالت مَنْ فعل هذا؟

فقيل لها: إن الملك ركب فرآه فأمر بهدمه!

فرفعت العجوز طرْفَها إلى السماء وقالت: هدَمُوا بيتي وأنا غائبة فأين كنتَ أنت؟

فأمر الله عز وجل جبريل أن يقلب القصر على مَنْ فيه»! [1]

الدروس المستفادة من القصة:

هكذا تكون عاقبة الظلم وأهله، يَعِيث الظالم في الأرض فسادًا ولا يتذكر أن للمساكين ربًّا يحميهم، ويبطش الظالم بمن شاء من المستضعفين ولا يدري أن الذي في السماء يرعاهم ويغضب لمن أذاه فيهم!

(1) نقلا - ببعض التصرف والإيضاح - عن «التبصرة» [1/ 66] لابن الجوزي.

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدرا ... فالظلْمُ آخِــرُه يأتيك بالنــدمِ

تنــام عينــاك والمظلومُ مُنْتبِــهٌ ... يــدعو عليك وعينُ الله لم تَنَمِ

«الويل لأهل الظلم من ثِقَل الأوزار، فذِكْرُهم بالقبائح قد ملأ الأقطار، يكفيهم أنهم قد وُصِفُوا بين الناس بالأشرار. ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ (سورة إبراهيم: آية: 42).

ذهبتْ لذَّاتهم بما ظلموا وبقِيَ لهم العار، وداروا إلى دار العقاب ومَلَك غيرهم الدار، وتُرِكوا بالعذاب في بطون تلك الأحجار، فلا مغيث ولا أنيس ولا رفيق ولا جار، ولا راحة لهم ولا سكون ولا مَزَار ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ (سورة إبراهيم: آية: 42).

سالت دموع أسفهم على آثامهم كالأنهار، شيَّدوا بنيان الأمل فإذا به على رؤوسهم قد انهار، أما علموا أن الله جَار المظلوم ممن جار؟ فإذا قاموا في القيامة زاد البلاء على المِقدار، فلا يغرنَّك صفاء عيشهم فكله على الحقيقة أكْدار ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ (سورة إبراهيم: آية: 42). [1]

■ ■ ■

---

(1) نقلا - ببعض التصرف والإيضاح - عن «التبصرة» [1/ 66 - 67] لابن الجوزي

(١)
قصة الملك الذي ترك ملكه
وساح في الأرض يعبد ربَّه

عن عبد الله بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانَ فِي مَمْلَكَتِهِ، فَتَفَكَّرَ فَعَلِمَ أَنَّ ذَلِكَ مُنْقَطِعٌ عَنْهُ، وَأَنَّ مَا هُوَ فِيهِ قَدْ شَغَلَهُ عَنْ عِبَادَةِ رَبِّهِ! فَتَسَرَّبَ فَانْسَابَ ذَاتَ لَيْلَةٍ مِنْ قَصْرِهِ، فَأَصْبَحَ فِي مَمْلَكَةِ غَيْرِهِ.

وَأَتَى سَاحِلَ الْبَحْرِ، فَكَانَ بِهِ يَضْرِبُ اللَّبِنَ بِالأَجْرِ [يعني: يعمل الطُّوب أجيرًا] فَيَأْكُلُ وَيَتَصَدَّقُ بِالْفَضْلِ!

فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى رَقِيَ أَمْرُهُ إِلَى مَلِكِهِمْ وَعِبَادَتُهُ وَفَضْلُهُ!

فَأَرْسَلَ مَلِكُهُمْ إِلَيْهِ أَنْ يَأْتِيَهُ، فَأَبَى أَنْ يَأْتِيَهُ!

فَأَعَادَ الرَّسُولَ فَأَبَى أَنْ يَأْتِيَهُ! وَقَالَ: مَا لَهُ وَمَا لِي؟

قَالَ: فَرَكِبَ الْمَلِكُ فَلَمَّا رَآهُ الرَّجُلُ؛ وَلَّى هَارِبًا!

فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ الْمَلِكُ رَكَضَ فِي أَثَرِهِ فَلَمْ يُدْرِكْهُ!

قَالَ: فَنَادَاهُ: يَا عَبْدَ اللهِ، إِنَّهُ لَيْسَ عَلَيْكَ مِنِّي بَأْسٌ، فَأَقَامَ حَتَّى أَدْرَكَهُ.

فَقَالَ لَهُ: مَنْ أَنْتَ رَحِمَكَ اللهُ؟

قَالَ: أَنَا فُلانُ ابْنُ فُلانٍ، صَاحِبُ مُلْكِ كَذَا وَكَذَا! تَفَكَّرْتُ فِي أَمْرِي فَعَلِمْتُ أَنَّ مَا أَنَا فِيهِ مُنْقَطِعٌ [يعني: زائل غير دائم] فَإِنَّهُ قَدْ شَغَلَنِي عَنْ عِبَادَةِ رَبِّي فَتَرَكْتُهُ! وَجِئْتُ هَا هُنَا أَعْبُدُ رَبِّي تعالى!

فَقَالَ: مَا أَنْتَ بِأَحْوَجَ إِلَى مَا صَنَعْتَ مِنِّي!

قَالَ: ثُمَّ نَزَلَ عَنْ دَابَّتِهِ فَسَيَّبَهَا، ثُمَّ تَبِعَهُ!

فَكَانَا جَمِيعًا يَعْبُدَانِ اللهَ تعالى!

فَدَعَوَا اللهَ أَنْ يُمِيتَهُمَا جَمِيعًا؛ قَالَ: فَمَاتَا!!

قَالَ عبد الله بْنِ مَسْعُودٍ - رضي الله عنه - لَوْ كُنْتُ بِرُمَيْلَةِ مِصْرَ[1] لأَرَيْتُكُمْ قُبُورَهُمَا بِالنَّعْتِ الَّذِي نَعَتَ لَنَا رَسُولُ الله - صلى الله عليه وسلم -»[2].

■ ■ ■

---

(1) قال الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على «المسند»: «الرميلة: هي ميدان تحت قلعة الجبل، كانت ميدان أحمد بن طولون، وبها كانت قصورُه وبساتينه، وهي المعروفة الآن باسم ميدان صلاح الدين، وباسم المنشية بالقاهرة.

وانظر أيضًا: «النجوم الزاهرة» [4/ 49].

(2) أخرجه: أحمد في «مسنده» [1/ 451]، وجماعة.

احكم بيني وبين الريح!

كان في زمن داود - عليه السلام -، عجوز فتصدقت في يوم بثلاثة أرغفة، وكانت قد طحنت دقيقًا، فطيَّرَتْه الريح!

فقالت لداود - عليه السلام -،: احكم بيني وبين الريح! فأعطاها ألف درهم.

فقال سليمان - عليه السلام -،: ارجعي إليه واطلبي منه الحُكْم! فرجعت فأعطاها ألف درهم أخرى.

فقال سليمان عليه السلام: ارجعي واطلبي الحكم!

فقال: من يأمرك بالرجوع؟

قالت: سليمان. فطلبه وسأله عن ذلك.

فقال: الحكم واجب، والصدقة فضل، والواجب أولى.

فطلب داود الريح وقال: ما حملك على إتلاف الدقيق؟

فأحالت على الخازن! وأحال الخازن على جبريل! وجبريل على ميكائيل! وميكائيل على رب العالمين!

فقال: يا جبريل؛ أَخْبِر داود أني لم أفعل شيئًا عبثًا.

وذلك أن فأرة نقبَتْ مركبًا، فكان ذلك سببًا لنجاتهم يا داود، خذ ثلث ما في المركب للعجوز، فإذا هو ثلاثمائة ألف دينار!

فقال داود: هل فعلتِ شيئًا من الخير؟

قالت: نعم، تصدقتُ بثلاثة أرغفة[1].

---

(1) انظر: «نزهة المجالس ومنتخب النفائس» للصفوري [1/ 205].

الرجل صاحب الخَشَبَة والألف دينار

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – عَنْ رَسُولِ الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – «أَنَّهُ ذَكَرَ رَجُلًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، سَأَلَ بَعْضَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يُسْلِفَهُ أَلْفَ دِينَارٍ، فَقَالَ: ائْتِنِي بِالشُّهَدَاءِ أُشْهِدُهُمْ.

فَقَالَ: كَفَى بِاللهِ شَهِيدًا.

قَالَ: فَأْتِنِي بِالكَفِيلِ.

قَالَ: كَفَى بِاللهِ كَفِيلًا.

قَالَ: صَدَقْتَ، فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى.

فَخَرَجَ فِي البَحْرِ فَقَضَى حَاجَتَهُ، ثُمَّ التَمَسَ مَرْكَبًا يَرْكَبُهَا يَقْدَمُ عَلَيْهِ لِلْأَجَلِ الَّذِي أَجَّلَهُ، فَلَمْ يَجِدْ مَرْكَبًا، فَأَخَذَ خَشَبَةً فَنَقَرَهَا، فَأَدْخَلَ فِيهَا أَلْفَ دِينَارٍ وَصَحِيفَةً مِنْهُ إِلَى صَاحِبِهِ، ثُمَّ زَجَّجَ مَوْضِعَهَا، ثُمَّ أَتَى بِهَا إِلَى البَحْرِ.

فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ تَسَلَّفْتُ فُلَانًا أَلْفَ دِينَارٍ، فَسَأَلَنِي كَفِيلاً.

فَقُلْتُ: كَفَى بِاللهِ كَفِيلًا، فَرَضِيَ بِكَ!

وَسَأَلَنِي شَهِيدًا، فَقُلْتُ: كَفَى بِاللهِ شَهِيدًا، فَرَضِيَ بِكَ!

وَأَنِّي جَهَدْتُ أَنْ أَجِدَ مَرْكَبًا أَبْعَثُ إِلَيْهِ الَّذِي لَهُ فَلَمْ أَقْدِرْ، وَإِنِّي أَسْتَوْدِعُكَهَا.

فَرَمَى بِهَا فِي البَحْرِ حَتَّى وَلَجَتْ فِيهِ، ثُمَّ انْصَرَفَ وَهُوَ فِي ذَلِكَ يَلْتَمِسُ مَرْكَبًا يَخْرُجُ إِلَى بَلَدِهِ.

فَخَرَجَ الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ أَسْلَفَهُ، يَنْظُرُ لَعَلَّ مَرْكَبًا قَدْ جَاءَ بِمَالِهِ، فَإِذَا بِالخَشَبَةِ الَّتِي فِيهَا المَالُ، فَأَخَذَهَا لِأَهْلِهِ حَطَبًا، فَلَمَّا نَشَرَهَا وَجَدَ المَالَ وَالصَّحِيفَةَ!

ثُمَّ قَدِمَ الَّذِي كَانَ أَسْلَفَهُ، فَأَتَى بِالأَلْفِ دِينَارٍ، فَقَالَ: وَاللهِ مَا زِلْتُ جَاهِدًا فِي طَلَبِ

مَرْكَبٍ لِآتِيَكَ بِمَالِكَ، فَمَا وَجَدْتُ مَرْكَبًا قَبْلَ الَّذِي أَتَيْتُ فِيهِ.

قَالَ: هَلْ كُنْتَ بَعَثْتَ إِلَيَّ بِشَيْءٍ؟

قَالَ: أُخْبِرُكَ أَنِّي لَمْ أَجِدْ مَرْكَبًا قَبْلَ الَّذِي جِئْتُ فِيهِ؟!

قَالَ: فَإِنَّ اللهَ قَدْ أَدَّى عَنْكَ الَّذِي بَعَثْتَ فِي الْخَشَبَةِ، فَانْصَرِفْ بِالأَلْفِ الدِّينَارِ رَاشِدًا»[1].

مُلَخَّص القصة

هذا الحديث فيه ذِكْر رجل من بني إسرائيل كان يُسَلِّف الناس، إذا أتاه الرجل بكفيل سلَّفه، جاءه شخص يريد أن يستلف ألف دينار، والألف دينار مبلغ باهظ، وإذا أردنا أن نحسبها الآن، فالدينار أربعة غرامات وربع من الذهب، أي: (1000 × 4.

0.25) أربعة كيلوات ذهبًا وربع كم تكون، إذا حسبنا الكيلو بخمسين ألفًا؟ حوالي ربع مليون (225.000).

يريد أن يستلف منه ربع مليون، قال: هات كفيلًا، (**فأتني بالكفيل**) - هذا ما عنده كفيل، رجل صادق لكن ما عنده كفيل - قال: **كفى بالله كفيلًا** - يعني: جعلت الله كفيلي، كفى بالله كفيلًا بيني وبينكم، لما لمس هذا صدق صاحبه - قال: صدقتَ.

وفي رواية: «**سبحان الله**»! نعم، والشهيد؟ قال: **كفى بالله شهيدًا**

والدَّيْن يوثَّق في الشريعة بأربعة أشياء هي طرق توثيق الدَّيْن في الشريعة:

أولًا: الكتابة.

ثانيًا: الشهود.

ثالثًا: الكفيل.

رابعًا: الرهن.

---

(1) [صحيح] أخرجه: البخاري [رقم/ 2169]، وجماعة غيره من حديث: عَنْ أَبِي هُرَيْرَة رضي الله عنه.

والأجل مجرد موعد.

وهذا من عِظَم الدَّين في الشريعة وحفظ حقوق الناس.

قال: «**فائتني بالكفيل، قال**: كفى بالله كفيلًا».

قال: ائتني بالشهيد، قال: كفى بالله شهيدًا، قال: صدقت، فدفعها إليه، فخرج في البحر فقضى حاجته ....

ركب هذا الرجل المستلف البحر بالمال يتاجر فيه، ويضارِب ويتاجر به، فلما قضى حاجته وحل الأجل، فلما جاء ليرجع اضطرب البحر، أو أنه ارتج البحر بينهما، أو أنه لم يجد مركبًا.

وعلى الشاطيء الآخر كان الرجل ينتظر حسب الموعد، فلم يجد صاحبه، لكنه في النهاية وجد خشبه تتهادَى على سطح الماء حتى ألقاها اليم بالساحل، فبدلًا من أن يعود بخفي حنين أخذ هذه الخشبة حطبًا لأهله، فلما نشرها وقطعها بالمنشار وجد المال.[1]

■ ■ ■

(1) انظر: «سلسلة القصص/ دروس صوتية مسجلة» لمحمد صالح المنجد.

عجيبُ فضْل الصدَقة

حُكِيَ أن شابّاً صحب نبي الله داود – عليه السلام –، فأخبره ملك الموت بأنه يموت بعد ثلاثة أيام!

فشقَّ ذلك على داود – عليه السلام – وحزن على هذا الشاب.

فلما مضى عليه ثلاثة أيام؛ رآه سالمًا! ولم يمت كما أخبره ملك الموت!

ثم مضى عليه شهر؛ فتعجب نبي الله داود من ذلك!

فجاءه ملك الموت وقال له: لمَّا أردتُ قبض روح هذا الشاب بعد ثلاثة أيام؛ تجلَّى الله عليَّ وقال لي: يا ملك الموت؛ إنه قبل فراغ عمره بيوم؛ خرج فوجد مسكينًا، فأعطاه عشرين درهمًا! فقال له: بارك الله في عمرك، فاستجبتُ دعوته، وأعطيته بكل درهم عامًا[1].

من فوائد القصة:

ثبت عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: **«صنائع المعروف تَقِي مصارع السوء»**.

فإن قيل: كيف تأخَّر ملك الموت عن قبض روح هذا الشاب مع أن الله يقول: ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ (سورة النحل، آية: 61).

فالجواب: أن الأجَلَ أجلان:

1 – أجل محتوم. وهو الأجل الواقع لا محالة. وهو المقصود هنا في الآية الماضية.

2 – أجل موقوت على سبب، فإذا وقع السبب وقع الأجل، وإذا تأخر السبب تأخر

---

(1) انظر: «نزهة المجالس ومنتخب النفائس» للصفوري [1/ 205].

الأجل.

ومثال ذلك: أن يكون مكتوب في اللوح المحفوظ أن الرجل الفلاني سيموت في عمر الخمسين إلا إذا تصدق أو وصل الأرحام أو فعل المعروف الفلاني، فإنه سيتأخر أجله إلى الستين عامًا. والله أعلم بما سيكون.

ولذلك صح عن النبي - ﷺ - أنه قال: « **مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، أَوْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ** ».

وصح أيضًا عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - أنه قَالَ: « **صِلَةُ الرَّحِمِ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ، وَحُسْنُ الْجِوَارِ، يُعَمِّرَانِ الدِّيَارَ، وَيَزِيدَانِ فِي الْأَعْمَارِ** ».

■ ■ ■

الرَجُل الذي قَتَل تِسْعَةً وَتِسْعِينَ إنسانًا

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ، أَنَّ نَبِيَّ الله ﷺ قَالَ: «كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا.

فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ؟

فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ، فَأَتَاهُ فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟

فَقَالَ: لَا، فَقَتَلَهُ، فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً.

ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ، فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟

فَقَالَ: نَعَمْ، وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ؟ انْطَلِقْ إِلَى أَرْضِ كَذَا وَكَذَا، فَإِنَّ بِهَا أُنَاسًا يَعْبُدُونَ اللهَ فَاعْبُدِ اللهَ مَعَهُمْ، وَلَا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ، فَإِنَّهَا أَرْضُ سَوْءٍ.

فَانْطَلَقَ حَتَّى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ، فَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ: جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلًا بِقَلْبِهِ إِلَى الله، وَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ: إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ، فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ، فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ، فَقَالَ: قِيسُوا مَا بَيْنَ الْأَرْضَيْنِ، فَإِلَى أَيَّتِهِمَا كَانَ أَدْنَى فَهُوَ لَهُ، فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أَدْنَى إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ، فَقَبَضَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ»[1].

الدروس المستفادة من القصة

قلت: وفي هذه القصة فوائد كثيرة:

قال الله تعالى: ﴿ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ

(1) [صحيح] أخرجه: البخاري [رقم/ 3283]، ومسلم [رقم/ 2766]، وغيرهما من حديث: أبي سعيد الخدري ﷺ.

يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾.

1 - ...المذنب لا ييأس من رحمة الله، ولو ملأ الأرض ذنوبًا، بل يجب عليه أن يتوب إلى ربه حالًا، قال الله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾.

2 - ...لا بد للجاهل من سؤال عالم بالكتاب والسنة حتى يحل مشكلاته.

3 - ...لا يجوز للعابد أن يفتي الناس إذا كان جاهلًا، ولو تزيَّا بزي العلماء، فإن ضرره أكثر من نفعه، وقد يعود بالوبَال عليه كما في هذه القصة، ولو كان هذا الراهب عالمًا لَمَا سدَّ باب التوبة على من سأله، ولَمَا عرَّض نفسه للقتل.

4 - ...العالم: هو الذي يفتح للناس باب التوبة، ويغلق باب القنوط من الرحمة، فهو كالطبيب يأخذ بيد المريض نحو الشفاء، ويفتح له باب الرجاء.

5 - ...على المذْنِب إذا أراد توبة أن يهجر أصحابه الذين اشترك معهم في الذنب، وأن يهجر الأماكن التي يرتادها للمعصية.

6 - ...على التائب أن يرافق الصالحين ليعتاد فعل الطاعات وترك السيئات.[1]

■ ■ ■

(1) انظر: «من بدائع القصص النبوي الصحيح» [ص/ 23] لمحمد بن جميل زينو.

١١
قِصَّةُ أصحاب الغار

عَنِ ابْنِ عُمَرَ (رضي الله عنهما)، أَنَّ رَسُولَ الله – ﷺ –، قَالَ: «بَيْنَمَا ثَلاثَةُ نَفَرٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ يَمْشُونَ، إِذْ أَصَابَهُمْ مَطَرٌ، فَأَوَوْا إِلَى غَارٍ فَانْطَبَقَ عَلَيْهِمْ.

فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: إِنَّهُ والله يَا هَؤُلاَءِ، لاَ يُنْجِيكُمْ إِلَّا الصِّدْقُ، فَلْيَدْعُ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِمَا يَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ صَدَقَ فِيهِ.

فَقَالَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِي أَجِيرٌ عَمِلَ لِي عَلَى فَرَقٍ مِنْ أَرُزٍّ، فَذَهَبَ وَتَرَكَهُ، وَأَنِّي عَمَدْتُ إِلَى ذَلِكَ الفَرَقِ فَزَرَعْتُهُ، فَصَارَ مِنْ أَمْرِهِ أَنِّي اشْتَرَيْتُ مِنْهُ بَقَرًا، وَأَنَّهُ أَتَانِي يَطْلُبُ أَجْرَهُ، فَقُلْتُ لَهُ: اعْمِدْ إِلَى تِلْكَ البَقَرِ فَسُقْهَا!

فَقَالَ لِي: إِنَّمَا لِي عِنْدَكَ فَرَقٌ مِنْ أَرُزٍّ!

فَقُلْتُ لَهُ: اعْمِدْ إِلَى تِلْكَ البَقَرِ، فَإِنَّهَا مِنْ ذَلِكَ الفَرَقِ فَسَاقَهَا!

فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَتِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا، فَانْسَاحَتْ عَنْهُمُ الصَّخْرَةُ. فَقَالَ الآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، فَكُنْتُ آتِيهِمَا كُلَّ لَيْلَةٍ بِلَبَنِ غَنَمٍ لِي، فَأَبْطَأْتُ عَلَيْهِمَا لَيْلَةً، فَجِئْتُ وَقَدْ رَقَدَا، وَأَهْلِي وَعِيَالِي يَتَضَاغَوْنَ مِنَ الجُوعِ، فَكُنْتُ لاَ أَسْقِيهِمْ حَتَّى يَشْرَبَ أَبَوَايَ فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَهُمَا، وَكَرِهْتُ أَنْ أَدَعَهُمَا، فَيَسْتَكِنَّا لِشَرْبَتِهِمَا، فَلَمْ أَزَلْ أَنْتَظِرُ حَتَّى طَلَعَ الفَجْرُ!

فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَتِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا، فَانْسَاحَتْ عَنْهُمُ الصَّخْرَةُ حَتَّى نَظَرُوا إِلَى السَّمَاءِ!

فَقَالَ الآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِي ابْنَةُ عَمٍّ، مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَأَنِّي رَاوَدْتُهَا عَنْ نَفْسِهَا فَأَبَتْ، إِلَّا أَنْ آتِيَهَا بِمِائَةِ دِينَارٍ، فَطَلَبْتُهَا حَتَّى قَدَرْتُ، فَأَتَيْتُهَا بِهَا فَدَفَعْتُهَا إِلَيْهَا، فَأَمْكَنَتْنِي مِنْ نَفْسِهَا، فَلَمَّا قَعَدْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا، فَقَالَتْ: اتَّقِ اللهَ وَلاَ تَفُضَّ الخَاتَمَ إِلَّا

بِحَقِّهِ، فَقُمْتُ وَتَرَكْتُ المِائَةَ دِينَارٍ، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَتِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا، فَفَرَّجَ الله عَنْهُمْ فَخَرَجُوا»[1].

الدروس المستفادة من القصة

قلت: وفي هذه القصة جملة من الفوائد المنثورة:

1 - ...الأعمال الصالحة وقت الرخاء يستفيد منها الإنسان وقت الشدة.

2 - ...يجب على المسلم أن يلجأ إلى الله وحده دائمًا بالدعاء وخاصة حين نزول الشدائد، ومن الشرك الأكبر دعاء الأموات الغائبين.

3 - ...مشروعية التوسل إلى الله بالأعمال الصالحة، وهي نافعة ومفيدة، ولا سيما عند الشدة، وعدم مشروعية التوسل بالذوات والجاه.

4 - ...حُبُّ الله مقدم على حب ما تهوى النفوس من الشهوات.

5 - ... من ترك الزنا والفجور خوفًا من المولَى نجَّاه الله من البلْوَى.

6 - ... من حفِظَ حقوق العمال حَفِظَه الله وقْت الشدة، ونجَّاه من المحنة.

7 - ... الدعاء إلى الله مع التوسل بالعمل الصالح يفتت الصخور.

8 - ... بر الوالدين وإكرامهما على الزوجة والأولاد.

9 - ... حق الأجير يُحْفَظ له، ولا يجوز تأخيره.

10 - ...استحباب تنمية مال الأجير الذي ترك حقه، وهو عمل جليل، وهو من حق الأجير[2]. وغير ذلك من الفوائد المستفادة من القصة.

■ ■ ■

---

(1) [صحيح] أخرجه: البخاري [رقم/ 3278]، ومسلم [رقم/ 2743]، وغيرهما من حديث: ابْنِ عُمَرَ (رضي الله عنهما).

(2) انظر: « من بدائع القصص النبوي الصحيح» [ص/ 23] لمحمد بن جميل زينو.

قصة مَاشِطَةِ ابْنَةِ فِرْعَوْن

رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله – ﷺ -: «لَمَّا كَانَتِ اللَّيْلَةُ الَّتِي أُسْرِيَ بِي فِيهَا أَتَتْ عَلَيَّ رَائِحَةٌ طَيِّبَةٌ فَقُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ مَا هَذِهِ الرَّائِحَةُ الطَّيِّبَةُ؟

فَقَالَ هَذِهِ رَائِحَةُ مَاشِطَةِ ابْنَةِ فِرْعَوْنَ وَأَوْلاَدِهَا.

قُلْتُ وَمَا شَأْنُهَا؟

قَالَ: بَيْنَا هِيَ تَمْشُطُ ابْنَةَ فِرْعَوْنَ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ سَقَطَتِ الْمِدْرَى [يعني: المشط] مِنْ يَدِهَا، فَقَالَتْ بِسْمِ الله.

فَقَالَتْ: لَهَا ابْنَةُ فِرْعَوْنَ أَبِي؟ [يعني: هل تعنين أبي بقولك الله؟]

قَالَتْ: لاَ وَلَكِنْ رَبِّي وَرَبُّ أَبِيكِ اللهُ.

قَالَتْ: أُخْبِرُهُ بِذَلِكَ؟ [يعني: هل أُخْبِر أبي فرعون بذلك؟]

قَالَتْ نَعَمْ.

فَأَخْبَرَتْهُ فَدَعَاهَا فَقَالَ: يَا فُلاَنَةُ، وَإِنَّ لَكِ رَبًّا غَيْرِي؟

قَالَتْ: نَعَمْ رَبِّي وَرَبُّكَ اللهُ.

فَأَمَرَ بِبَقَرَةٍ مِنْ نُحَاسٍ فَأُحْمِيَتْ، ثُمَّ أَمَرَ بِهَا أَنْ تُلْقَى هِيَ وَأَوْلاَدُهَا فِيهَا.

قَالَتْ لَهُ: إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً؟

قَالَ: وَمَا حَاجَتُكِ؟

قَالَتْ: أُحِبُّ أَنْ تَجْمَعَ عِظَامِي وَعِظَامَ وَلَدِي فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ وَتَدْفِنَنَّا.

قَالَ: ذَلِكِ لَكِ عَلَيْنَا مِنَ الْحَقِّ.

قَالَ: فَأَمَرَ بِأَوْلَادِهَا فَأُلْقُوا بَيْنَ يَدَيْهَا وَاحِدًا وَاحِدًا إِلَى أَنِ انْتَهَى ذَلِكَ إِلَى صَبِيٍّ لَهَا مُرْضَعٍ [يعني رضيع] كَأَنَّهَا تَقَاعَسَتْ مِنْ أَجْلِهِ [يعني: ترددت خوفًا عليه من النار] قَالَ [يعني الصبي الرضيع]: يَا أُمَّهْ اقْتَحِمِي فَإِنَّ عَذَابَ الدُّنْيَا أَهْوَنُ مِنْ عَذَابِ الآخِرَةِ فَاقْتَحَمَتْ.

قَالَ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ تَكَلَّمَ أَرْبَعَةٌ صِغَارٌ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عليه السلام وَصَاحِبُ جُرَيْجٍ وَشَاهِدُ يُوسُفَ وَابْنُ مَاشِطَةِ ابْنَةِ فِرْعَوْنَ»[1].

■ ■ ■

(1) أخرجه: أحمد في «مسنده» [1/ 309]، وغيره، من حديث: ابن عباس رضي الله عنهما.

لا طاقة لي بالأسد

ذكر بعض أهل التاريخ: أن مِلكًا من الملوك خرج يدور في ملكه، فوصل إلى قرية عظيمة فدخلها منفردًا فأخذه العطش، فوقف بباب دار من دور القرية، وطلب ماء.

فخرجت إليه امرأة جميلة بكوز فيه ماء، وناولتْه إياه، فلما نظرها افتتن بها فراودها عن نفسها، وكانت المرأة عارفة به فعلمت أنها لا تقدر على الامتناع منه.

فدخلت وأخرجت له كتابًا وقالت: انظر في هذا إلى أنْ أُصْلِح من أمري ما يجب وأعود.

فأخذ الملك الكتاب ونظر فيه، فإذا فيه الزجر عن الزنا، وما أعد الله تعالى لفاعله من العذاب الأليم، فاقشعر جلده، ونوى التوبة، وصاح بالمرأة، وأعطاها الكتاب، ومر ذاهبًا.

وكان زوج المرأة غائبًا، فلما حضر زوجها أخبرته الخبر، فتحير الزوج في نفسه، وخاف أن يكون وقع غرض الملك فيها، فلم يتجاسر على وطْئها[1] بعد ذلك، ومكث على ذلك مدة.

فأعلمت المرأة أقاربها بحالها مع زوجها، فرفعوه إلى المِلك، فلما مَثُلَ بين يدي الملك، قال أقارب المرأة: أعز الله مولانا الملك، إن هذا الرجل قد استأجر منا أرضًا للزراعة، فزرعها مدة ثم عطلها، فلا هو يزرعها ولا هو يتركها لنؤجرها لمن يزرعها، وقد حصل الضرر للأرض، ونخاف فسادها بسبب التعطيل؛ لأن الأرض إذا لم تزرع فسدت!

فقال الملك لزوج المرأة: ما يمنعك من زرع أرضك؟

فقال: أعز الله مولانا الملك، إنه قد بلغني أن الأسد دخل أرضي، وقد هِبْتُه، ولم

---

(1) أي: معاشرتها.

أقدر على الدنو منها لعلمي بأن لا طاقة لي بالأسد!

ففهم الملك القصة فقال: يا هذا، إن أرضك أرض طيبة صالحة للزرع فازرعها بارك الله لك فيها، فإن الأسد لن يعود إليها!

ثم أمر له ولزوجته بصلة حسنة وصرَفه»(1).

■ ■ ■

(1) انظر: «حياة الحيوان الكبرى» للدميري [1/ 15]، و«إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس» للإتليدي [ص/ 277].

قصة أصحاب الأخدود
وفيها كلام الطفل الرضيع!

عن صُهَيْبٍ بن سنان – رضي الله عنه – أَنَّ رَسُولَ الله – صلى الله عليه وسلم – قَالَ: «كَانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ، فَلَمَّا كَبِرَ، قَالَ لِلْمَلِكِ:

إِنِّي قَدْ كَبِرْتُ، فَابْعَثْ إِلَيَّ غُلامًا أُعَلِّمْهُ السِّحْرَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ غُلامًا يُعَلِّمُهُ، فَكَانَ فِي طَرِيقِهِ، إِذَا سَلَكَ، رَاهِبٌ فَقَعَدَ إِلَيْهِ وَسَمِعَ كَلامَهُ، فَأَعْجَبَهُ فَكَانَ إِذَا أَتَى السَّاحِرَ مَرَّ بِالرَّاهِبِ وَقَعَدَ إِلَيْهِ، فَإِذَا أَتَى السَّاحِرَ ضَرَبَهُ.

فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى الرَّاهِبِ، فَقَالَ: إِذَا خَشِيتَ السَّاحِرَ، فَقُلْ: حَبَسَنِي أَهْلِي، وَإِذَا خَشِيتَ أَهْلَكَ فَقُلْ: حَبَسَنِي السَّاحِرُ.

فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَتَى عَلَى دَابَّةٍ عَظِيمَةٍ قَدْ حَبَسَتِ النَّاسَ، فَقَالَ: الْيَوْمَ أَعْلَمُ آلسَّاحِرُ أَفْضَلُ أَمِ الرَّاهِبُ أَفْضَلُ؟ فَأَخَذَ حَجَرًا، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ فَاقْتُلْ هَذِهِ الدَّابَّةَ، حَتَّى يَمْضِيَ النَّاسُ، فَرَمَاهَا فَقَتَلَهَا، وَمَضَى النَّاسُ.

فَأَتَى الرَّاهِبَ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ: أَيْ بُنَيَّ أَنْتَ الْيَوْمَ أَفْضَلُ مِنِّي، قَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ مَا أَرَى، وَإِنَّكَ سَتُبْتَلَى، فَإِنِ ابْتُلِيتَ فَلا تَدُلَّ عَلَيَّ.

وَكَانَ الْغُلامُ يُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ، وَيُدَاوِي النَّاسَ مِنْ سَائِرِ الأَدْوَاءِ، فَسَمِعَ جَلِيسٌ لِلْمَلِكِ كَانَ قَدْ عَمِيَ، فَأَتَاهُ بِهَدَايَا كَثِيرَةٍ، فَقَالَ: مَا هَاهُنَا لَكَ أَجْمَعُ، إِنْ أَنْتَ شَفَيْتَنِي.

فَقَالَ: إِنِّي لا أَشْفِي أَحَدًا إِنَّمَا يَشْفِي الله، فَإِنْ أَنْتَ آمَنْتَ بِاللهِ دَعَوْتُ الله فَشَفَاكَ، فَآمَنَ بِالله فَشَفَاهُ الله، فَأَتَى الْمَلِكَ فَجَلَسَ إِلَيْهِ كَمَا كَانَ يَجْلِسُ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ؟

قَالَ: رَبِّي.

قَالَ: وَلَكَ رَبٌّ غَيْرِي ؟

قَالَ: رَبِّي وَرَبُّكَ الله .

فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الْغُلَامِ، فَجِيءَ بِالْغُلَامِ .

فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: أَيْ بُنَيَّ قَدْ بَلَغَ مِنْ سِحْرِكَ مَا تُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ، وَتَفْعَلُ وَتَفْعَلُ.

فَقَالَ: إِنِّي لاَ أَشْفِي أَحَدًا، إِنَّمَا يَشْفِي الله .

فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الرَّاهِبِ .

فَجِيءَ بِالرَّاهِبِ، فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَى، فَدَعَا بِالْمِنْشَارِ، فَوَضَعَ الْمِنْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ، فَشَقَّهُ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ .

ثُمَّ جِيءَ بِجَلِيسِ الْمَلِكِ فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَى فَوَضَعَ الْمِنْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ، فَشَقَّهُ بِهِ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ .

ثُمَّ جِيءَ بِالْغُلَامِ فَقِيلَ لَهُ ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَى فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى جَبَلِ كَذَا وَكَذَا، فَاصْعَدُوا بِهِ الْجَبَلَ، فَإِذَا بَلَغْتُمْ ذُرْوَتَهُ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ، وَإِلاَّ فَاطْرَحُوهُ، فَذَهَبُوا بِهِ فَصَعِدُوا بِهِ الْجَبَلَ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ، فَرَجَفَ بِهِمِ الْجَبَلُ فَسَقَطُوا، وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ .

فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ ؟

قَالَ: كَفَانِيهِمُ الله، فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ فَاحْمِلُوهُ فِي قُرْقُورٍ، فَتَوَسَّطُوا بِهِ الْبَحْرَ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلاَّ فَاقْذِفُوهُ، فَذَهَبُوا بِهِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ، فَانْكَفَأَتْ بِهِمِ السَّفِينَةُ فَغَرِقُوا، وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ .

فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ ؟ قَالَ: كَفَانِيهِمُ الله، فَقَالَ لِلْمَلِكِ: إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّى تَفْعَلَ مَا آمُرُكَ بِهِ، قَالَ: وَمَا هُوَ ؟ قَالَ: تَجْمَعُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَتَصْلُبُنِي عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ خُذْ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي، ثُمَّ ضَعِ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قُلْ: بِاسْمِ الله رَبِّ الْغُلَامِ، ثُمَّ ارْمِنِي، فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَتَلْتَنِي .

فَجَمَعَ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَصَلَبَهُ عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ أَخَذَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ، ثُمَّ وَضَعَ السَّهْمَ فِي كَبْدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قَالَ: بِاسْمِ اللهِ، رَبِّ الْغُلَامِ، ثُمَّ رَمَاهُ فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي صُدْغِهِ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صُدْغِهِ فِي مَوْضِعِ السَّهْمِ فَمَاتَ، فَقَالَ النَّاسُ: آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ.

فَأُتِيَ الْمَلِكُ فَقِيلَ لَهُ: أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ تَحْذَرُ ؟ قَدْ وَاللهِ نَزَلَ بِكَ حَذَرُكَ، قَدْ آمَنَ النَّاسُ، فَأَمَرَ بِالأُخْدُودِ فِي أَفْوَاهِ السِّكَكِ، فَخُدَّتْ وَأَضْرَمَ النِّيرَانَ، وَقَالَ: مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَنْ دِينِهِ فَأَحْمُوهُ فِيهَا، أَوْ قِيلَ لَهُ: اقْتَحِمْ.

فَفَعَلُوا حَتَّى جَاءَتِ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا فَتَقَاعَسَتْ أَنْ تَقَعَ فِيهَا، فَقَالَ لَهَا الْغُلَامُ: يَا أُمَّهْ اصْبِرِي فَإِنَّكِ عَلَى الْحَقِّ»[1].

الدروس المستفادة من القصة:

1 – في القصة دلالة على صدق النبي وإثبات نبوته حيث إنه لم يُعاصر أحداث القصة ولم يتعلمها من مُعلِّم.

2 – فظاعة أساليب الملوك في التعذيب والبطش والإرهاب وحرصهم على مناصبهم ولو كلفهم ذلك القضاء على الأمة بكاملها.

3 – من سنة الأنبياء والمرسلين البعد عن الحكام ووجود العداوة بينهم، ومن هدي السلف عدم قربهم أيضا من بعض الحكام الظلمة أو الدخول عليهم لأنه يكون على حساب الدين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فإبراهيم – عليه السلام – والنمرود، وموسى – عليه السلام – وفرعون، ويوسف – عليه السلام – وملك مصر حيث رفض عرض الملك عليه أن يكون من أصفيائه.

4 – العمل على إنقاذ النفس من الهلاك.[2]

(1) [صحيح] أخرجه: مسلم [رقم/ 3005]، وجماعة غيره من حديث: صُهَيْب بن سنان رضي الله عنه.

(2) نقلا عن مقال: «الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر» لمحمد الإبراهيم. نقله عنه الشيخ علي بن نايف الشحود في «المفصل في فقه الدعوة إلى الله تعالى».

قصة الكِفْل الذي غَفَرَ اللهُ تعالى له

عن ابْنِ عُمَرَ - رضي الله عنه - قَالَ: لَقَدْ سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ الله - صلى الله عليه وسلم - حَدِيثًا لَوْ لَمْ أَسْمَعْهُ إِلاَّ مَرَّةً، أَوْ مَرَّتَيْنِ حَتَّى عَدَّ سَبْعَ مِرَارٍ وَلَكِنْ قَدْ سَمِعْتُهُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: «كَانَ الْكِفْلُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ لاَ يَتَوَرَّعُ مِنْ ذَنْبٍ عَمِلَهُ.

فَأَتَتْهُ امْرَأَةٌ فَأَعْطَاهَا سِتِّينَ دِينَارًا عَلَى أَنْ يَطَأَهَا فَلَـمَّا قَعَدَ مِنْهَا مَقْعَدَ الرَّجُلِ مِنِ امْرَأَتِهِ أُرْعِدَتْ وَبَكَتْ.

فَقَالَ: مَا يُبْكِيكِ أَكْرَهْتُكِ؟

قَالَتْ: لاَ وَلَكِنْ هَذَا عَمَلٌ لَمْ أَعْمَلْهُ قَطُّ وَإِنَّمَا حَمَلَنِي عَلَيْهِ الْحَاجَةُ.

قَالَ: فَتَفْعَلِينَ هَذَا وَلَمْ تَفْعَلِيهِ قَطُّ؟

ثُمَّ نَزَلَ فَقَالَ اذْهَبِي فَالدَّنَانِيرُ لَكِ، ثُمَّ قَالَ وَاللهِ لاَ يَعْصِي اللهَ الْكِفْلُ أَبَدًا.

فَمَاتَ مِنْ لَيْلَتِهِ، فَأَصْبَحَ مَكْتُوبًا عَلَى بَابِهِ قَدْ غَفَرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِلْكِفْلِ»[1].

الدروس المستفادة من القصة:

في تراثنا العربي أخبار كثيرة مشهورة فيمن تعفف عن الحرام فأبدله الله بالحسنى، وتجاوز عن خطيئته.

ومن ذلك:

ما قيل: من أن بعض الصالحين تعرَّضتْ له امرأة في طريقه فلم يلتفت إليها.

فلما كان الليل كتبت له رقعة وهي تقول فيها: الله الله في أمريَ، فكل عضو مني مشغول بحبك!

---

(1) أخرجه: أحمد في «مسنده» [2/ 23]، وغيره، من حديث: ابْنِ عُمَر رضي الله عنه.

فلما وقف على الرقعة تشوَّش باطنه. وكتب إليها: إن الله تعالى إذا عصاه العبد أول مرة حلَم عليه، وإذا عصاه ثاني مرة ستَره، وإذا عصاه ثالث مرة غضب عليه غضبًا تضيق منه السموات والأرض، فمنْ ذا يطيق غضب الله سبحانه وتعالى؟

فلما وقفت على الرقعة لزمت بيتها وتابت إلى الله تعالى [1]

ومن ذلك:

ما حُكِيَ أن رجلًا خلا مع امرأة، فقال لها: أغلقي الأبواب وأرْخي الستور، ففعلتْ ذلك.

فلما دنا منها قالت له: إنه بقي باب لم أغلقه؟

فقال لها: وأي باب هو؟

فقالت له: الذي بينك وبين الله تعالى. فصاح الرجل صيحة، فخرجت روحه فيها[2]

ومن ذلك:

ما حُكِيَ عن بعض الصالحين قال: رأيت حدَّادًا وهو يُخْرِج الحديد من النار بيده ويقلِّبها بأصابعه!

فقلت في نفسي: هذا عبد صالح، فدنوتُ منه وسلَّمتُ عليه، فردَّ عليَّ السلام، فقلت له: يا سيدي، بالذي عليك بهذه المنزلة ألَّا ما دعوت الله لي.

فبكى وقال: يا أخي، ما أنا من القوم الذين تزعم[يعني: لست أنا من الصالحين] ولكن أحدِّثك أمري، وذلك أني كنت كثير المعاصي والذنوب، فوقعت على امرأة من أحسن الناس وجهًا.

فقالت لي: هل عندك شيء لله تعالى؟

---

(1) نقلا عن «الزهر الفائح في ذكر من تنزَّه عن الذنوب والقبائح» [ص/ 16] لابن الجزري.

(2) نقلا عن «الزهر الفائح في ذكر من تنزه عن الذنوب والقبائح» [ص/ 16] لابن الجزري.

قال: فأخذتْ قلبي؟ فقلتُ لها: امضي معي إلى البيت وأدفع لكِ ما يكفيك.

فتركتني وذهبتْ ثم عادتْ وهي تبكي، وقالت: والله لقد أحوجني الوقت إلى أن رجعت إليك.

فأخذتُها ومضيت بها إلى البيت ثم أجلستها، وتقدمتُ إليها، فإذا هي تضطرب كالسفينة في الريح العاصف، فقلت: مِمَّ اضطرابك؟

فقالت: خوفًا من الله تعالى أن يرانا على هذه الحالة، فإنْ تركتني ولم تصبْني فلا أحرقك الله بنارِه لا في الدنيا ولا في الآخرة.

فقمْتُ عنها ودفعتُ لها ما كان عندي لله تعالى، فخرجتْ من عندي، وأُغْمِيَ عليَّ، فرأيت في النوم امرأة أحسن منها، فقلت لها: من أنت؟

فقالت: أنا أم الصبية التي جاءت إليك، هي من نسل رسول الله - ﷺ - ولكن يا أخي جزاك الله عني خيرًا، ولا أحرقك الله بناره لا في الدنيا ولا في الآخرة، فانتبهت وأنا فَرِح مسرور، فأنا من ذلك اليوم تركت ما كنتُ عليه من المعاصي، ورجعت إلى الله تعالى.[1] [وقد حقَّق الله إحدى دعوَتَي المرأة لي في الدنيا، وأرجو أن يحقق لي الدعوة الأخرى في الآخرة].

■ ■ ■

(1) نقلا عن «الزهر الفائح في ذكر من تنزه عن الذنوب والقبائح» [ص/ 17] لابن الجزري.

التَّائِبُ إِلَى اللهِ تَعَالَى بِمَكَانٍ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ بِمَكَانِه

عن بَكْر بْن عَبْدِ الله المُزَنِيِّ: «أَنَّ قَصَّابًا [يعني: جزَّارًا] وَلِعَ بِجَارِيَةٍ لِبَعْضِ جِيرَانِهِ، فَأَرْسَلَهَا أَهْلُهَا إِلَى حَاجَةٍ لَهُمْ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى.

فَتَبِعَهَا فَرَاوَدَهَا عَنْ نَفْسِهَا، فَقَالَتْ: لَا تَفْعَلْ، لَأَنَا أَشَدُّ حُبًّا لَكَ مِنْكَ لِي، وَلَكِنِّي أَخَافُ اللهَ.

قَالَ: فَأَنْتِ تَخَافِينَهُ وَأَنَا لَا أَخَافُهُ، فَرَجَعَ تَائِبًا، فَأَصَابَهُ الْعَطَشُ حَتَّى كَادَ يَنْقَطِعُ عُنُقُهُ، فَإِذَا هُوَ بِرَسُولٍ لِبَعْضِ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَسَأَلَهُ قَالَ: مَا لَكَ؟

قَالَ: الْعَطَشُ.

قَالَ: تَعَالَ حَتَّى نَدْعُوَ حَتَّى تظلَّنَا سَحَابَةٌ حَتَّى نَدْخُلَ الْقَرْيَةَ.

قَالَ: مَا لِي مِنْ عَمَلٍ فَأَدْعُو.

قَالَ: فَأَنَا أَدْعُو فَأَمِّنْ أَنْتَ.

قَالَ: فَدَعَا الرَّسُولُ وَأَمَّنَ هُوَ، فَأَظَلَّتْهُمْ سَحَابَةٌ حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى الْقَرْيَةِ، فَأَخَذَ الْقَصَّابُ إِلَى مَكَانِهِ وَمَالَتِ السَّحَابَةُ فَمَالَتْ عَلَيْهِ، وَرَجَعَ الرَّسُولُ فَقَالَ لَهُ: زَعَمْتَ أَنْ لَيْسَ لَكَ عَمَلٌ، وَأَنَا الَّذِي دَعَوْتُ وَأَنْتَ أَمَّنْتَ فَأَظَلَّتْنَا السَّحَابَةُ، ثُمَّ تَبِعَتْكَ لَتُخْبِرَنِّي مَا أَمْرُكَ؟.

فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ الرَّسُولُ: التَّائِبُ إِلَى اللهِ تَعَالَى بِمَكَانٍ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ بِمَكَانِهِ»[1].

قلت: صدق هذا الرسول عليه السلام، فإن للتائب لذة لا يشعر بها أحد سواه. والله عزو وجل أفرح بالتوبة من صاحبها.

---

(1) أخرجه: البيهقي في «شعب الإيمان» [9/ 355].

الوفاء بالعهد وحفظ السِّرِّ

رُوِيَ عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – أَنَّ رَسُولَ الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَالَ: «كَانَ فِيمَنْ سَلَفَ مِنَ الْأُمَمِ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: مُورِّقٌ، وَكَانَ مُتَعَبِّدًا .

فَبَيْنَمَا هُوَ قَائِمٌ فِي صَلَاتِهِ إِذْ ذَكَرَ النِّسَاءَ، فَاشْتَهَاهُنَّ ... حَتَّى قَطَعَ صَلَاتَهُ، فَغَضِبَ فَأَخَذَ قَوْسَهُ فَقَطَعَ وَتَرَهَا وَعَقَدَهُ بِخِصْيَتَيْهِ، وَشَدَّهُ إِلَى عَقِبَيْهِ، ثُمَّ مَدَّ رِجْلَيْهِ فَانْتَزَعَهُمَا! ثُمَّ أَخَذَ طِمْرَيْهِ [يعني: ملابسه] وَنَعْلَيْهِ حَتَّى أَتَى أَرْضًا لَا أَنِيسَ بِهَا وَلَا وَحْشَ، فَاتَّخَذَ عَرِيشًا.

ثُمَّ جَعَلَ يُصَلِّي، فَجَعَلَ كُلَّمَا أَصْبَحَ انْصَدَعَتْ لَهُ الْأَرْضُ، فَخَرَجَ لَهُ خَارِجٌ مِنْهَا مَعَهُ طَعَامٌ فِي إِنَاءٍ، فَأَكَلَهُ حَتَّى شَبِعَ، ثُمَّ يَدْخُلُ فَيَخْرُجُ لَهُ خَارِجٌ بِإِنَاءٍ فِيهِ شَرَابٌ فَيَشْرَبُ حَتَّى يُرْوَى، ثُمَّ يَدْخُلُ وَتَلْتَئِمُ الْأَرْضُ، فَإِذَا أَمْسَى فَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ.

وَمَرَّ أُنَاسٌ قَرِيبًا مِنْهُ، فَأَتَاهُ رَجُلَانِ مِنَ الْقَوْمِ، فَمَرَّا عَلَيْهِ مِنْ تَحْتِ اللَّيْلِ، فَسَأَلَاهُ عَنْ قَصْدِهِمَا، فَمَدَّ لَهُمَا بِيَدِهِ، وَقَالَ: هَذَا قَصْدُكُمَا حَيْثُ تُرِيدَانِ، فَسَارَا غَيْرَ بَعِيدٍ، ثُمَّ قَالَا أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: مَا يَسْكُنُ هَذَا الرَّجُلُ هَا هُنَا أَرْضًا لَا أَنِيسَ بِهَا وَلَا وَحْشَ، لَوْ رَجَعْنَا حَتَّى نَعْلَمَ عِلْمَهُ حَقًّا لَهُ .

فَقَالَا لَهُ: يَا عَبْدَ الله، مَا يُقِيمُكَ هَا هُنَا بِأَرْضٍ لَا أَنِيسَ بِهَا وَلَا وَحْشَ ؟ قَالَ: امْضِيَا لِشَأْنِكُمَا وَدَعَانِي . فَأَبَيَا وَأَلَحَّا عَلَيْهِ، قَالَ: فَإِنِّي مُخْبِرُكُمَا عَلَى أَنَّ مَنْ كَتَمَهُ مِنْكُمَا أَكْرَمَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ أَظْهَرَ عَلَيَّ مِنْكُمَا أَهَانَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

قَالَا: نَعَمْ .

قَالَ: انْزِلَا . فَلَمَّا أَصْبَحَا خَرَجَ مِنَ الْأَرْضِ مِثْلُ الَّذِي كَانَ يَخْرُجُ مِنَ الطَّعَامِ وَمِثْلَاهُ مَعَهُ، حَتَّى أَكَلُوا وَشَبِعُوا، ثُمَّ دَخَلَ فَأَخْرَجَ إِلَيْهِمْ شَرَابًا فِي إِنَاءٍ مِثْلَ الَّذِي كَانَ يَخْرُجُ إِلَيْهِ كُلَّ يَوْمٍ وَمِثْلَيْهِ مَعَهُ، فَشَرِبُوا حَتَّى رَوَوْا، ثُمَّ دَخَلَ فَالْتَأَمَتِ الْأَرْضُ، فَنَظَرَ أَحَدُهُمَا إِلَى صَاحِبِهِ فَقَالَ: مَا يَعْجَلُنَا هَذَا الطَّعَامُ وَالشَّرَابُ، وَقَدْ عَلِمْنَا سِمَتَنَا فِي الْأَرْضِ، امْكُثْ إِلَى

الْعَشِيِّ فَمَكَثَا .

فَخَرَجَ إِلَيْهِمَا بِالْعَشِيِّ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ مِثْلُ الَّذِي خَرَجَ أَوَّلَ النَّهَارِ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: امْكُثْ بِنَا حَتَّى نُصْبِحَ، فَمَكَثَا، فَلَمَّا أَصْبَحَا خَرَجَ إِلَيْهِمَا مِثْلُ ذَلِكَ، ثُمَّ رَكِبَا فَانْطَلَقَا، فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَلَزِمَ بَابَ الْمَلِكِ حَتَّى كَانَ مِنْ خَاصَّتِهِ وَسُمَّارِهِ .

وَأَمَّا الْآخَرُ فَأَقْبَلَ عَلَى تِجَارَتِهِ وَعَمَلِهِ، وَكَانَ ذَلِكَ الْمَلِكُ لَا يَكْذِبُ أَحَدٌ فِي زَمَانِهِ مِنْ أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ كَذْبَةً فَعَرَفَ إِلَّا صَلَبَهُ .

فَبَيْنَا هُوَ لَيْلَةً فِي السَّمَرِ يُحَدِّثُونَهُ مِمَّا رَأَوْا مِنَ الْعَجَائِبِ، أَنْشَأَ ذَلِكَ الرَّجُلُ، فَحَدَّثَ الْمَلِكَ فَقَالَ: مَا سَمِعْتُ بِأَعْجَبَ مِنْهُ قَطُّ، فَحَدَّثَ فَقَالَ: لَأُحَدِّثَنَّكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ، فَحَدَّثَهُ بِحَدِيثِ الرَّجُلِ الَّذِي رَأَى مِنْ أَمْرِهِ .

فَقَالَ الْمَلِكُ: مَا سَمِعْتُ بِكَذِبٍ قَطُّ أَعْظَمَ مِنْ هَذَا، وَاللهِ لَتَأْتِيَنَّ عَلَى مَا قُلْتَ بِبَيِّنَةٍ أَوْ لَأُصَلِّبَنَّكَ . قَالَ: بَيِّنَتِي فُلَانٌ . قَالَ: رِضًا، إِيتُونِي بِهِ، فَلَمَّا أَتَاهُ، فَقَالَ الْمَلِكُ: إِنَّ هَذَا حَدَّثَنِي أَنَّكُمَا مَرَرْتُمَا بِرَجُلٍ مِنْ أَمْرِهِ كَذَا وَكَذَا .

فَقَالَ الرَّجُلُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، وَلَسْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا كَذِبٌ، وَهَذَا مَا لَا يَكُونُ لَوْ حَدَّثْتُكَ بِهَذَا كَانَ عَلَيْكَ فِي الْحَقِّ أَنْ تَصْلُبَنِي قَالَ: صَدَقْتَ وَبَرَرْتَ .

قَالَ النَّبِيُّ - ﷺ -: فَأَدْخَلَ الَّذِي كَتَمَ عَلَيْهِ فِي خَاصَّتِهِ وَسَمَرِهِ، وَأَمَرَ بِالْآخَرِ فَصُلِبَ»[1].

■ ■ ■

(1) أخرجه: الطبراني في « المعجم الأوسط » [رقم/ 7500]، والنقاش في «فنون العجائب في أخبار الماضيين من بني إسرائيل» [رقم/ 16]. من حديث: أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ . وسنده لا يثبت.

سؤال رجل قد مات عن الموت

عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهَّ -رضي الله عنهما- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهَّ -صلى الله عليه وسلم-: «حَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَإِنَّهُ كَانَتْ فِيهِمُ الْأَعَاجِيبُ!

قَالَ: ثُمَّ أَنْشَأَ يُحَدِّثُ قَالَ: «خَرَجَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَقَالُوا: لَوْ أَتَيْنَا مَقْبَرَتَنَا، وَصَلَّيْنَا، وَدَعَوْنَا اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ يُخْرِجُ إِلَيْنَا رَجُلًا مِمَّنْ قَدْ مَاتَ نَسْأَلُهُ عَنِ الْمَوْتِ قَالَ: فَصَلُّوا وَدَعُوا.

قَالَ: فَإِذَا رَجُلٌ خِلَاسِيٌّ[1] بَيْنَ عَيْنَيْهِ أَثَرُ السُّجُودِ، وَقَدْ أَطْلَعَ رَأْسَهُ مِنْ قَبْرِهِ.

فَقَالَ: يَا هَؤُلَاءِ، مَا أَرَدْتُمْ إِلَيَّ، لَقَدْ مُتُّ مِنْ مِئَةِ عَامٍ فَمَا سَكَنَتْ عَنِّي حَرَارَةُ الْمَوْتِ حَتَّى كَانَ الْآنَ، أَدْعُو اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُعِيدَنِي كَمَا كُنْتُ»[2].

من فوائد القصة:

رُوِيَ عن علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- أنه مرَّ بالمقابر فوقف عليها قليلا فقال: السلام عليكم أهل الديار الموحشة، والمحالِّ الْمُقْفِرة، أنتم لنا سلف ونحن لكم تبع، وبكم عما قليل لاحقون.

اللهم اغفر لنا ولهم وتجاوز عنا وعنهم، طوبى لمن ذكر المعاد للحساب، وقنع بالكفاف، ورضِيَ في جميع أحواله عن الله تعالى.

ثم قال: يا أهل القبور أما الزوجات فقد نُكِحَتْ، وأما الديار فقد سُكِنَتْ، وأما الأموال فقد قُسِمَتْ. هذا خبر ما عندنا فما خبر ما عندكم ؟

ثم التفت إلى أصحابه فقال: أما إنهم لو تكلموا لقالوا: وجدنا خير الزاد التقوى[3]

---

(1) خلاسي: أي أسمر اللون، يقال: ولد خلاسي، أيْ: ولدٌ بين أبوين أبيض وأسود.

(2) أخرجه: ابن أبي الدنيا في «من عاش بعد الموت» [رقم/ 58]، وعبد بن حميد في «مسنده/ المنتخب» [رقم/ 1156]، والنقاش في «فنون العجائب في أخبار الماضيين من بني إسرائيل» [رقم/ 17]. من حديث: جَابِرِ ابْنِ عَبْدِ اللهَّ رضي الله عنهما.

(3) انظر: «تسلَية أهل المصائب» [ص/ 247] للمنبجي.

أنا ملك الموت

حكي أن ملكًا من ملوك بني إسرائيل كان قد جمع مالًا عظيمًا لا يُحْصَى عدده، واحتوى على أشياء كثيرة من كل نوع خلقه الله تعالى في الدنيا لِيُرَفِّه عن نفسه.

حتى إذا أراد أن يتفرَّغ لما جمعه من النِّعَم الطائلة بنى له قصرًا عاليًا مرتفعًا شاهقًا يصلح للملوك ويكون لائقًا، ثم ركب عليه بابيْن ورتب له الغلمان والأجناد والبوابين كما أراد.

ثم أمر الطباخ في بعض الأيام أن يصنع له شيئًا من أطيب الطعام وجمع أهله وحشمه وأصحابه وخدمه ليأكلوا عنده وينالوا رِفْده، وجلس على سرير مملكته وسيادته واتكأ على وسادته وخاطب نفسه وقال: يا نفْس قد جمعتُ لك نِعَم الدنيا بأسرها، فالآن تفرَّغي وكُلِي من هذه النِّعَم مُهَنَّأة بالعمر الطويل والحظ الجزيل.

ولم يفرغ مما حدَّث به نفسه، حتى أتاه رجل من ظاهر القَصْر عليه ثياب رَثَّة وفي عنقه مِخْلاة معلَّقة على هيئة سائل يسأل الطعام، فجاء وطَرَق حلقة باب القصر طرقة عظيمة هائلة كادت تُزْلزل القصر وتزعج من فيه.

فخاف الغلمان فوثَبوا إلى الباب وصاحوا بالطارق وقالوا له: ويحك ما هذه الفعلة وسوء الأدب؟ اصبر حتى يأكل الملك ونعطيك مما يفضل.

فقال للغلمان: قولوا لصاحبكم يخرج إليَّ حتى يكلمني فلي حاجة وشغل مهم وأمر مُلِمٌّ.

فقالوا: تنَحَّ أيها الضيف مَنْ أنت حتى تأمر صاحبنا بالخروج إليك؟

فقال لهم: عرِّفوه ذلك، فجاؤوا إليه وعرَّفوه.

فقال لهم: هلَّا زجرتموه ونهرتموه؟ ثم طرَق الباب أعظم من الطرْقة الأولى، فنهض

الغلمان إليه بالعَصِيِّ، وقصدوه ليحاربوه فصاح بهم صيحة وقال: الْزموا أماكنكم فأنا ملك الموت!

فَرُعِبَتْ قلوبهم، وذهبت عقولهم، وطاشت حلومهم، وارتعدت فرائصهم، وبطلَتْ عن الحركة جوارحهم، فقال لهم الملك: قولوا له أن يأخذ مالًا مني وعِوَضًا عني!

فقال ملك الموت: لا آخذ مالًا ولا أتيت إلا من أجلك!

ثم إن ملك الموت قبض على روحه وهو على سريره في مملكته! [1]

■ ■ ■

---

(1) نقلا عن «حكايات ألف ليلة وليلة» [2/ 336 - 337] طبعة مكتبة زهران، تقديم الشيخ طه عبد الرؤوف سعد - القاهرة.

الرجل الذي سمعَ صَوْتًا فِي سَحَابَة يقول: اسْقِ حَدِيقَةَ فلان

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - قَالَ: «بَيْنَا رَجُلٌ بِفَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ، فَسَمِعَ صَوْتًا فِي سَحَابَةٍ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ، فَتَنَحَّى ذَلِكَ السَّحَابُ، فَأَفْرَغَ مَاءَهُ فِي حَرَّةٍ، فَإِذَا شَرْجَةٌ مِنْ تِلْكَ الشِّرَاجِ قَدِ اسْتَوْعَبَتْ ذَلِكَ الْمَاءَ كُلَّهُ، فَتَتَبَّعَ الْمَاءَ، فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ فِي حَدِيقَتِهِ يُحَوِّلُ الْمَاءَ بِمِسْحَاتِهِ.

فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللهِ مَا اسْمُكَ؟

قَالَ: فُلَانٌ - لِلِاسْمِ الَّذِي سَمِعَ فِي السَّحَابَةِ - فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللهِ لِمَ تَسْأَلُنِي عَنِ اسْمِي؟

فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ صَوْتًا فِي السَّحَابِ الَّذِي هَذَا مَاؤُهُ يَقُولُ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ، لِاسْمِكَ، فَمَا تَصْنَعُ فِيهَا؟

قَالَ: أَمَّا إِذْ قُلْتَ هَذَا، فَإِنِّي أَنْظُرُ إِلَى مَا يَخْرُجُ مِنْهَا، فَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثِهِ، وَآكُلُ أَنَا وَعِيَالِي ثُلُثًا، وَأَرُدُّ فِيهَا ثُلُثَهُ»(1).

الدروس المستفادة من القصة

أولًا: إثبات كرامات أولياء الله تعالى:

وثانيًا: أهمية الحكمة في التصرفات المالية: - فإن بعض الناس سفهاء، لا يجوز أن يوضع المال في أيديهم أصلًا، لأنهم لا يحسنون التصرف فيها، فالمال قوام الحياة والعيش.

ثالثًا: أن الإنسان عليه أن يرعى ماله: ولذلك قال الرجل: (وأرد فيها ثلثا)

---

(1) [صحيح] أخرجه: مسلم [رقم/ 19]. وغيره من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

فالمزرعة والبستان تحتاج إلى نفقة؛ قيمة بذور، أجرة عمال، ونحو ذلك من الأشياء، وهذه النفقة قد أخذها هذا الرجل من الغلة التي تعود عليه لإصلاح ماله وتنميته والقيام عليه، وهذا من الحكمة أيضًا.

رابعًا: أن على الإنسان أن يخفي عمله الصالح: وألا يجاهر به، وألا يعرضه للبطلان والحبوط بالرياء والسُّمْعة.

والفرق بين الرياء والسمعة: أن الإنسان يفعل العمل أمام الناس ليراه الناس، هذا الرياء.

السمعة: أن يتحدث الإنسان عن أعماله الصالحة، العبادات مثلًا ليسمعه الناس؛ كلا هذين الأمرين خطير جدًا ويُبطل العمل.[1]

■ ■ ■

(1) نقلا عن «سلسلة القصص/ دروس صوتية» لمحمد صالح المنجد.

كيف تحب أن أقبض روحك؟

رُوِيَ أن ملِكًا من الملوك المتقدمين أراد أن يركب يومًا في جملة أهل مملكته وأرباب دولته ويظهر للخلائق عجائب زينته، فأمر أصحابه وأمراءه وكبراء دولته أن يأخذوا أهْبة الخروج معه، وأمر خازن الثياب بأن يحضر له من أفخر الثياب ما يصلح للملك في زينته وأمر بإحضار خَيْله الموصوفة العِتَاق المعروفة.

ففعلوا ذلك، ثم إنه اختار من الثياب ما أعجبه ومن الخيل ما استحسنه، ثم لبس الثياب وركب الجواد وسار بالموكب والطوق المرصَّع بالجواهر، وأصناف الدُّرِّ واليواقيت، وجعل يركب الحصان في عسكره ويفتخر بتِيهِه وتَجَبُّره.

فأتاه إبليس فوضع يده على منْخره ونفخ في أنفه نفخة الكبر والعجب فزَها وقال في نفسه: مَنْ في العالم مثلي، وطفِقَ يتِيه بالعُجب الأكبر، ويظهر الأُبَّهة، ويزهو بالخيلاء ولا ينظر إلى أحد من تيهه وتكبُّره وعُجْبه وفخْره.

فوقف بين يديه رجل عليه ثياب رثة، فسلَّم عليه فلم يرد عليه السلام، فقبض على عنان فرسه، فقال له الملك: ارفع يدك فإنك لا تدري بعنان مَنْ قد أمسكت؟

فقال له: إن لي إليك حاجة.

فقال: اصبر حتى أنزل واذكر حاجتك.

فقال: إنها سِرٌّ ولا أقولها إلا في أذنك.

فمالَ بسمعه إليه فقال له: أنا ملك الموت وأريد قبض روحك!

فقال: أمْهِلْني بقدْر ما أعود إلى بيتي وأودِّع أهلي وأولادي وجيراني وزوجتي.

فقال: كلا لا تعود ولن تراهم أبدًا فإنه قد مضى أجَل عمرك، فأخذ روحه وهو على ظهر فرسه، فخرَّ ميتًا، ومضى ملك الموت من هناك.

فأتى رجلًا صالحًا قد رضي الله عنه فسلَّم عليه فرد عليه السلام.

فقال ملك الموت: أيها الرجل الصالح إن لي إليك حاجة وهي سر.

فقال له الرجل الصالح: اذكر حاجتك في أذني.

فقال: أنا ملك الموت.

فقال الرجل: مرحبًا بك، الحمد لله فإني كنت كثيرًا أراقب مجيئك ووصـولك إليَّ، ولقد طالت غيْبَتُك على المشتاق إلى قدومك.

فقال له ملك الموت: إنْ كان لك شغل فاقضه.

فقال له: ليس لي شغل أهم عندي من لقاء ربي عز وجل.

فقال: كيف تحب أنْ أقبض روحك، فإني أمرت أن أقبضها كيف أردت وأحببت.

فقال: أمْهِلْني حتى أتوضأ وأصلي فإذا سجدت فاقبِضْ روحي وأنا ساجد.

فقال ملك الموت: إن ربي عز وجل أمرني أنْ لا أقبض روحك إلا باختيارك كيف أردت، وأنا أفعل ما قلتَ.

فقام الرجل وتوضأ وصلى فقبض ملك الموت روحه وهو ساجد ونقله الله تعـالى إلى محلِّ الرحمة والرضوان والمغفرة [1] .

■ ■ ■

(1) نقلا عن «حكايات ألف ليلة وليلة» [2/ 336] طبعة مكتبة زهران، تقديم الشيخ طه عبد الـرؤوف سـعد - القاهرة.

أنا ملَكٌ بعثَني اللهُ إليك ليُنَبِّئكَ بهذه الكلمات

رُوِيَ عن المُنْتجعِ (وكانَ مِن أهلِ نجدٍ وكانَ له مئةٌ وعشرونَ سنةً لم يروِ عن النبيِّ - ﷺ - إلا ثلاثةَ أحاديثَ) قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**أَوحى اللهُ تعالى إلى نبيٍّ مِن أنبياءِ** بَني إسرائيلَ: إذا أصبحتَ فشمِّرْ ذيلَكَ، **فأولُ شَيءٍ تلقاهُ فكُلْهُ، والثاني فادفِنْهُ، والثالثُ فآوِهِ، والرابعُ فأطعِمْه.**

فلمَّا أصبحَ ذلكَ النبيُّ عليه السلام **شمَّر ذيلَه، فأولَ شيءٌ لقيَهُ جبلٌ مُنيفٌ شامخٌ في الهواءِ، فقالَ: يا ويلَتي، أُمرتُ بأكلِ هذا الجبلِ ولستُ أُطيقهُ، فتضامَرَ له الجبلُ حتى صارَ بمنزلةِ التمرةِ الحلوةِ، فابتلعَها ثم مَضى غيرَ بعيدٍ، فإذا هو بطَستٍ مُلقاةٍ على قارعةِ الطريقِ، فاحتفرَ لها قبرًا، فكانَ كلَّما دفنَها نبتتْ عن الأرضِ.**

فلمَّا أَعيتْهُ تركَها ومَضى غيرَ بعيدٍ، فإذا هو بحمامةٍ فصيَّرَها في رُدْنِهِ[1] **ثم مَضى غيرَ بعيدٍ، فإذا هو بعُقابٍ قد انقضَّ نحوَه يريدُ أنَ ينهسَ لحمَهَ، فاستخرجَ مُدْيةً [يعني: سكينًا] مِن خفِّهِ يريدُ أنْ يقطعَ مِن لحمِهِ فيُطْعِمَ العُقابَ**[2].

فإذا هو بملَكٍ يُناديهِ مِن ورائِهِ: أنا ملَكٌ بعثَني اللهُ إليكَ ليُنبئكَ بهذه الكلماتِ:

أمَّا الجبلُ المُنيفُ الذي أُمرتَ بأكلِهِ فإنَّه الغضبُ، مَتى تُهيجْه هاجَ حتى صارَ بمنزلةِ ذلكَ الجبلِ الذي لم تُطقْ أكلَهُ ولم تستطعْ حملَهُ، وإنْ سَكنتهُ سَكَنَ حتى يصيرَ بمنزلةِ تلكَ التمرةِ التي استطبْتَ طعمَها وحَمدتَ عاقبتَها.

وأمَّا الطَّستُ المُلقاةُ على قارعةِ الطريقِ فإنَّها أعمالُ العبادِ، مَن عملَ بخيرٍ أظهرَهُ اللهُ

---

(1) أي كُمِّه.

(2) العُقَاب: طَائِر من كواسر الطير قوي المخالب. لَهُ منقار قصير أعقف حاد البَصَر. انظر: «المعجم الوسيط» [2/ 613].

حتى يتحدَّثَ به الناسُ ويَزيدونَ، ومَن عملَ بشرٍّ أظهرهُ اللهُ حتى يتحدَّثَ بها الناسُ ويَزيدونَ.

وأمَّا الحمامةُ التي أُمرتَ بإيوائِها فهي الرحمةُ، فصِلْ رحمَكَ وإنْ قطعوكَ، قَرُبوا مِنكَ أو بَعُدوا.

وأمَّا العُقابُ الذي أُمرتَ بإطعامِهِ فإنَّهُ المعروفُ، فضعْه في أهلِهِ وفي غيرِ أهلِهِ، واصطنعْهُ إلى مُستحقِّه وغيرِ مُستحقِّه، يلقكَ نَيْلُه وإنْ طالَ أَمدُهُ»[1].

■ ■ ■

(1) أخرجه: النقاش في «فنون العجائب في أخبار الماضيين من بني إسرائيل» [رقم/ 34].

قصة الصياد المسلم والصياد المجوسي

رُوِيَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رضي الله عنه - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «خَرَجَ مُوسَى نَجِيُّ اللهِ إِلَى الْبَحْرِ، فَجَعَلَ يَنْظُرُ فِي عَجَائِبِ الْبَحْرِ، فَإِذَا هُوَ بِصَيَّادٍ مُشْرِكٍ مَجُوسِيٍّ خَبِيثٍ، أَشْرَكَ بِاللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَكَفَرَ بِهِ، فَأَلْقَى شَبَكَتَهُ، فَطَبَعَهَا سَمَكًا، ثُمَّ أَلْقَاهَا الثَّانِيَةَ فَطَبَعَهَا سَمَكًا حَتَّى مَلأَ سَفِينَتَهُ، ثُمَّ وَلَّى وَأَشْرَكَ .

ثُمَّ جَاءَ مِنْ بَعْدِهِ شَيْخٌ كَبِيرٌ مُسْلِمٌ وَرِعٌ، فَأَلْقَى الشَّبَكَةَ فَلا شَيْءَ، ثُمَّ أَلْقَى الثَّانِيَةَ وَدَعَا، فَلا شَيْءَ، ثُمَّ أَلْقَى الثَّالِثَةَ، وَأَمْسَى قَالَ: يَا رَبِّ، عِيَالِي وَحَاجَتَنَا .

قَالَ: فَإِذَا هُو بِسَمَكَةٍ قَدْ وَقَعَتْ فِي الشَّبَكَةِ قَالَ: وَمُوسَى يَنْظُرُ إِلَيْهِ، فَحَمِدَ اللهَ، وَشَكَرَهُ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَقَالَ: هَذَا يُبَلِّغُ عِيَالَنَا اللَّيْلَةَ، وَانْصَرَفَ حَامِدًا للهِ شَاكِرًا .

قَالَ مُوسَى عليه السلام: يَا رَبِّ، عَبْدٌ جَاءَكَ أَشْرَكَ بِكَ، وَكَفَرَ بِكَ، وَجَعَلَ لَكَ شُرَكَاءَ، بَسَطْتَ لَهُ رِزْقَكَ، وَأَوْسَعْتَ عَلَيْهِ، وَأَعْطَيْتَهُ، وَجَاءَكَ عَبْدُكَ الْمُؤْمِنُ رَاضِيًا بِكَ، فَقَتَرْتَ عَلَيْهِ، وَبَسَطْتَ لِهَذَا الْمُشْرِكِ، وَيَأْكُلُ رِزْقَكَ، وَيَمْشِي فِي أَرْضِكَ، وَيَعْبُدُ غَيْرَكَ ؟

قَالَ: يَا مُوسَى، إِنَّ لِي دَارَيْنِ، فَانْظُرْ إِلَيْهِمَا. قَالَ: فَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ، وَقَالَ: انْظُرْ دَارِي هَذِهِ جَعَلْتُهَا لِأَوْلِيَائِي، وَأَهْلِ طَاعَتِي، وَأَهْلِ الصَّبْرِ .

ثُمَّ قَالَ: انْظُرْ إِلَى دَارِي الْأُخْرَى، فَأَخْرَجَ جَهَنَّمَ، فَزَفَرَتْ، فَاسْتَجَارَ مُوسَى - عليه السلام - مِنْهَا بِرَبِّهِ، وَقَالَ: يَا مُوسَى، مَا ضَرَّ عَبْدِي أَيَّامًا مَعْدُودَةً، قَتَّرْتُ عَلَيْهِ مَعِيشَتَهُ، فَصَبَرَ، وَرَضِيَ بِمَا رَضِيتُ لَهُ، قَدِمَ عَلَيَّ، وَأَنَا عَنْهُ رَاضٍ، فَأَسْكَنْتُهُ دَارِي، مَا ضَرَّ مَا كَانَ فِيهِ بِالْأَمْسِ، وَبَسَطْتُ لِعَبْدِي هَذَا الَّذِي أَشْرَكَ بِي فِي رِزْقِي، وَيَمْشِي فِي أَرْضِي، أَسْكَنْتُهُ دَارِي هَذِهِ الْأُخْرَى، مَا نَفَعَهُ مَا كَانَ فِيهِ بِالْأَمْسِ .

ثُمَّ قَالَ: وَلِّ وَجْهَكَ يَا مُوسَى، فَوَلَّى وَجْهَهُ، قَالَ: انْظُرْ إِلَيْهِمَا، الْآنَ حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ، وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ قَالَ: دَخَلُوهَا وَعِزَّتِكَ»[1].

---

(1) أخرجه: النقاش في «فنون العجائب في أخبار الماضيين من بني إسرائيل» [رقم/ 60].

إِنَّكِ مَأْمُورَةٌ وَأَنَا مَأْمُور

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – رضي الله عنه – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – «غَزَا نَبِيٌّ مِنَ الأَنْبِيَاءِ، فَقَالَ لِقَوْمِهِ: لاَ يَتْبَعْنِي رَجُلٌ مَلَكَ بُضْعَ امْرَأَةٍ، وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَبْنِيَ بِهَا؟ وَلَمَّا يَبْنِ بِهَا، وَلاَ أَحَدٌ بَنَى بُيُوتًا وَلَمْ يَرْفَعْ سُقُوفَهَا، وَلاَ أَحَدٌ اشْتَرَى غَنَمًا أَوْ خَلِفَاتٍ وَهُوَ يَنْتَظِرُ وِلاَدَهَا.

فَغَزَا فَدَنَا مِنَ القَرْيَةِ صَلاَةَ العَصْرِ أَوْ قَرِيبًا مِنْ ذَلِكَ، فَقَالَ لِلشَّمْسِ: إِنَّكِ مَأْمُورَةٌ وَأَنَا مَأْمُورٌ اللَّهُمَّ احْبِسْهَا عَلَيْنَا، فَحُبِسَتْ حَتَّى فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ.

فَجَمَعَ الغَنَائِمَ، فَجَاءَتْ يَعْنِي النَّارَ لِتَأْكُلَهَا، فَلَمْ تَطْعَمْهَا فَقَالَ: إِنَّ فِيكُمْ غُلُولًا، فَلْيُبَايِعْنِي مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ رَجُلٌ، فَلَزِقَتْ يَدُ رَجُلٍ بِيَدِهِ، فَقَالَ: فِيكُمُ الغُلُولُ، فَلْيُبَايِعْنِي قَبِيلَتُكَ، فَلَزِقَتْ يَدُ رَجُلَيْنِ أَوْ ثَلاَثَةٍ بِيَدِهِ، فَقَالَ: فِيكُمُ الغُلُولُ، فَجَاءُوا بِرَأْسٍ مِثْلِ رَأْسِ بَقَرَةٍ مِنَ الذَّهَبِ، فَوَضَعُوهَا، فَجَاءَتِ النَّارُ، فَأَكَلَتْهَا ثُمَّ أَحَلَّ اللهُ لَنَا الغَنَائِمَ رَأَى ضَعْفَنَا، وَعَجْزَنَا فَأَحَلَّهَا لَنَا»[1].

توضيح القصة

الرسول عليه الصلاة والسلام لَمَّا ذكر قصة يوشع بن نون، قال: « **غزا نبي من الأنبياء – صلوات الله وسلامه عليهم – فقال: لا يتبعني أحد ثلاثة نفر: لا يتبعني رجل بنى بامرأة ولما يدخل بها، ولا يتبعني رجل بنى بيوتًا ولم يرفع سقوفها، ولا يتبعني رجل له خلَفات ينتظر نتاجها** » .

[يعني]: أيَّ إنسان من هؤلاء أنا في غِنًى عنه: رجل تزوج ولم يبن – أي: لم يدخل بالمرأة – فهذا يجلس بجانبها لماذا؟ لأن الرجل يتمنى أن يتزوج، و(يعيش في ثبات ونبات ويخلِّف صبيان وبنات)، فهذا أول ما يرى بارقة السيف تلْمَع يفرُّ كالجَبَان، هذا لا ينفع.

(**ورجل بنى بيوتًا ولم يرفع سقوفها**)، هذا الرجل يتمنى أن يرجع ليتمم ما بنَى، فهذا يقعد.

---

(1) [صحيح] أخرجه: البخاري [رقم/ 3124]، ومسلم [رقم/ 1747]. وغيره من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه .

(ورجل له خلَفات ينتظر نتاجها) له غنم، وهو ينتظر الغنم تلد، فبدل أن يكون لديه رأس غنم واحد يكون عنده رأسان وثلاثة وأربعة ويُمنِّي نفسه بالغِنى.

فهذا رجل له خلَفات ينتظر نتاجها ويقول: إن شاء الله تلد وسوف نبْنِي ونترك ونفعل.

فالقلب هو الذي يعطي قوة الجارحة، فإذا أدبر القلب سحب تأييده للجارحة، وإذا أقبل أعطاها القوة، فلما يكون الإنسان يتمنى أن يرجع فهل يريد أن يموت؟!

ولذلك أحسن هذا النبي الكريم - ﷺ - غاية الإحسان حينما استثنى هؤلاء، فخرج بالجيش وكان ذاهبًا إلى حرب العماليق، وليس الجبناء هؤلاء.

فيوشع بن نون عليه السلام أخذ جنوده، وكان ذاهبًا لمحاربة العماليق، ويذكرون في الإسرائيليات أن العماليق هؤلاء الواحد منهم كان طويلًا جدًا، وكانت خِلْقتهم عظيمة.

يقولون: من ضمن الحكايات أن واحدًا من جيش يوشع بن نون ذهب إلى بستان حتى يتجسس على العماليق ويأتي بأخبارهم، مع العلم أن هذا الجندي ربما كان طوله كطولي مرتين - فالخَلْق ما زال يتناقص إلى يوم القيامة - فجاء أحد العماليق ودخل البستان فوجده مختبئًا في جذع شجرة، فأخذه ووضعه في كمه - الرواية تقول هكذا - وذهب به للأمير وقال له: وجدتُ هذا.

فتخيَّل جماعة هذه صفتُهم وذاهبون لمحاربة عماليق! أنا أقول هذا الكلام لتعرف أن الجبان لا ينتفع بالقنبلة في يده، الجبان يُسلِّم لك مباشرة لو أنك أجرأ منه قلْبًا.

فخرج يوشع بن نون - عليه السلام - هو والجيش صباح يوم الجمعة - كما في مستدرك الحاكم - وظلوا يقاتلون العماليق قتالًا عنيفًا إلى أنْ غربت الشمس ولم يُفْتَح لهم، حينئذ قال يوشع عليه السلام للشمس: (إنك مأمورة وأنا مأمور اللهم ردها علينا) فرجعت الشمس كما كانت، فظل يقاتل حتى فتح له، وغلب وانتصر لماذا؟ لأن معه رجالًا، والأزمة الموجودة في أمتنا الآن: أزمة رجال، وليست أزمة موارد ولا أزمة سلاح ولا أزمة خطط، وإنما أزمة رجال فقط.

فلما جمعوا الغنائم كانت العادة أن النار تنزل من السماء فتحرق الغنائم، فهذا يدل على أن الله تقبَّل غزوهم، فلما نزلت النار لتأكل الغنائم لم تطعمها وارتفعت مرة ثانية، فمباشرة يوشع عليه السلام قال: (**فيكم غلول**)، هناك لص في الجيش سرق شيئًا وغلَّ مالًا، فمن يعترف؟

لم يعترف أحد إذًا: (**فليبايعني من كل قبيلة رجل أو رجلان**)، وكان من علامة (الغال) آنذاك أن تلتصق يده بيد النبي، فالتصقت يد رجل أو رجلين بيده فقال: فيكم الغلول؛ فأخرجوا من رحالهم مثل رأس البقرة من ذهب، فلما أرجعوه نزلت النار من السماء فأحرقت الغنائم[1].

■ ■ ■

(1) انظر: «العبودية أعلى مقامات الحب/ دروس صوتية» للمحدث أبي إسحاق الحويني. شفاه الله.

قصة اللص الذي قطع الطريق في بني إسرائيل أربعين سنة

رُوِيَ أن لصًّا كان يقطع الطريق في بني إسرائيل أربعين سنة.

فمرَّ عليه عيسى - عليه السلام - وخلفه عابد من عباد بني إسرائيل من الحواريين فقال اللص في نفسه: هذا نبي الله يمر وإلى جنبه حواريوه لو نزلت فكنت معهما ثالثا؟

فنزل فجعل يريد أن يدنو من الحواري ويزدري نفسه تعظيمًا للحواري ويقول في نفسه: مثلي لا يمشي إلى جنْب هذا العابد

وأحسَّ الحِواريُّ به. فقال في نفسه: هذا يمشي إلى جانبي، فضمَّ نفسه ومشى إلى عيسى - عليه الصلاة والسلام - فمشى بجنبه فبقِيَ اللص خلْفه.

فأوحى الله تعالى إلى عيسى - عليه الصلاة و السلام - قل لهما ليستأنفا العمل فقد أحبطت ما سلف من أعمالهما.

أما الحوارى فقد أُحْبِطَتْ حسناته لعُجْبِهِ بنفسه.

وأما الآخر فقد أُحبِطَتْ سيئاته بما ازْدَرَى على نفسه.

فأخبرهما بذلك وضم اللص إليه في سياحته وجعله من حواريه[1].

■ ■ ■

(1) انظر: «إحياء علوم الدين» للغزالي [4/ 152 - 153].

قصة الرجل صاحب القِرْد

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - عَنِ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - «أَنَّ رَجُلًا كَانَ يَبِيعُ الْخَمْرَ فِي سَفِينَةٍ وَكَانَ يَشُوبُهُ بِالْمَاءِ [يعني: يخلطه] وَكَانَ مَعَهُ فِي السَّفِينَةِ قِرْدٌ قَالَ فَأَخَذَ الْكِيسَ وَفِيهِ الدَّنَانِيرُ قَالَ فَصَعِدَ الذِّرْوَ يَعْنِي الدَّقَلَ [1] فَفَتَحَ الْكِيسَ فَجَعَلَ يُلْقِي فِي الْبَحْرِ دِينَارًا وَفِي السَّفِينَةِ دِينَارًا وَفِي الْبَحْرِ دِينَارًا وَفِي السَّفِينَةِ دِينَارًا حَتَّى لَمْ يَبْقَ فِيهِ شَيْءٌ»[2].

توضيح القصة:

الحديث في هذا يشير إلى الهلاك الدنيوي [الذي] يُصابُ به الذين يغشون في تجارتهم، فيخلطون الجيد بالردِيء، أو يخلطون الشيء بغيره مما ليس له قيمة، أو له قيمة قليلة، كالذين يشوبون الحليب بالماء، أو يخلطون البنزين بالكاز، أو يخلطون الكاز بالماء.

وهؤلاء يأكلون أموال الناس بالباطل، وما يأخذونه من سحت يحاسبون عليه .

وفي الحيوانات أسرار لا نعرف عنها إلا القليل، فالقرود وخاصةً المستأنَسَة تأتي بالعجائب، ومنها ما قام به هذا في رميه دينارًا فيه وآخر في السفينة .

فإن قيل: كيف ذُمَّ هذا الرجل لغِشّه في الخمر، ولم يُلَمْ لأنه باع الخمر التي حرمها الله؟؟

فالجواب:

أن الخمر لم تكن حرامًا في شريعة ذلك الرجل، وقد كانت الخمر في أول الأمر حلالًا في المدينة، ثم ذُمَّتْ من غير تحريم، ثم حرَّم شربها قرب وقت الصلاة، مع عدم تحريم بيعها، ثم حرم شربها .

---

(1) الدقل: خشبة يمد عليها شراع السفينة ويسميها أصحاب الصنعة: الصاري أو الساري.

(2) أخرجه: أحمد [2/ 335]، وغيره من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه . وقد حسنه الألباني في: «السلسلة الصحيحة» [رقم/ 2844].

وقد كان المسلمون أيام كانت حلالًا يبيعونها ويشترونها من غير نكير، وكان الغش فيها في ذلك الوقت حرامًا معاقبًا عليه، وبعد ذلك حرمت تحريمًا شديدًا، وجزاء ذلك عقابه فى الدنيا وحرمانه من خمور الجنة .

هذه حكمة الله في تدبير شؤون خلْقه. سبحانه الخالق - عز وجل - الذي رحمته وسِعَتْ كل شيء [1] .

■ ■ ■

(1) نقلا عن مقال لبعض الفضلاء منشور على الشبكة العالمية.

سؤال الْحَوَارِيِّينَ لِعيسَى ابْنَ مريم عليه السلام أنْ يُنَزِّلَ اللّهُ لَهُمُ الْمَائِدَةَ

رُوِيَ عَنْ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ - رضي الله عنه - قَالَ: «لَمَّا سَأَلَ الْحَوَارِيُّونَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ - رضي الله عنه - أَنْ يُنَزِّلَ اللهُ لَهُمُ الْمَائِدَةَ قَالَ: قَامَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ، فَأَلْقَى الصُّوفَ عَنْهُ، وَلَبِسَ الشَّعْرَ وَالتُّحْفَةَ، وَوَضَعَ يَمِينَهُ عَلَى شِمَالِهِ، وَوَضَعَهَا عَلَى صَدْرِهِ، وَصَفَّ بَيْنَ قَدَمَيْهِ، وَأَلْزَقَ الْكَعْبَ بِالْكَعْبِ، وَالْإِبْهَامَ بِالْإِبْهَامِ، وَخَفَضَ بِرَأْسِهِ خَاشِعًا .

ثُمَّ أَرْسَلَ عَيْنَيْهِ بِالْبُكَاءِ، حَتَّى سَالَتِ الدُّمُوعُ عَلَى لِحْيَتِهِ، وَجَعَلَتْ تَقْطُرُ عَلَى صَدْرِهِ، وَقَالَ: اللَّهُمَّ، أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ، تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا، تَكُونُ لَنَا عِظَةً مِنْكَ، تَكُونُ لَنَا عَلَامَةً مِنْكَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ، وَارْزُقْنَا عَلَيْهَا طَعَامًا نَأْكُلُهُ، وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ .

قَالَ: فَنَزَلَتْ سُفْرَةٌ حَمْرَاءُ فِي الْهَوَاءِ، بَيْنَ غَمَامَتَيْنِ، غَمَامَةٍ فَوْقَهَا، وَغَمَامَةٍ تَحْتَهَا، وَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْهَا تَهْوِي مُنْقَضَّةً فِي الْهَوَاءِ، وَعِيسَى يَبْكِي، وَيَقُولُ: إِلَهِي، اجْعَلْنَا مِنَ الشَّاكِرِينَ، إِلَهِي، اجْعَلْهَا رَحْمَةً، وَلَا تَجْعَلْهَا عَذَابًا، إِلَهِي، كَمْ أَسْأَلُكَ مِنَ الْعَجَائِبِ فَتُعْطِينِي، إِلَهِي، أَعُوذُ بِكَ أَنْ تَكُونَ أَنْزَلْتَهَا غَضَبًا وَرِجْزًا، اللَّهُمَّ، اجْعَلْهَا عَافِيَةً وَسَلَامَةً، وَلَا تَجْعَلْهَا مُثْلَةً وَلَا فِتْنَةً .

حَتَّى اسْتَقَرَّتْ بَيْنَ يَدَيْ عِيسَى، وَالنَّاسُ حَوْلَهُ يَجِدُونَ رِيحًا طَيِّبَةً، لَمْ يَجِدُوا مِثْلَهَا، وَخَرَّ عِيسَى سَاجِدًا، وَخَرَّ الْحَوَارِيُّونَ مَعَهُ، فَبَلَغَ الْيَهُودَ ذَلِكَ، فَأَقْبَلُوا عتوًا وَكُفْرًا، يَنْظُرُونَ فَرَأَوْا أَمْرًا عَجَبًا، وَإِذَا مِنْدِيلٌ مُغَطًّى عَلَى السُّفْرَةِ .

وَجَاءَ عِيسَى، فَجَلَسَ يَقُولُ: مَنْ أَجْرَؤُنَا وَأَوْثَقُنَا بِنَفْسِهِ، وَأَحْسَنُنَا بَلَاءً عِنْدَ رَبِّهِ، فَلْيَكْشِفْ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ حَتَّى نَنْظُرَ، وَنَأْكُلَ، وَنُسَمِّيَ بِاسْمِ رَبِّنَا، وَنَحْمَدَ إِلَهَنَا ؟

قَالَ الْحَوَارِيُّونَ: أَنْتَ أَوْلَى بِذَلِكَ يَا رَوْحَ اللهِّ وَكَلِمَتَهُ، قَالَ: فَتَوَضَّأَ عِيسَى وُضُوءًا حَسَنًا، وَصَلَّى صَلَاةً جَدِيدَةً، وَدَعَا رَبَّهُ دُعَاءً كَثِيرًا، وَبَكَى بُكَاءً طَوِيلًا .

ثُمَّ قَامَ حَتَّى جَلَسَ عِنْدَ السُّفْرَةِ، إِذَا سَمَكَةٌ مَشْوِيَّةٌ لَيْسَ عَلَيْهَا فِلُوسٌ (قشور)، وَلَيْسَ لَهَا شَوْكٌ، تَسِيلُ سَيْلًا مِنَ السَّمْنِ، وَقَدْ نُصِبَ حَوْلَهَا مِنَ الْبُقُولِ، وَإِذَا عِنْدَ رَأْسِهَا خَلٌّ، وَعِنْدَ ذَنَبِهَا مِلْحٌ وَخَمْسَةُ أَرْغِفَةٍ، عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا زَيْتُونٌ، وَخَمْسُ رُمَّانَاتٍ، وَخَمْسُ تَمَرَاتٍ .

قَالَ شَمْعُونُ رَأْسُ الْحَوَارِيِّينَ: يَا رَوْحَ اللهِ وَكَلِمَتَهُ، أَمِنْ طَعَامِ الدُّنْيَا، أَمْ طَعَامِ الْجَنَّةِ ؟ فَقَالَ عِيسَى: أَوَ مَا اسْتَيْقَنْتُمْ مَا أَخْوَفُنِي أَنْ تُعَاقَبُوا ؟ قَالَ: لَا وَإِلَهِ إِسْرَائِيلَ، مَا أَرَدْتُ بِهَا سَأَلْتُكَ سُوءًا يَا ابْنَ الصِّدِّيقَةِ .

قَالَ: نَزَلَتْ وَمَا عَلَيْهَا مِنَ السَّمَاءِ، لَيْسَ شَيْءٌ مِمَّا تَرَوْنَ عَلَيْهَا مِنْ طَعَامِ الدُّنْيَا، وَلَا مِنْ طَعَامِ الْآخِرَةِ، وَهِيَ وَمَا عَلَيْهَا شَيْءٌ ابْتَدَعَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِالْقُدْرَةِ الْغَالِبَةِ، إِنَّمَا قَالَ لَهُ: كُنْ، فَكَانَ، فَكُلُوا مِمَّا سَأَلْتُمْ، وَاحْمَدُوا عَلَيْهِ رَبَّكُمْ يَمُدَّكُمْ وَيَزِدْكُمْ، فَإِنَّهُ الْقَادِرُ الْبَدِيعُ لِمَا يَشَاءُ، إِذَا شَاءَ يَقُولُ لَهُ: كُنْ فَيَكُونُ .

قَالُوا: يَا رَوْحَ اللهِّ وَكَلِمَتَهُ إِنْ أَرَيْتَنَا الْيَوْمَ آيَةً مِنْ هَذِهِ السَّمَكَةِ، فَقَالَ عِيسَى: يَا سَمَكَةُ، إِحْيِي بِإِذْنِ اللهِّ قَالَ: فَاضْطَرَبَتِ السَّمَكَةُ طَرِيَّةً، تَدُورُ عَيْنَاهَا، لَهَا بَصِيصٌ تَلَمَّظُ بِفِيهَا، كَمَا يَتَلَمَّظُ السَّبُعُ، وَعَادَ عَلَيْهَا فُلُوسُهَا، فَفَزِعَ الْقَوْمُ .

فَقَالَ عِيسَى: مَا لَكُمْ تَسْأَلُونَ الشَّيْءَ، فَإِذَا أُعْطِيتُمُوهُ كَرِهْتُمُوهُ، مَا أَخْوَفُنِي أَنْ تَعْبُدُوا هَذِهِ السَّمَكَةَ، قَالَ: عُودِي كَمَا كُنْتِ بِإِذْنِ اللهِ . قَالَ: فَعَادَتْ مَشْوِيَّةً فِي حَالِهَا، قَالُوا: كُنْ أَنْتَ يَا رَوْحَ اللهِّ أَوَّلَ مَنْ يَأْكُلُ، ثُمَّ نَأْكُلُ بَعْدُ .

فَقَالَ عِيسَى: مَعَاذَ اللهِ، بَلْ يَأْكُلُ مِنْهَا مَنْ طَلَبَهَا وَسَأَلَهَا، فَفَرِقَ الْحَوَارِيُّونَ أَنْ تَكُونَ إِنَّمَا أُنْزِلَتْ سَخْطَةً فِيهَا مِثْلَةٌ، فَلَمْ يَأْكُلُوا، وَدَعَا عِيسَى لَهَا أَهْلَ الْفَاقَةِ، وَالزَّمَانَةِ مِنَ الْعُمْيَانِ، وَالْمَجْذُومِينَ، وَالْبُرْصِ، وَالْمُقْعَدِينَ، وَأَصْحَابِ الْمَاءِ الْأَصْفَرِ، وَالْمَجَانِينِ، وَالْمُخَبَّلِينَ.

قَالَ: كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ، وَدَعْوَةِ نَبِيِّكُمْ، فَإِنَّهُ رِزْقُ رَبِّكُمْ تَكُونُ الْمُهْنَاةُ لَكُمْ، وَالْبَلَاءُ لِغَيْرِكُمْ، وَاذْكُرُوا اسْمَ اللهِ، وَكُلُوا، فَفَعَلُوا فَصَدَرَ عَنْ تِلْكَ السَّمَكَةِ، وَالْأَرْغِفَةِ، وَالرُّمَّانَاتِ، وَالتَّمَرَاتِ، وَالْبُقُولِ أَلْفٌ وَثَلَاثُ مِئَةِ رَجُلٍ وَامْرَأَةٍ، بَيْنَ فَقِيرٍ جَائِعٍ، وَزَمِنٍ نَاقِهٍ رَغِيبًا، كُلُّهُمْ شَبْعَانُ يَتَجَشَّأُ .

وَنَظَرَ عِيسَى، فَإِذَا مَا عَلَيْهَا كَهَيْئَتِهِ حِينَ نَزَلَتْ مِنَ السَّمَاءِ، وَرُفِعَتِ السُّفْرَةُ إِلَى السَّمَاءِ، وَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْهَا، وَاسْتَغْنَى كُلُّ فَقِيرٍ أَكَلَ مِنْهَا يَوْمَئِذٍ، فَلَمْ يَزَلْ غَنِيًّا حَتَّى مَاتَ، وَبَرِئَ كُلُّ زَمِنٍ مِنْ زَمَانَتِهِ، فَلَمْ يَزْمَنْ حَتَّى مَاتَ .

وَنَدِمَ الْحَوَارِيُّونَ وَسَائِرُ النَّاسِ مِمَّنْ أَبَى أَنْ يَأْكُلَ مِنْهَا ؛ لَمَّا رَأَوْا حُسْنَ حَالِهِمْ حَسْرَةً، فَشَابَتْ مِنْهَا أَشْعَارُهُمْ قَالَ: فَكَانَتْ إِذَا نَزَلَتْ بَعْدَ ذَلِكَ أَقْبَلُوا إِلَيْهَا صُوَرًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ يَسْعَوْنَ، يَرْكَبُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، الْأَغْنِيَاءُ وَالْفُقَرَاءُ، وَالرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ، وَالضُّعَفَاءُ وَالْأَشِدَّاءُ، وَالصِّغَارُ وَالْكِبَارُ، وَالْأَصِحَّاءُ وَالْمَرْضَى، يَرْكَبُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا.

فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ جَعَلَهَا نَوْبًا بَيْنَهُمْ قَالَ: وَكَانَتْ تَنْزِلُ غِبًّا يَوْمًا وَلَا تَنْزِلُ يَوْمًا، كَنَاقَةِ ثَمُودٍ تَرْعَى يَوْمًا وَتَرِدُ يَوْمًا، فَلَبِثَتْ بِذَلِكَ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا، تَغِبُّ يَوْمًا، وَتَنْزِلُ يَوْمًا، يُؤْكَلُ مِنْهَا، حَتَّى إِذَا فَاءَ الْفَيْءُ، طَارَتْ صُعُدًا، يَنْظُرُونَ إِلَى ظِلِّهَا فِي الْأَرْضِ حَتَّى تَوَارَتْ عَنْهُمْ .

فَأَوْحَى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى عِيسَى عليه السلام أَنِ اجْعَلْ مَائِدَتِي رِزْقًا لِلْيَتَامَى وَالزَّمْنَى دُونَ الْأَغْنِيَاءِ مِنَ النَّاسِ، فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ بِهِمْ عَظُمَ ذَلِكَ عَلَى الْأَغْنِيَاءِ، وَأَذَاعُوا الْقَبِيحَ حَتَّى شَكُّوا وَشَكَّكُوا فِيهِ النَّاسَ، فَوَقَعَتْ فِيهِ الْفِتْنَةُ فِي قُلُوبِ الْمُرِيدِينَ .

قَالَ قَائِلُهُمْ: يَا رَوْحَ اللهِ وَكَلِمَتَهُ، إِنَّ الْمَائِدَةَ لَحَقٌّ، إِنَّهَا لَمُنَزَّلَةٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ . قَالَ عِيسَى: وَيْحَكُمْ هَلَكْتُمْ، تَيَسَّرُوا لِلْعَذَابِ إِنْ لَمْ يَرْحَمْكُمْ فَأَوْحَى اللهُ إِلَى عِيسَى أَنِّي آخِذٌ بِشَرْطِي مِنَ الْمُكَذِّبِينَ، قَدِ اشْتَرَطْتُ عَلَيْهِمْ أَنِّي مُعَذِّبٌ مَنْ كَفَرَ مِنْهُمْ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ، بَعْدَ نُزُولِهَا.

قَالَ عِيسَى: إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ، وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ، قَالَ:

فَمَسَخَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْهُمْ ثَلَاثَةً وَثَلَاثِينَ أَلْفًا خَنَازِيرَ مِنْ لَيْلَتِهِمْ، فَأَصْبَحُوا يَأْكُلُونَ مَا فِي الْحُشُوشِ، وَيَتَّبِعُونَ مَا فِي الْكُنَاسَةِ وَالطُّرُقِ، وَنَامُوا أَوَّلَ اللَّيْلِ عَلَى فُرُشِهِمْ مَعَ نِسَائِهِمْ فِي دِيَارِهِمْ بِأَحْسَنِ صُورَةٍ، وَأَوْسَعِ رِزْقٍ.

فَأَصْبَحَ النَّاسُ يَفِرُّونَ إِلَى عِيسَى ﷺ، فَزَعًا وَفَرَقًا مِنْ عُقُوبَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَعِيسَى يَبْكِي عَلَيْهِمْ، وَيَبْكُونَ مَعَهُ عَلَيْهِمْ، وَجَاءَتِ الْخَنَازِيرُ تَسْعَى حِينَ أَبْصَرَتْهُ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، وَيَمْشُونَ إِلَيْهِ، وَيَشُمُّونَ رِيحَهُ، وَيَسْجُدُونَ لَهُ، وَأَعْيُنُهُمْ تَسِيلُ دُمُوعًا، لَا يَسْتَطِيعُونَ الْكَلَامَ.

ثُمَّ قَامَ عِيسَى يُنَادِيهِمْ بِأَسْمَائِهِمْ، يَا فُلَانُ، فَيَقُولُ بِرَأْسِهِ: نَعَمْ، يَا فُلَانُ ابْنُ فُلَانٍ قَدْ كُنْتُ أُخَوِّفُكُمْ عَذَابَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَعُقُوبَتَهُ، فَكَأَنِّي قَدْ أَنْظُرُ إِلَيْكُمْ مُمَثَّلًا بِكُمْ فِي غَيْرِ صُورَتِكُمْ..

قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِقَوْمِ مُحَمَّدٍ - ﷺ -: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ﴾، وَقَالَ: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ قَالَ: فَسَأَلَ عِيسَى رَبَّهُ أَنْ يُمِيتَهُمْ، فَأَمَاتَهُمُ اللهُ بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، فَمَا رَأَى أَحَدٌ مِنْهُمْ مِنَ النَّاسِ جِيفَةً فِي الْأَرْضِ، وَاللهُ أَعْلَمُ كَيْفَ كَانَ»[1].

■ ■ ■

(1) أخرجه: أبو بكر النقاش في «فنون العجائب في أخبار الماضيين من بني إسرائيل» [رقم/ 81]، وأبو بكر الشافعي «الغيلانيات» [رقم/ 1092]، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» [47/ 400 -]. عن سلمان به.

اللهم أنت القائل ادْعوني أستجبْ لكم

قيل: انقطع الغيث عن بني إسرائيل في زمن موسى عليه السلام حتى احترق النبات وهلك الحيوان.

فخرج موسى عليه الصلاة و السلام في بني إسرائيل وكانوا سبعين رجلا من نسل الأنبياء مستغيثين إلى الله تعالى قد بسطوا أيدي صدقهم وخضوعهم وقرَّبوا قُرْبان تذلُّلهم وخشوعهم ودموعهم تجري على خدودهم ثلاثة أيام فلم يُمْطَر لهم.

فقال موسى: اللهم أنت القائل ادعوني أستجب لكم وقد دعوتك وعبادك على ما ترى من الفاقة والحاجة والذل.

فأوحى الله تعالى إليه يا موسى إن فيهم من غذاؤه حرام وفيهم من يبسط لسانه بالغيبة والنميمة وهؤلاء استحقوا أنْ أُنْزِل عليهم غضبي وأنت تطلب لهم الرحمة! كيف يجتمع موضع الرحمة وموضع العذاب ؟

فقال موسى: ومن هم يا رب حتى نخرجهم من بيننا ؟

فقال الله تعالى: يا موسى لست بهتَّاك ولا نمَّام ولكن يا موسى توبوا كلكم بقلوب خالصة فعساهم يتوبوا معكم فأجود بإنعامي عليكم.

فنادى منادي موسى في بني إسرائيل أنِ اجتمعوا، فاجتمعوا فأعلمهم موسى - عليه الصلاة والسلام - بما أوحى إليه والعصاة يسمعون، فذرفت أعينهم ورفعوا مع بني إسرائيل أيديهم إلى الله - عز وجل - وقالوا: إلهنا جئناك من أوزارنا هاربين ورجعنا إلى بابك طالبين فارحمنا يا أرحم الراحمين.

فما زالوا كذلك حتى سقوا بتوبتهم إلى الله تعالى[1].

---

(1) انظر: «المستطرف في كل فن مستظرف» للأبشيهي [2/ 559].

يَا حِمْيَرُ آوِنِي آوَاكَ اللَّهُ فِي ظِلِّ عَرْشِهِ

رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – قَالَ: شَهِدْتُ مَجْلِسًا مِنْ رَسُولِ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَفِيهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلَامٍ، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلَامٍ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – «يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَا أُحَدِّثُكَ بِحَدِيثٍ كَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ عجبا مِنَ الْعَجَبِ ؟ قَالَ: «هَاتِ يَا ابْنَ سَلَامٍ».

قَالَ: خَرَجَ حِمْيَرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ فِي الزَّمَنِ الْأَوَّلِ فِي مَصِيدٍ لَهُ [يعني: يصطاد] حَتَّى إِذَا أَصْحَرَ [يعني: مشى في الصحراء] انْسَابَتْ حَيَّةٌ تَحْتَ قَوَائِمِ فَرَسِهِ، فَقَامَتْ عَلَى ذَنَبِهَا، فَقَالَتْ: يَا حِمْيَرُ، آوِنِي، آوَاكَ اللهُ فِي ظِلِّ عَرْشِهِ، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ قَالَ لَهَا: مِمَّنْ ؟

قَالَتْ: مِنْ رَجُلٍ يُرِيدُ أَنْ يَطْعَنَنِى بِسَيْفِهِ إِرْبًا إِرْبًا .

قَالَ: فَأَيْنَ أُدْخِلُكِ ؟

قَالَتْ: فِي فِيكَ، إِنْ أَرَدْتَ الْمَعْرُوفَ .

قَالَ: هَذَا فَمِي . فَانْسَابَتِ الْحَيَّةُ، فَدَخَلَتْ فِي فِيهِ [يعني في فمه] فَمَادَتْ فِي جَوْفِهِ، فَجَاءَ الرَّجُلُ مُغْضَبًا، بِيَدِهِ سَيْفٌ يَطْلُبُهَا، فَقَالَ: يَا شَيْخُ، الْحَيَّةُ الَّتِي أَنَاخَتْ بِكَنَفِكَ، وَانْسَابَتْ تَحْتَ قَوَائِمِ دَابَّتِكَ، أَرَأَيْتَهَا ؟

فَقَالَ حِمْيَرُ: لَا، فَقَالَ: عَظُمَتْ كَلِمَةٌ خَرَجَتْ مِنْ فِيكَ فَقَالَ حِمْيَرُ: اللَّهُمَّ غَفْرًا أُخْبِرُكَ أَنِّي لَمْ أَرَهَا، فَتُكَذِّبُنِي، وَتَرُدُّ عَلَيَّ لَفْظِي، مَا جَاءَ مِنْكَ أَعْظَمُ قَالَ: فَمَضَى الرَّجُلُ لِسَبِيلِهِ، فَقَالَتِ الْحَيَّةُ مِنْ جَوْفِهِ: مَا فَعَلَ الرَّجُلُ، أَيَأْخُذُهُ بَصَرُكَ ؟

قَالَ: لَا، قَالَتْ: أَرَأَيْتَ إِذْ رَعَيْتَ حَقِّي، وَحَفِظْتَ ذِمَامِي، فَاخْتَرْ مِنِّي وَاحِدَةً مِنَ اثْنَتَيْنِ: إِمَّا أَنْ أَنْكُتُ قَلْبَكَ نُكْتَةً أَدَعَكَ مِنْهَا رَمِيمًا، وَإِمَّا أَنْ أَنْقُرَ كَبِدَكَ فَأُخْرِجَهَا مِنْ أَسْفَلِكَ قِطَعًا.

قَالَ: مَا كَافَأْتِنِي أَنْقَذْتُكِ مِنْ عَدُوِّكِ، وَجَعَلْتُ جَوْفِي لَكِ وِعَاءً، فَأَعْقَبْتِنِي أَنْ تَنْقُرِي

كَبِدِي، أَوْ تَنْكُتِي قَلْبِي!

فَقَالَتْ: يَا جَاهِلُ، اتِّخَاذُكَ عِنْدِي الْمَعْرُوفَ لِأَيِّ شَيْءٍ؟ وَاللهِ مَا لِي دَارٌ أَسْكُنُهَا، وَلَا مَالٌ أَمْلِكُهُ، وَلَا دَابَّةٌ أَحْمِلُكَ عَلَى ظَهْرِهَا، وَلَقَدْ عَلِمْتَ عَدَاوَتِي لِأَبِيكَ آدَمَ، حَتَّى أَخْرَجْتُهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَأَهْبَطْتُهُ إِلَى الْأَرْضِ.

قَالَ: أَرَدْتُ بِذَلِكَ وَجْهَ الْأَعَزِّ الْأَكْرَمِ قَالَتْ: مَا بُدَّ مِنْ أَنْ أُنْزِلَ بِكَ النَّازِلَةَ، وَأُوقِعَ بِكَ الْوَاقِعَةَ، قَالَ: فَلْيَكُنْ مَا أَرَدْتِ بِي فِي هَذَا الْجَبَلِ، وَعَنْ يَمِينِهِ جَبَلٌ، قَدِ امْتَدَّ ظِلُّهُ، وَتَنَاثَرَتْ ثِمَارُهُ، وَاطَّرَدَ أَنْهَارُهُ، فَنَزَلَ عَنْ دَابَّتِهِ كَئِيبًا حَزِينًا يَمْشِي فِي سَفْحِ الْجَبَلِ، قَدِ انْتَهَى إِلَى عَيْنٍ فِي الْجَبَلِ، وَإِذَا عَلَى الْعَيْنِ شَابٌّ كَأَنَّ وَجْهَهُ الْقَمَرُ فِي لَيْلَةِ الْبَدْرِ، فَقَالَ: يَا شَيْخُ، مَا لِي أَرَاكَ ضَعِيفَ الْحِيلَةِ، قَلْبَكَ الْعَزَاءُ؟

قَالَ: مِنْ عَدُوٍّ فِي جَوْفِي، أَمَّنْتُهُ مِنْ عَدُوِّهِ، فَأَعْقَبَنِي عَلَى أَنَّهُ يَنْكُتُ قَلْبِي، أَوْ يَنْقُرُ كَبِدِي، فَقَالَ: أَتَاكَ الْغَوْثُ مِنْ رَبِّكَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الَّذِي فِي مُلْكِهِ يَقْضِي وَيَخْتَارُ.

قَالَ: فَأَوْمَى الْفَتَى بِيَدِهِ إِلَى رُدْنِهِ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ قِطْعَةً، فَأَطْعَمَهَا الشَّيْخُ، فَاخْتَلَجَتْ وَجْنَتَاهُ، ثُمَّ أَطْعَمَهُ الثَّانِيَةَ، فَوَجَدَ تَمَخُّضًا فِي بَطْنِهِ [يعني: اضطرابًا] ثُمَّ أَطْعَمَهُ الثَّالِثَةَ، فَأَخْرَجَهَا مِنْ أَسْفَلِهِ قِطَعًا، الرَّأْسَ وَالذَّنَبَ وَالْوَسَطَ.

فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ حِمْيَرٌ، فَقَالَ: مَنْ أَنْتَ يَا عَبْدَ اللهِ الَّذِي لَا أَحَدَ أَعْظَمُ عَلَيَّ مِنَّةً مِنْكَ، وَلَا أَنَا أَجِدُ أَعْظَمَ شُكْرًا مِنِّي لَكَ؟

فَقَالَ: أَوَ مَا تَعْرِفُنِي؟ قَالَ: لَا، قَالَ: أَنَا الْمَعْرُوفُ، لَقَدِ اضْطَرَبَتْ مَلَائِكَةُ السَّمَاءِ مِنْ خِذْلَانِ الْحَيَّةِ لَكَ، فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: يَا مَعْرُوفُ، انْزِلْ إِلَى عَبْدِي فِي الصُّورَةِ الَّتِي خَلَقْتُكَ فِيهَا، فَقَدْ أَرَدْتَ شَيْئًا لِوَجْهِي، فَأَعْقَبْتُكَ عُقْبَى الصَّابِرِينَ، وَنَجَّيْتُكَ مِنْ عَدُوِّكَ»[1].

■ ■ ■

(1) أخرجه: النقاش في «فنون العجائب في أخبار الماضيين من بني إسرائيل» [رقم/ 83].

مصارعة الرجل العابد لإبليس لعنه الله

كان في بني إسرائيل قوم اتخذوا شجرة وصاروا يعبدونها.

فجاء بعض عُبَّادهم بفأس ليقطعها فعارضه إبليس لعنه الله وقال له: تركتَ عبادتك وجئتَ لشيء لا يعود عليك نَفْعُه.

ولم يزل به حتى تقاتل معه فصرعه العابد وجلس على صدره، ثم رجع ولم يزل يعمل معه ذلك في كل يوم إلى ثلاثة أيام.

فلما رآه لا يرجع قال له: اترك قطْعها وأنا أجعل لك في كل يوم دينارين تستعين بهما على نفقتك وعبادتك، وعاهده على ذلك.

فرجع. قال: فجعل له تحت وسادته دينارين ثم دينارين، ثم قطع ذلك عنه.

فأخذا العابد الفأس وذهب إلى قطع الشجرة، فعارضه إبليس في الطريق وتحاور معه وتجاذبا، فصرعه إبليس وجلس على صدره وقال له: إنْ لَمْ ترجع عن قطْعها وإلا ذبحتك.

فقال له العابد خلِّ عني وأخبرْني كيف غلبتني؟

فقال له: لما غضبتَ لله غلَبْتَني، ولَمَّا غضبْتَ لنفسك غلبْتُك[1].

■ ■ ■

(1) انظر: «نزهة المجالس ومنتخب النفائس» للصفوري [1/ 188]، و«المستطرف في كل فن مستظرف» للأبشيهي [2/ 285].

قصة امرأة من بني إسرائيل
لم يكن لها إلا دجاجة واحدة!

حكي: «أن امرأة من بني إسرائيل لم يكن لها إلا دجاجة فسرقها سارق فصبرَتْ وردَّتْ أمرها إلى الله ولَمْ تدْعُ عليه.

فلما ذبحها السارق ونتف ريشها نبت جميعه في وجهه فسعى في إزالته فلم يقدر على ذلك إلى أنْ أتى حَبْرًا من أحبار بني إسرائيل فشكا له فقال: لا أجد لك دواء إلا أن تدعو عليك هذه المرأة.

فأرْسَل إليها من قال لها أين دجاجتك ؟

فقالت: سُرِقَتْ.

فقال لقد آذاك من سرقها.

قالت: قد فعل، ولم تدْعُ عليه.

قال: وقد فجعك في بيضها.

قالت: هو كذلك. فما زال بها حتى أثار الغضب منها، فدَعَتْ عليه فتساقط الريش من وجهه.

فقيل لذلك الحبر: من أين علمت ذلك ؟

قال لأنها لَّما صبرتْ ولَمْ تدْعُ عليه انتصر الله لها، فلما انتصرتْ لنفسها ودعَتْ عليه سقط الريش من وجهه»[1].

---

(1) انظر: «المستطرف في كل فن مستظرف» للأبشيهي [1/ 141].

من فوائد القصة:

قال الأبشيهي: «فالواجب على العبد أن يصبر على ما يصيبه من الشدة ويحمد الله، ويعلم أن النصر مع الصبر، وأن مع العسر يُسْرًا، وأن المصائب والرزايا إذا توالتْ أعقبها الفرج والفرح عاجلًا».

■ ■ ■

هَذِهِ سِبَاعٌ تُرِيدُ أَنْ تَأْكُلَنِي

رُوِيَ عن أبي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - قَالَ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم -: «كُلُّ الْأَعَاجِيبِ كَانَتْ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، حَدِّثُوا عَنْهُمْ وَلَا حَرَجَ، فَلَوْ حَدَّثْتُكُمْ حَدِيثَ الْعَجُوزَيْنِ لَعَجِبْتُمْ» !

قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا الْعَجُوزَانِ؟

قَالَ: «كَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ رَجُلٌ لَهُ امْرَأَةٌ يُحِبُّهَا، وَمَعَهَا أُمٌّ كَبِيرَةٌ، أُمُّ سُوءٍ، فَكَانَتْ تُغْرِي ابْنَتَهَا بِأُمِّ زَوْجِهَا، وَكَانَ زَوْجُهَا يَسْمَعُ مِنْهَا، وَكَانَ يُحِبُّهَا.

قَالَتْ لِزَوْجِهَا: لَا أَرْضَى عَنْكَ أَبَدًا حَتَّى تُخْرِجَ عَنِّي أُمَّكَ، وَكِلْتَا الْعَجُوزَيْنِ قَدْ ذَهَبَ بَصَرُهُمَا، فَلَمْ تَدَعْهُ امْرَأَتُهُ حَتَّى خَرَجَ بِأُمِّهِ، فَوَضَعَهَا فِي فَلَاةٍ[1] مِنَ الْأَرْضِ، لَيْسَ مَعَهَا طَعَامٌ وَلَا شَرَابٌ؛ لِتَأْكُلَهَا السِّبَاعُ، ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْهَا.

فَلَمَّا أَمْسَتْ، غَشِيَتْهَا السِّبَاعُ، فَجَاءَهَا مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، فَقَالَ لَهَا: مَا هَذِهِ الْأَصْوَاتُ الَّتِي أَسْمَعُ حَوْلَكَ؟

قَالَتْ: خَيْرٌ؛ هَذِهِ أَصْوَاتُ إِبِلٍ[2]، وَبَقَرٍ، وَغَنَمٍ.

قَالَ: خَيْرًا، فَلْيَكُنْ. ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْهَا، فَتَرَكَهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَتْ أَصْبَحَ الْوَادِي مُمْتَلِئًا إِبِلًا، وَبَقَرًا، وَغَنَمًا، فَقَالَ ابْنُهَا: لَوْ جِئْتُ أُمِّي فَنَظَرْتُ مَا فَعَلَتْ فَجَاءَ، فَإِذَا الْوَادِي مُمْتَلِئٌ إِبِلًا وَبَقَرًا وَغَنَمًا.

قَالَ: أَيْ أُمَّهْ مَا هَذَا؟

قَالَتْ: أَيْ بُنَيَّ رِزْقُ اللهِ هَذَا وَعَطَاؤُهُ، إِذْ عَقَقْتَنِي، وَأَطَعْتَ امْرَأَتَكَ فِيَّ، فَاحْتَمَلَ أُمَّهُ، وَسَاقَ مَعَهَا مَا أَعْطَاهَا مِنَ الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ، فَلَمَّا رَجَعَ بِهَا إِلَى امْرَأَتِهِ وَبِمَالِهَا، قَالَتْ لَهُ

---

(1) الفلاة: الصحراء والأرض الواسعة التي لا ماء فيها.

(2) الإبل: الجمال والنوق ليس له مفرد من لفظه.

امْرَأَتُهُ: وَاللهِ لَا أَرْضَى عَنْكَ حَتَّى تَذْهَبَ بِأُمِّي، فَتَضَعْهَا حَيْثُ وَضَعْتَ أُمَّكَ، فَيُصِيبُهَا مِثْلَ مَا أَصَابَ أُمَّكَ.

فَانْطَلَقَ بِالْعَجُوزِ، فَوَضَعَهَا حَيْثُ وَضَعَ أُمَّهُ، ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْهَا، فَلَمَّا أَمْسَتْ غَشِيَتْهَا السِّبَاعُ، وَجَاءَهَا الْمَلَكُ الَّذِي أَرْسَلَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى الْعَجُوزِ الَّتِي قَبْلَهَا، فَقَالَ: أَيَّتُهَا الْعَجُوزُ، مَا هَذِهِ الْأَصْوَاتُ الَّتِي أَسْمَعُ حَوْلَكِ؟

قَالَتْ: شَرٌّ وَاللهِ وَعُسْرٌ، هَذِهِ سِبَاعٌ تُرِيدُ أَنْ تَأْكُلَنِي، قَالَ: فَشَرًّا، فَلْيَكُنْ وَعُسْرًا.

ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْهَا، فَأَتَاهَا سَبْعٌ، فَأَكَلَهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ: اذْهَبْ، فَانْظُرْ مَا فَعَلَتْ أُمِّي؟

فَذَهَبَ لِيَنْظُرَ، فَلَمْ يَجِدْ مِنْهَا إِلَّا فَضْلَ مَا تَرَكَ السَّبُعُ، فَرَجَعَ إِلَى امْرَأَتِهِ، فَأَخْبَرَهَا، فَحَزِنَتْ عَلَى أُمِّهَا حُزْنًا شَدِيدًا، وَحَمَلَ عِظَامَهَا فِي كِسَاءٍ حَتَّى وَضَعَهَا بَيْنَ يَدَيِ ابْنَتِهَا، فَمَاتَتْ كَمَدًا»[1].

■ ■ ■

(1) أخرجه: النقاش في «فنون العجائب في أخبار الماضيين من بني إسرائيل» [رقم/ 85]. وذكره: الصفوري في «نزهة المجالس ومنتخب النفائس» [1/ 186]. وسنده لا يثبت.

قصة الرجل الذي سخَّر الله له سحابة تسير معه حيث يسير

ذكروا أنه كان في زمن بني إسرائيل رجل من العباد الموصوفين بالزهد، وكان قد سخَّر الله له سحابة تسير معه حيث يسير.

فاعتراه فتور في بعض الأيام، فأزال الله عنه سحابته وحجَب إجابته، فكثر لذلك حزنه وشجونه، وطال كمَدُه وأنِينُه، وما زال يشتاق إلى زمن الكرامة، ويبكي ويتأسف ويتحسَّر ويتلهف.

فقام ليلة من الليالي فصلى ما شاء الله وبكى وتضرَّع ودعا الله تعالى ونام، فقيل له في المنام: إذا أردت أن يردَّ الله تعالى عليك سحابتك فائْتِ المَلِك الفلاني في بلد كذا واسأله أن يدعو الله لك أن يردَّ عليك سحابتك.

فسار الرجل يقطع الأرض حتى وصل إلى تلك البلد التي ذُكِرَتْ له في المنام، فدخلها وسأل من يرشده إلى قصر الملك، فجاء إلى القصر، وإذا عند بابه غلام جالس على كرسي عظيم من الذهب الأحمر مُرصَّع بالدُّرِّ والجوهر، والناس بين يديه يسألونه حوائجهم وهو يصرف الناس.

فوقف الرجل الصالح بين يديه وسلَّم عليه، فقال له الغلام:

من أين أنت وما حاجتك؟

فقال: من بلاد بعيدة، وقصْدي الاجتماع بالملك.

فقال له الغلام: لا سبيل لك اليوم فسَلْ حاجتك أقْضِها لك إنِ استطعتُ.

فقال: إن حاجتي لا يقضيها إلا الملك.

فقال الغلام: إن الملك ليس له إلا يوم واحد في الجمعة يجتمع إليه الناس فيه

فاذْهَبْ حتى يأتيَ ذلك.

فانصرف الرجل إلى مسجد داثِر، وأقام يعبد الله تعالى فيه، وأنكر على الملك لاحتجابه عن الناس. فلما كان ذلك اليوم الذي يجلس فيه الملك جاء إلى القصر فوجد خلْقًا كثيرا عند الباب ينتظرون الإذْن فوقف مع جملة الناس.

فلما خرج الوزير أذِنَ للناس في الدخول فدخل أرباب الحوائج ودخل صاحب السحابة معهم وإذا بالملك جالس وبين يديه أرباب دولته على قدر مراتبهم، فجعل رأس النوبة يقدم الناس واحدًا بعد واحد حتى وصلت النوبة لصاحب السحابة.

فلما نظر إليه الملك قال مرحبًا بصاحب السحابة، اجْلِس حتى أفْرَغ من حوائج الناس وأنْظُرْ في أمرك.

قال: فتحيَّر صاحب السحابة في أمره، فلما فرغ الملك من حوائج الناس قام من مجلسه، فأخذ بيد صاحب السحابة وأدخله معه إلى قصره ثم مشَى به في دِهليز القصر فلم يجد في طريقه إلا مملوكًا واحدًا.

فسار به حتى انتهى إلى باب من جريد وإذا به بِناء مهدوم وحيطان مائلة وبيت خَرِب فيه فرش، وليس هناك ما يساوي عشرة دراهم إلا سحابة خلفه، وقدَح للضوء وحصيرة رَثَّة، وشيء من الخُوص.

فانخلع الملك من ثياب الملك ولبِس مرقعة من صُوف، وجعل على رأسه قلنسوة من شَعْر، ثم جلس وأجلس صاحب السحابة ونادَى: يا فلانة.

قالت: لبَّيْك.

قال: أتدرين من هو الليلة ضيفُنَا؟

قالت: نعم. صاحب السحابة.

فدعا بها لحاجة فخرجت فإذا هي امرأة كالشَّنِّ [يعني: الحصير] البالي عليها مِسْح

[يعني: ثوبًا] من شعر خشن، وهي شابة صغيرة.

قال الرجل: فالتفت إلى الملك وقال: يا أخي نُطْلعك على حالنا أو نقضي حاجتك وتنصرف.

فقلت: والله لقد شغلني حالكما عما جئتُ بسببه.

فقال الملك: الله يعلم أنه كان لي في هذا الأمر آباء كرام صالحون يتوارثون المملكة كابرًا عن كابر، فلما تُوفُّوا إلى رحمة الله تعالى ووصل الأمر إلى بغَّض الله لى الدنيا وأهلها فأردتُّ أنْ أَسِيح في الأرض وأترك الناس ينظرون لهم من يَسُوس أمرهم فيملكونه عليهم، فخِفْتُ عليهم دخول الفتنة وتضييع الدين والشرائع وتبديل شمل الدين.

فبايعوني وأنا والله كارِه، فتركت أمورهم على ما كانت عليه وجعلت السماط على عادته، والحراس على حالها، والمماليك على دأبها، ولم أُغيِّر شيئا، وأقعدت المماليك على الأبواب بالسلاح إرهابًا لأهل الشرور وردْعًا عن أهل الخير، وتركت القصر مُزيَّنًا على حاله، وفتحت له بابًا وهو الذي رأيته يوصلني إلى هذه الخربة فأدخل فيها وأنزع ثياب الملك وألبس هذا، وأُضَفِّر الخوص وأبيعه وأتقوَّت من ثمنه أنا وزوجتي هذه التى رأيتها هي ابنة عمي زهدت في الدنيا كزهدي واجتهدت حتى صارت كالشَّنِّ البالي، والناس لا يعلمون ما نحن فيه.

ثم إني أقمت لي نائبا ينوب عني طول الأسبوع، وعلمت أني مسؤول فجعلت لي يوما في الجمعة أبرز للناس فيه وأكشف مظالمهم كما رأيتَ، وأنا على هذه الحالة مدة، فأَقِمْ عندنا يرحمك الله حتى نبيع خُوَيْصاتنا ونبتاع من ثمنها طعامًا، وتفطر معنا وتبيت عندنا الليلة، ثم تنصرف بحاجتك إن شاء الله تعالى.

فلما كان آخر النهار دخل علينا غلام خُماسي العمر [يعني: ابن خمس سنين] فأخذ ما عَمَلَاه من خوص وسار به إلى السوق، فباعه واشترى من ثمنه خُبْزًا وفُولًا واشترى بباقي ثمنه خوصًا، فلما كان عند الغروب أفطرا وأفطرت معهما، وبِتُّ عندهما.

قال فقاما في نصف الليل يصليان ويبكيان، فلما كان السحر قال الملك: اللهم إن عبدك هذا يطلب منك ردَّ سحابته، وإنك قد دَلَلْتَه علينا. اللهم ارْددها عليه إنك على كل شيء قدير، والمرأة تُؤَمِّن على دعائه.

وإذا بالسحابة قد طلعت من قِبَل السماء. فقال لي: لك البشارة بقضاء حاجتك وتعجيل إجابتك، قال فودَّعْتهما وانصرفت والسحابة معي كما كانت، فأنا بعد ذلك لا أسأل الله تعالى بسرِّهما شيئًا إلا أعطاني إياه [1].

■ ■ ■

(1) انظر: «المستطرف في كل فن مستظرف» للأبشيهي [1/ 331 - 333]. ولا يُسأل إلا الله وبأسمائه الحسنى وصفاته العليا.

إلهي جعلْتَنِي ضعيفًا وجعلْتَه قويّا عنيفًا فَخُذْ لي بحقي منه

نُقِل في الآثار الإسرائيلية في زمان موسى – عليه السلام – «أن رجلا من ضعفاء بني إسرائيل كان له عائلة وكان صيادًا يصطاد السمك ويقوت منه أطفاله وزوجته.

فخرج يوما للصيد فوقع في شبكته سمكة كبيرة، ففرح بها ثم أخذها ومضى إلى السوق ليبيعها ويصرف ثمنها في مصالح عياله، فلقيه بعض البَحَّارة فرأى السمكة معه فأراد أخْذَها منه، فمنعه الصياد فرفع البحَّارة خشبة كانت بيده فضرب بها رأس الصياد ضربة موجعة وأخذ السمكة منه غَصْبًا بلا ثمن!

فدعا الصياد عليه وقال: إلهي جعلتني ضعيفًا وجعلْته قويًّا عنيفا فَخُذْ لي بحقي منه عاجلًا، فقد ظلمني ولا صَبْر لي إلى الآخرة.

ثم إن ذلك الغاصب الظالم انطلق بالسمكة إلى منزله وسلَّمها إلى زوجته، وأمرها أنْ تشويها، فلما شوَتْها قدَّمتْها له ووضعتْها بين يديه على المائدة ليأكل منها.

ففتحت السمكة فاها ونَكَزَتْه في أصبع يده نكْزَة طار بها عقْله، وصار لا يقرُّ بها قرارُه، فقام وشكا إلى الطبيب أَلَمَ يده وما حَلَّ به، فلما رآها قال له: دواؤها أن تقطع الأصبع لئلَّا يسْرِي الألَمَ إلى بقية الكف.

فقطع أصبعه، فانتقل الألم والوجع إلى الكف واليد، وزداد التألُّم وارتعدتْ من خوفه فرائصُه. فقال له الطبيب: ينبغي أن تقطع اليد إلى المِعْصَم لئلا يسْري الألم إلى الساعد.

فقطعها فانتقل الألم إلى الساعد، فما زال هكذا كلما قطع عضوًا انتقل الألَمَ إلى العضو الآخر الذي يليه، فخرج هائمًا على وجهه مستغيثًا إلى ربه؛ ليكشف عنه ما نزل به،

فرأى شجرة فقصدها فأخذه النوم عندها فنام فرأى في منامه قائلًا يقول له: يا مسكين إلى كَمْ تقطع أعضاءك؟ امضِ إلى خصْمك الذي ظلمْتَه فارْضِه.

فانتبه من النوم وفكَّر في أمْره فعلم أن الذي أصابه من جهة الصياد فدخل المدينة، وسأل عن الصياد وأتي إليه فوقع بين يديه يتمرَّغ على رجليه وطلب منه الإقالة [يعني: العفو عنه ومسامحته] مما جَناه، ودفع إليه شيئًا من ماله وتاب من فِعْلِه .

فرضِيَ عنه خصْمُه الصياد، فسكن في الحال أَلَمُه، وبات تلك الليلة، فردَّ الله تعالى عليه يده كما كانت، ونزل الوحْي على موسى - عليه السلام - يا موسى وعِزَّتي وجلالي لولا أن ذلك الرجل أرْضَى خصْمه لعذَّبْتُه مهما امتدَّتْ به حياته»[1].

■ ■ ■

(1) انظر: «المستطرف في كل فن مستظرف» للأبشيهي [1/ 237 - 238].

أَلا أُحَدِّثُكُمْ عَنِ الْخَضِرِ؟

رُوِيَ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ – رضي الله عنه – أَنَّ النَّبِيَّ – صلى الله عليه وسلم – قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ لِأَصْحَابِهِ: «أَلا أُحَدِّثُكُمْ عَنِ الْخَضِرِ؟

قَالُوا: بَلَى، يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: "بَيْنَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ يَمْشِي فِي سُوقِ بني إِسْرَائِيلَ، أَبْصَرَهُ رَجُلٌ مُكَاتَبٌ[1]، فَقَالَ: تَصَدَّقْ عَلَيَّ بَارَكَ اللهُ فِيكَ، فَقَالَ الْخَضِرُ: آمَنْتُ بِاللهِ مَا شَاءَ اللهُ مِنْ أَمْرٍ يَكُونُ مَا عِنْدِي شَيْءٌ أُعْطِيكَهُ.

فَقَالَ الْمِسْكِينُ: أَسْأَلُكَ بِوَجْهِ اللهِ لَمَ تَصَدَّقْتَ عَلَيَّ؟ فَإِنِّي نَظَرْتُ السِّيمَاءَ[2] فِي وَجْهِكَ، وَرَجَوْتُ الْبَرَكَةَ عِنْدَكَ، فَقَالَ الْخَضِرُ: آمَنْتُ بِاللهِ مَا عِنْدِي شَيْءٌ أُعْطِيكَهُ إِلا أَنْ تَأْخُذَنِي فَتَبِيعَنِي، فَقَالَ الْمِسْكِينُ: وَهَلْ يَسْتَقِيمُ هَذَا؟

قَالَ: نَعَم الْحَقَّ أَقُولُ، لَقَدْ سَأَلْتَنِي بِأَمْرٍ عَظِيمٍ، أَمَا إِنِّي لا أُخَيِّبُكَ بِوَجْهِ رَبِّي، بِعْنِي، قَالَ: فَقَدَّمَهُ إِلَى السُّوقِ، فَبَاعَهُ بِأَرْبَعِ مِائَةِ دِرْهَمٍ، فَمَكَثَ عِنْدَ الْمُشْتَرِي زَمَانًا لا يَسْتَعْمِلُهُ فِي شَيْءٍ، فَقَالَ لَهُ: إِنَّكَ إِنَّمَا ابْتَعْتَنِي الْتِمَاسَ خَيْرٍ عِنْدِي، فَأَوْصِنِي بِعَمَلٍ، قَالَ: أَكْرَهُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ إِنَّكَ شَيْخٌ كَبِيرٌ ضَعِيفٌ، قَالَ: لَيْسَ يَشُقُّ[3] عَلَيَّ.

قَالَ: فَقُمْ فَانْقِلْ هَذِهِ الْحِجَارَةَ، وَكَانَ لا يَنْقُلُهَا دُونَ سِتَّةِ نَفَرٍ فِي يَوْمٍ، فَخَرَجَ الرَّجُلُ لِبَعْضِ حَاجَتِهِ، ثُمَّ انْصَرَفَ وَقَدْ نَقَلَ الْحِجَارَةَ فِي سَاعَةٍ، فَقَالَ: أَحْسَنْتَ وَأَجْمَلْتَ، وَأَطَقْتَ مَا لَمْ أَرَكَ تُطِيقُهُ.

قَالَ: ثُمَّ عَرَضَ لِلرَّجُلِ سَفَرٌ، فَقَالَ: إِنِّي أَحْسَبُكَ أَمِينًا، فَاخْلُفْنِي فِي أَهْلِي خِلافَةً حَسَنَةً، قَالَ: فَأَوْصِنِي بِعَمَلٍ، قَالَ: إِنِّي أَكْرَهُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ، قَالَ: لَيْسَ يَشُقُّ عَلَيَّ، قَالَ: فَاضْرِبْ مِنَ اللَّبِنِ [يعني: الطوب] لِبَيْتِي حَتَّى أَقْدَمَ عَلَيْكَ.

---

(1) المكاتبة: هي اتفاق العبد مع سيده بدفع مال له مقابل عِتْقه.

(2) أي: العلامة أو الدليل.

(3) يشق: يصعب.

قَالَ: فَمَضَى الرَّجُلُ لِسَفرِهِ فَرَجعَ الرَّجُلُ، وَقَدْ شَيَّدَ بناءَهُ، فَقَالَ: أَسْأَلُكَ بِوَجْهِ الله مَا سَبِيلُكَ، وَمَا أَمْرُكَ؟

قَالَ: سَأَلْتَنِي بِوَجْهِ الله، وَوَجْهُ اللهَّ أَوْقَعَنِي فِي الْعُبُودِيَّةِ، فَقَالَ الْخَضِرُ: سَأُخْبِرُكَ مَنْ أَنَا، أَنَا الْخَضِرُ الَّذِي سَمِعْتَ بِهِ سَأَلَنِي مِسْكِينٌ صَدَقَةً، فَلَمْ يَكُنْ عِنْدِي شَيْءٌ أُعْطِيهُ، فَسَأَلَنِي بِوَجْهِ الله، فَأَمْكَنْتُهُ مِنْ رَقَبَتِي، فَبَاعَنِي، وَأُخْبِرُكَ أَنَّهُ مَنْ سُئِلَ بِوَجْهِ الله، فَرَدَّ سَائِلَهُ وَهُوَ يَقْدِرُ وَقَفَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جِلْدُهُ وَلا لَحْمَ لَهُ وَلا عَظْمَ يَتَقَعْقَعُ.

فَقَالَ الرَّجُلُ: آمَنْتُ بِالله، شَقَقْتُ عَلَيْكَ يَا نَبِيَّ اللهَّ وَلَمْ أَعْلَمْ، فَقَالَ: لا بَأْسَ، أَحْسَنْتَ وَأَبْقَيْتَ، فَقَالَ الرَّجُلُ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، يَا نَبِيَّ الله، احْكُمْ فِي أَهْلِي وَمَالِي بِمَا أَرَاكَ اللهَّ أَوْ أُخَيِّرُكَ، فَأُخَلِّي سَبِيلَكَ.

فَقَالَ: أُحِبُّ أَنْ تُخَلِّيَ سَبِيلِي فَأَعْبُدَ رَبِّي، فَخَلَّى سَبِيلَهُ، فَقَالَ الْخَضِرُ: الْحَمْدُ للهَِّ الَّذِي أَوْقَعَنِي فِي الْعُبُودِيَّةِ، ثُمَّ نَجَّانِي مِنْهَا»[1].

■ ■ ■

---

(1) أخرجه: الطبراني في «المعجم الكبير» [7/ 119/ رقم7406]، والنقاش في «فنون العجائب في أخبار الماضيين من بني إسرائيل» [رقم/ 94]. وسنده لا يثبت.

مَنْ صاحب الرغيف الثالث؟

رُوِيَ أن عيسى – عليه السلام –: «كان معه صاحب له في بعض سياحاته فأصابهما الجوع وقد انتَهَيا إلى قرية، فقال عيسى – عليه الصلاة والسلام – لصاحبه انطلق فاطلب لنا طعاما من هذه القرية وأعطاه ما يشتري به.

فذهب الرجل وقام عيسى – عليه الصلاة والسلام – يصلي فجاء بثلاثة أرغفة فقعد ينتظر انصراف عيسى – عليه الصلاة والسلام – فأبطأ عليه، فأكل رغيفًا، وكان عيسى – عليه الصلاة والسلام – رآه حين جاء ورأى الأرغفة ثلاثة، فلما انصرف من صلاته لم يجد إلا رغيفين.

فقال له: أين الرغيف الثالث؟

فقال الرجل: ما كانا إلا رغيفيْن، فأكلاهما، ثم مَرَّا على وجوههما حتى أتيا على [غزلان] ترْعَى، فدعا عيسى – عليه الصلاة والسلام – واحدًا منها، فجاءه فذبحه وأكلا منه.

فقال عيسى للرجل: بالذي أراك هذه الآية من أكل الرغيف الثالث؟

فقال: ما كانا إلا رغيفيْن فقط؟

ثم مَرَّا على وجوههما حتى جاءا قرية فدعا عيسى ربه أن ينطق له مَنْ يخبره عن حال هذه القرية، فأنطق الله له لَبِنة، فسألها عيسى فأخبرتْه بكل ما أراد، وصاحبه يتعجب مما رأى!

فقال له عيسى: بحقِّ مَنْ أراك هذه الآية مَنْ صاحب الرغيف الثالث؟

فقال: ما كانا إلا رغيفين فقط؟

فمرَّا على وجوههما حتى انتهيا إلى نهر عُجَاج، فأخذ عيسى – صلوات الله عليه – بيد الرجل ومشَى به على الماء حتى جاوز النهر. فقال الرجل: سبحان الله.

فقال عيسى - عليه الصلاة والسلام -: بالذي أراك هذه الآية من صاحب الرغيف الثالث؟

فقال: ما كانا إلا رغيفين فقط؟

فمَرَّا على وجوههما حتى أتَيَا قرية عظيمة خَرِبة، وإذا قريب منها ثلاث لَبِنات عظَام، وقيل: ثلاثة أكوام من الرمل. فقال لها: كُوني ذهبًا بإذن الله فكانت، فلما رآها الرجل قال: هذا مال. فقال عيسى نعم واحدة لي، وواحدة لك، وواحدة لصاحب الرغيف الثالث!

فقال الرجل: أنا صاحب الرغيف الثالث.

فقال عيسى - عليه الصلاة والسلام - هي لك كلها، ثم فارَقَه عيسى وأقام الرجل ليس معه ما يحملها عليه، فمرَّ به ثلاثة نفر فقتلوه، فقال اثنان منهما للثالث: انطلق إلى القرية فأْتِنا بطعام.

فانطلق فلما غاب قال أحدهما للآخر: إذا جاء قتلناه واقتسمْنا المال بيننا، فقال الآخر: نعم.

وأما الذي ذهب ليشتري الطعام فإنه أضمر لصاحبَيْه السوء وقال: أجعل لهما في الطعام سُمًّا، فإذا أكلاه ماتا وآخُذ المال لنفسي.

فوضع السُّمَّ في الطعام وجاء فقامَا إليه فقتلاه، وأكَلَا الطعام، فماتَا، فمرَّ بهم عيسى عليه - الصلاة والسلام - وهم صرْعى وموتى حولهم. فقال: هكذا الدنيا تفعل بأهلها»[1].

■ ■ ■

(1) انظر: «المستطرف في كل فن مستظرف» للأبشيهي [2/ 606].

قصة ذِي الْكَفِّ

عن عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، قال: «كَانَ عَابِدٌ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَكَانَتْ لَهُ امْرَأَةٌ سَخَّابَةٌ[1] سَلِيطَةٌ بَذِيئَةُ اللِّسَانِ، وَكَانَ يَبِيعُ الْقِفَاف.

قَالَ: فَخَرَجَ يَوْمًا بِقِفَافِهِ، فَمَرَّ بِقَصْرٍ، فَلَحَظَتْهُ ابْنَةُ الْمَلِكِ، فَقَالَتْ لِجَارِيَتِهَا: لَا صَبْرَ لِي عَنْهُ، عَلَيَّ بِهِ.

فَخَرَجَتْ إِلَيْهِ الْجَارِيَةُ، فَقَالَتْ لَهُ: تَبِيعُ قِفَافَكَ؟

قَالَ: نَعَمْ، قَالَتْ: فَذَهَبَتْ بِهِ حَتَّى أَدْخَلَتْهُ الْقَصْرَ، فَأَغْلَقَتْ عَلَيْهِ بَابًا دُونَ بَابٍ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى الْمَرْأَةِ، فَأَرَادَتْهُ عَلَى نَفْسِهِ، فَجَهَدَتْ بِهِ، فَأَبَى[2] أَنْ يَقَعَ عَلَيْهَا، حَتَّى قَالَتْ لَهُ: فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ صِحْنَا بِكَ قَالَ: فَلَا بُدَّ مِنْهُ [يعني: إنْ كان لا بد من هذا] قَالَ: فَضَعُوا لِي طَهُورًا [يعني: ماءً] عَلَى السَّطْحِ حَتَّى اسْتَنْظِفَ، وَأَتَطَهَّرَ بِهِ.

قَالَ: فَفَعَلُوا، فَتَوَضَّأَ، وَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ دَارَ حَوْلَ الْقَصْرِ، مِنْ أَيِّهَا يُلْقِي نَفْسَهُ!

قَالَ: فَجَاءَ إِلَى أَقْصَرِهَا فِي نَفْسِهِ، فَقَالَ: بِسْمِ اللهِ، فَأَلْقَى نَفْسَهُ، فَأَوْحَى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى جِبْرِيلَ عليه السلام أَنْ يَتَلَقَّاهُ بِجَنَاحِهِ كَمَا يَتَلَقَّى الْوَالِدُ الرَّحِيمُ وَلَدَهُ فَلَا يَخْدِشُ لَهُ لَحْمًا، وَلَا يَكْسِرُ لَهُ عَظْمًا.

فَتَلَقَّاهُ جِبْرِيلُ بِجَنَاحِهِ حَتَّى وَضَعَهُ عَلَى الْأَرْضِ. قَالَ: فَانْصَرَفَ بِهِ إِلَى أَهْلِهِ، فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ: أين ثَمَنِ الْقِفَافِ؟ فَصَاحَتْ بِهِ، وَضَجَّتْ. وَكَانَتِ امْرَأَةً سَخَّابَةً [يعني: قبيحة اللسان] فَسَخِبَتْ مَعَهُ سَاعَةً، وَآذَتْهُ بِلِسَانِهَا.

فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ، قَالَ لَهَا آخِرَ شَيْءٍ: قَوْمِي إِلَى تَنُّورِكِ[3]، فَاسْجِرِيهَا [يعني: أوقديه]

(1) السَّخَب والصَّخَب: الصِياح واختلاط الأصوات.

(2) أبى: رفض وامتنع.

(3) التنور: المَوْقِد للنار.

فَقَامَتْ فَسَجَرَتِ[1] التَّنُورَ حَتَّى أَحْمَتْهُ، وَجَاءَتْ تُحَدِّثُ زَوْجَهَا، فَجَاءَ بَعْضُ الْجِيرَانِ، فَقَالَ: عِنْدَكُمْ وَقُودٌ؟

قَالَتْ: نَعَمْ، خُذِيهِ مِنَ التَّنُّورِ، قَالَ: فَذَهَبَتْ لِتَأْخُذَ النَّارَ، فَإِذَا التَّنُّورُ مَلِيءٌ خُبْزًا نَضِيجًا[2] أَطْيَبَ خُبْزٍ يَكُونُ، فَرَجَعَتْ إِلَيْهَا، فَقَالَتْ: أَشْغَلَكِ الْحَدِيثُ مَعَ زَوْجِكِ عَنِ الْخُبْزِ، وَقَدِ احْتَرَقَ فِي التَّنُّورِ، فَقَامَتْ، فَإِذَا التَّنُّورُ مَلِيءٌ خُبْزًا أَطْيَبَ مَا يَكُونُ.

فَقَالَتْ لِزَوْجِهَا: مَا هَذَا؟

فَأَخْبَرَهَا الْأَمْرَ. قَالَ: فَقَالَتْ: لَكَ هَذِهِ الْمَنْزِلَةُ عِنْدَ رَبِّكَ، وَلَمْ أَعْلَمْ؟ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يُوَسِّعَ عَلَيْنَا إِلَى أَنْ نَمُوتَ، فَقَالَ: دَعِي اللَّهَ يَأْتِي بِالرِّزْقِ.

فَلَمْ تَزَلْ حَتَّى قَالَ: فَدَعَى الْآنَ، فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ قَامَ، فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ قَالَ: يَا رَبِّ، إِنَّ فُلَانَةَ امْرَأَتِي سَأَلَتْنِي أَنْ أَسْأَلَكَ شَيْئًا نَتَوَسَّعُ بِهِ إِلَى أَنْ نَمُوتَ، وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ ذَلِكَ يَنْقُصُنِي مِنْ مَجَالِسِ الْأَبْرَارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. فَانْفَرَجَ سَقْفُ الْبَيْتِ، فَإِذَا كَفٌّ فِيهَا لُؤْلُؤَتَانِ لَمْ يَنْظُرْ إِلَى مِثْلِهِمَا، حَتَّى وَقَعَتَا بَيْنَ يَدَيْهِ.

فَقَالَ لامرأته: قُومِي، فَخُذِي هَذَا، وَقَدْ نَقَصَتْنِي ذَلِكَ مِنْ مَجَالِسِ الْأَبْرَارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. قَالَ: فَقَالَتْ: إِنِّي رَأَيْتُ كَأَنَّ مَنَابِرَ وُضِعَتْ مُكَلَّلَةً بِالْيَاقُوتِ وَاللُّؤْلُؤِ، فَقُلْتُ: مَا لِهَذَا الْمِنْبَرِ قَدْ ذَهَبَ مِنْهَا هَاتَانِ اللُّؤْلُؤَتَانِ؟

قَالُوا: هَذَا عَمَلُكِ، سَأَلْتِ زَوْجَكِ أَنْ يَسْأَلَ أَنْ يُعَجِّلَ لَهُمُ اللُّؤْلُؤَتَانِ فِي الدُّنْيَا، فَجَعَلَ لَهُمْ ذَلِكَ، فَقُلْتُ: فَهَذَا الَّذِي سَأَلْتُهُ أَنْ يَسْأَلَ رَبَّكَ، فَلَا حَاجَةَ لِي فِيهَا، ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَرُدَّهُمَا.

قَالَ: فَدَعَا اللَّهَ، فَجَاءَتِ الْكَفُّ حَتَّى أَخَذَتْهُمَا فَهُوَ مَكْتُوبٌ فِي بَعْضِ حَدِيثِ ذِي الْكَفِّ»[3].

---

(1) سجَر: أوقد وأشعل.

(2) النضيج: ما اكتمل طَهْوُه.

(3) أخرجه: النقاش في «فنون العجائب في أخبار الماضيين من بني إسرائيل» [رقم/ 106].

الرَّجُل صاحب الرِّجْل المعلَّقة في الهواء؟

عن عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ زَيْدٍ، قَالَ: «كَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ عَابِدٌ فِي صَوْمَعَتِهِ[1]، فَحَسَدَهُ إِبْلِيسُ، فَجَاءَ، فَبَنَى بِجَنْبِ صَوْمَعَتِهِ بَيْتًا، فَجَعَلَ يَدْعُو وَيَبْكِي، وَلَا يَفْتُرُ[2] مِنْ قِيَامٍ، وَلَا يَنَامُ.

فَقَالَ لَهُ الْعَابِدُ: إِنَّا لَنَنَامُ وَلَنَفْتُرُ، وَلَا نَقْوَى عَلَى مَا تَقْوَى عَلَيْهِ يَا هَذَا.

فَقَالَ لَهُ إِبْلِيسُ: إِنِّي قَدْ أَصَبْتُ مِنَ الذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا، وَإِنِّي كُلَّمَا جَاءَنِي النَّوْمُ، فَنَظَرْتُ فِي خَطَايَايَ ذَهَبَ عَنِّي النَّوْمُ، وَإِنَّكَ لَوْ أَصَبْتَ شَيْئًا مِنَ الذُّنُوبِ كُنْتَ هَكَذَا، وَذَكَرْتَ ذُنُوبَكَ، فَبَكَيْتَ.

فَقَالَ الْعَابِدُ: لَوَدِدْتُ أَنِّي أَصَبْتُ مِنَ الذُّنُوبِ حَتَّى تَجِيءَ بِمِثْلِ مَا جَاءَكَ. قَالَ: فَإِذَا كَانَ اللَّيْلُ حَتَّى أَذْهَبَ بِكَ إِلَى ابْنَةِ فُلَانٍ الْمَلِكِ. فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ، نَزَلَ فَلَمَّا أَخْرَجَ رِجْلًا وَاحِدًا مِنَ الصَّوْمَعَةِ، تَلَقَّاهُ جِبْرِيلُ عليه السلام، وَمِيكَائِيلُ، فَقَالَ لَهُ: تَخْرُجُ مِنْ طَاعَةِ اللهِ إِلَى مَعْصِيَةِ اللهِ هَذَا إِبْلِيسُ.

فَقَالَ الرَّجُلُ: خَرَجْتُ مِنْ طَاعَةِ اللهِ إِلَى مَعْصِيَتِهِ، لَا تَرْجِعُ إِلَى الْأُخْرَى أَبَدًا، فَمَكَثَ كَذَلِكَ رِجْلًا مِنْ دَاخِلٍ، وَرِجْلًا مِنْ خَارِجٍ، حَتَّى قَبَضَهُ اللهُ»[3].

وفي رواية أخرى: أنه كان في بني إسرائيل رجل يتعبد في صومعته فمكث كذلك زمانا طويلا فأشرف ذات يوم فإذا هو بامرأة فافتتن بها وهمَّ بها.

فأخرج رجله لينزل إليها فأدركه الله بسابقة [يعني: بواعظ من نفسه] فقال: ما هذا الذي أريد أن أصنع؟ فرجعتْ إليه نفسه وعصمه الله تعالى، فندم فلما أراد أن يعيد

---

(1) الصومعة: كل بناء متصمِّع الرأس، أي: متلاصقه، والمراد مكان العبادة للرهبان.

(2) الفتور: الكسل والضعف.

(3) أخرجه: النقاش في «فنون العجائب في أخبار الماضيين من بني إسرائيل» [رقم/ 103].

رجله إلى الصومعة قال: هيهات هيهات رِجْل خرجتْ تريد أن تعصى الله تعود في صومعتي لا يكون والله له ذلك أبدا، فتركها معلَّقة في الصومعة تُصيبها الأمطار والرياح والثلج والشمس حتى تقطَّعَتْ فسقَطتْ! فشكر الله له ذلك[1].

■ ■ ■

---

(1) انظر: «إحياء علوم الدين» للغزالي [3/ 349 - 350].

أنا الذي لا يحْجُبُني حاجب!

كان في بني إسرائيل جبَّار من الجبابرة، وكان في بعض الأيام جالسًا على سرير مملكته فرأى رجلا قد دخل من باب الدار ذا صورة منكرة وهيئة هائلة، فاشتد خوفه من هجومه وهيئته وقدومه فوثَب في وجهه وقال له:

من أنت أيها الرجل ومن أذِنَ لك في الدخول إلى داري؟

فقال: أذِنَ لي صاحب الدار وأنا الذي لا يحجبني حاجب، ولا أحتاج في دخولي على الملوك إلى إذْن، ولا أرْهب سياسة السلطان، ولا يفزعني جبار ولا لأحدٍ من قبضتي فِرار!

فلما سمع هذا الكلام خرَّ ذلك الجبار على وجهه ووقعت الرعْدة في جسده وقال: أنت ملك الموت؟

قال: نعم.

قال أقسم عليك بالله إلَّا أمهلتني يومًا واحدًا لأتوب من ذنبي، وأطلب العذر من ربي، وأرُدُّ الأموال التي أودعْتُها خزائني إلى أربابها، ولا أتحمَّل مشقة عذابها.

فقال: كيف أُمْهِلك وأيام عمرك محسوبة، وأوقاتها مُثْبَتة مكتوبة؟

فقال: أمْهِلْني ساعةِ.

فقال: إن الساعات في الحساب وقد عَبَرَتْ وأنت غافل، وانقضَتْ وأنت ذاهل، وقد استوفيتَ أنفاسك ولم يبْقَ لك نفَسٌ واحد!

فقال: من يكون عندي إذا نقلتني إلى لَحْدِي؟

فقال: لا يكون عندك سوى عملك.

فقال: ما لي عمل؟

فقال: لا شك أنك مآلك في النار ومصيرك إلى غضب الجبار.

وقبض روحه، فخرَّ عن سريره، وعلا الضجيج من أهل مملكته وارتفع، ولو علموا ما يصير إليه من سخط ربه لكان بكاؤهم عليه أكثر وعويلهم أوْفَر[1].

■ ■ ■

---

(1) انظر: «الاستعداد للموت وسؤال القبر» للمليباري [ص/ 14].

توبة ابن ملك من ملوك بني إسرائيل

عن بكر بن عبد الله المزني قال: «كان رجل من ملوك بني إسرائيل قد أعطاه الله طول عمر، وكثرة أموال، وكثرة أولاد، وكان أولاده إذا كبر أحدهم لبس ثياب الشَّعْر ولحق بالجبال، وأكل من الشجر وساح في الأرض حتى يأتيه الموت.

ففعل ذلك جماعتهم رجل بعد رجل ثم تتابع بَنُوه على ذلك.

فشاء الله أن يُنْجِب هذا الملك صبيًا جميلًا، فدعا قومه فقال: إني قد أنجبتُ ولدًا بعد ما كبرتُ، وترون شفقتي عليكم، وإني أخاف أن يتْبَع هذا سُنَّة إخوته، وأنا أخاف عليكم إن لم يكن عليكم أحد من ولدي بعدي أن تهلكوا، فخذوه الآن في صِغَر سِنَّه فحبِّبوا إليه الدنيا، فعسى أن يبقَى من بعدكم عليكم.

فبَنُوا لهذا الولد حائطا طوله فرسخ في فرسخ [الفرسخ: حوالي خمسة كيلو مترات.] فكان فيه دهرًا من دهره.

ثم ركب يوما فإذا عليه حائط. فقال: إني أحسب أن خلف هذا الحائط ناسًا وعالًما آخر، فأخرجوني أزْدَدْ عِلْمًا وألْقَى الناس.

فقيل ذلك لأبيه، ففزع وخشي أن يتبع سُنَّة إخوته. فقال: اجمعوا عليه كل لَهْو ولعب [يعني: حتى ينشغل بذلك] ففعلوا ذلك.

ثم ركب في السنة الثانية فقال: لا بد من الخروج، فأخبروا بذلك أباه، فقال: أخرجوه.

فجعلوه على عجلة، وكلَّلُوه بالزبرجد والذهب، وصار حوله حافتان من الناس، فبينا هو يسير إذا هو برجل مُبْتَلَى. فقال: ما هذا؟

قالوا: رجل مبتلى.

فقال: أيصيب الابتلاء ناسًا دون ناس أو كل خائف له؟

قالوا: كل خائف له.

قال: وهل يصيبني أنا فيما أنا فيه من السلطان؟

قالوا: نعم.

فقال: أُفٍّ لعيشكم هذا! هذا عيشُ كَدَر، فرجع مغمومًا محزونًا.

فذكروا ذلك لأبيه فقال: انشروا عليه كل لهْو وباطل حتى تنزعوا من قلبه هذا الحزن والغم.

فلبث عامًا ثم قال: أخرجوني، فخرج فبينا هو يسير إذا هو برجل قد شاخ ولعابه يسيل من فيه! فقال: ما هذا؟

قالوا: رجل قد شاخ.

فقال: وهل هذا يصيب ناسًا دون ناس أو كل خائف له ؟

قالوا: بل يصيب كل خائف له.

فقال: أُفٍّ لعيشكم هذا! هذا عيش لا يصْفُو لأحد.

فأخبروا بذلك أباه فقال: احشروا عليه كل لهو وباطل فحشروا عليه.

فمكث عامًا ثم ركب فبينا هو يسير إذا هو بِـنَعْشٍ تحمله الرجال على عواتقها فقال: ما هذا؟

قالوا: رجل مات.

قال لهم: وما الموت؟ إيتوني بهذا الرجل الميت، فأتوْه به، فقال: أجلسوه.

فقالوا: إنه لا يجلس.

قال: كلموه.

قالوا: إنه لا يتكلم.

قال: فأين تذهبون به؟

قالوا: ندفنه تحت الثَّرى.

قال: فيكون ماذا بعد هذا؟

قالوا: الحشْر.

قال: لهم: وما الحشر؟

قالوا: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦﴾ [المطففين: 6] فيُجْزَى كل واحد على قدْر حسناته وسيئاته.

قال: ولكم دار غير هذه تُجازون فيها؟

قالوا: نعم. فرَمَى بنفسه من الفرس وجعل يُعفِّر وجهه في التراب وقال لهم: مِن هذا كنت أخشى! كاد هذا يأتي عليَّ وأنا لا أعلم به، أمَّا وقد عرفت أن هناك ربًّا يُعطي ويحشر ويجازي! إن هذا آخر العهد بيني وبينكم فلا سبيل لكم عليَّ بعد هذا اليوم.

فقالوا: لا ندعك حتى نردَّك إلى أبيك.

قال: فردُّوه إلى أبيه وكاد ينزف دمه.

فقال: يا بني ما هذا الجزع؟

قال: جزعي ليوم يُعْطَى فيه الصغير والكبير مجازاتها ما عمَلا من الخير والشر.

فدعا بثياب فلبسها وقال: إني عازم في الليل أن أخرج، فلما كان في نصف الليل أو قريبا منه خرج فلما خرج من باب القصر فقال: اللهم إني أسألك أمرًا ليس لي منه قليل ولا كثير قد سبقت فيه المقادير. إلهي لوَدِدْتُ أن الماء كان في الماء وأن الطين كان في الطين ولم أنظر بعيني إلى الدنيا نظرة واحدة.

قال راوي القصة بكر بن عبد الله: فهذا رجل خرج من ذنب واحد لا يعلم ماذا عليه فكيف بمن يذنب وهو يعلم ما عليه فيه ولا يتحرَّج ولا يجزع ولا يتوب؟!»[1].

---

(1) نقلا – ببعض التصرف والإيضاح – عن: «التوابين» لموفق الدين ابن قدامة [ص/ 29 – 30].

توبة حفيد نبي

عن سَعِيد بْن جُبَيْرٍ عَن ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «كان في بني إسرائيل عابد قَدْ أُعْجِبُوا بِهِ فَذَكَرُوهُ يَوْمًا عِنْدَ نَبِيِّهِمْ فَأَثْنَوْا! عَلَيْهِ فَقَالَ: إِنَّهُ لَكَمَا تَقُولُونَ لَكِنَّهُ تَارِكٌ لِشَيْءٍ مِنَ السُّنَّةِ.

فَبَلَغَ الْعَابِدَ فَقَالَ: فَعَلامَ أُدَئِّبُ نَفْسِي؟!.

قَالَ: فَهَبَطَ مِنْ مَكَانِهِ فَأَتَى النَّبِيَّ وَعِنْدَهُ النَّاسُ وَالنَّبِيُّ لا يَعْرِفُهُ بِوَجْهِهِ. فَسَلَّمَ عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ! بَلَغَنِي أَنِّي ذُكِرْتُ عِنْدَكَ فَقُلْتُ: إِنَّهُ لَكَذَلِكَ لَوْلا أَنَّهُ تَارِكٌ لِشَيْءٍ مِنَ السُّنَّةِ فَفِيمَ أُدَئِّبُ نَفْسِي بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَعْتَزِلُ النَّاسَ، وَإِنَّمَا أَطْلُبُ سُنَّةَ الرَّبِّ - عَزَّ وَجَلَّ - .

قَالَ: أَنْتَ فُلانٌ؟ قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: أَمَا وَاللهِ مَا هُوَ شَيْءٌ أَحْدَثْتَهُ فِي ديننا وَلَكِنَّكَ لَمْ تَتَزَوَّجْ قَالَ: لَهُ الْعَابِدُ: وَلَيْسَ إِلا هَذَا؟ قَالَ: لا.

قَالَ: فَلَمَّا رَأَى النَّبِيُّ اسْتِهَانَتَهُ قَالَ: أَرَأَيْتَ لَوْ فَعَلَ النَّاسُ مِثْلَ الَّذِي فَعَلْتَ مَنْ كَانَ يَتَّقِي الْعَدُوَّ عَنِ الْمُسْلِمِينَ وَمَنْ كَانَ يَأْخُذُ لِلْمَظْلُومِ مِنَ الظَّالِمِ؟

قَالَ: وَذَكَرَ الصَّلاةَ.

قَالَ لَهُ: الْعَابِدُ صَدَقْتَ يَا نَبِيَّ اللهِ! مَا أُحَرِّمُهُ وَلَكِنِّي أَكْرَهُ أَنْ أَتَزَوَّجَ امْرَأَةً وَأَنَا فَقِيرٌ فَأُعْضِلُهَا وَلَيْسَ عِنْدِي مَا أُنْفِقُ عَلَيْهَا، وَأَمَّا الأَغْنِيَاءُ فَلا يُزَوِّجُونَنِي.

فَقَالَ لَهُ: النَّبِيُّ مَا بِكَ إِلا هَذَا؟

قَالَ: فَمَا بِي إِلا هَذَا.

قَالَ: أَنَا أُزَوِّجُكَ ابْنَتِي.

قَالَ: قَدْ فَعَلْتُ قَالَ: فَزَوَّجَهُ فَوَلَدَتْ لَهُ غُلامًا.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَوَاللهِ مَا وُلِدَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مَوْلُودٌ ذَكَرٌ قَطُّ كَانُوا أَشَدَّ فَرَحًا بِهِ مِنْ ذَلِكَ الْغُلَامِ.

قَالَ: قَالُوا: ابْنُ نَبِيِّنَا وَابْنُ عَابِدِنَا! إِنَّا لَنَرْجُو أَنْ يَبْلُغَ بِنَا مَا بَلَغَ رَجُلٌ.

قَالَ: فَلَمَّا بَلَغَ الْغُلَامُ انْقَطَعَ إِلَى عَبَدَةِ الأَوْثَانِ وَانْقَطَعُوا إِلَيْهِ وَكَثُرُوا عِنْدَهُ قَالَ: فَبَيْنَا هُمْ عِنْدَهُ يَوْمًا إِذْ قَالَ: إِنِّي أَرَاكُمْ كَثِيرًا فَمَا بال الْقَوْمِ قَاهِرِينَ لَكُمْ.

فَقَالُوا: إِنَّ لَهُمْ رَأْسًا يَجْمَعُهُمْ وَلَيْسَ لَنَا رَأْسٌ قَالَ: فَمَا يَمْنَعُكُمْ إلا هَذَا؟

قَالُوا: نَعَمْ.

قَالَ: فَأَنَا رَأْسُكُمْ.

قَالُوا: وَتَفْعَلُ؟

قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: فَخَرَجَ وَخَرَجُوا مَعَهُ.

قَالَ: فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ وَبَلَغَ أَبَاهُ فَاجْتَمَعَ بَنُو إِسْرَائِيلَ إِلَى النَّبِيِّ وَأَبُوهُ مَعَهُمْ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ يُذَكِّرُهُ بِاللهِ وَأَنْ يَرْجِعَ إِلَى ديننا فَأَبَى.

فَخَرَجَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ وَخَرَجَ أَبُوهُ مَعَهُ فَالْتَقَى الْقَوْمُ وَاقْتَتَلُوا حَتَّى كَثُرَتِ الدِّمَاءُ فِيهِمْ وَقُتِلَ النَّبِيُّ وَقُتِلَ أَبُوهُ مَعَ النَّبِيِّ، وَانْهَزَمَ بَنُو إِسْرَائِيلَ، وَاتَّبَعَهُمْ يُفْنِيهِمْ وَيَبْعَثُ فِي آثَارِهِمْ يَقْتُلُهُمْ.

قَالَ: فَلَحِقَ أَحْبَارُهُمْ بِالْجِبَالِ وَاسْتَقَامَ لَهُ النَّاسُ . فَجَعَلَتْ نَفْسُهُ لا تَدَعُهُ وَظَنَّ أَنَّ ذَلِكَ الْمُلْكَ لا يَسْتَقِيمُ لَهُ حَتَّى يُفْنِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَجَعَلَ يَبْعَثُ فِي طَلَبِهِمْ فِي الْجِبَالِ يَقْتُلُهُمْ فَاسْتَقَامَ لَهُ النَّاسُ وَاشْتَدَّ مُلْكُهُ.

فَلَمَّا رَأَى أَحْبَارُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مَا يَفْعَلُ بِهِمْ قَالُوا: خلينا عَنْ هَذَا الرَّجُلِ وَعَنْ مُلْكِهِ وَلَيْسَ يَدَعُنَا! لَقَدْ بُؤْنَا بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ فَرَرْنَا عَنْ نَبِيِّنَا وَعَابِدِنَا حَتَّى قُتِلا وَلَيْسَ يَدَعُنَا فَتَعَالَوْا نَتُوبُ إِلَى اللهِ - عَزَّ وَجَلَّ - وَنَلْقَى هَذَا الرَّجُلَ فَنُقَاتِلُ وَنَحْنُ تَائِبُونَ.

قَالَ: فَوَلَّوْا رَجُلا مِنْهُمْ أَمْرَهُمْ وَبَايَعُوا لَهُ وَهَبَطُوا وَقَدْ وَطَّنُوا أَنْفُسَهُمْ عَلَى الْمَوْتِ وَتَابُوا إِلَى اللهِ - عَزَّ وَجَلَّ - .

قَالَ: فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ فَاقْتَتَلُوا أَوَّلَ يَوْمٍ مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ حَتَّى حَالَ بَيْنَهُمُ اللَّيْلُ ثُمَّ غَدَوْا فَاقْتَتَلُوا حَتَّى كَثُرَتِ الدِّمَاءُ فِي الْفَرِيقَيْنِ حَتَّى حَالَ بَيْنَهُمُ اللَّيْلُ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَغَدَوُا الْيَوْمَ الثَّالِثَ وَقَدْ صَبَّرُوا أَنْفُسَهُمْ لله فَاقْتَتَلُوا قِتَالا شَدِيدًا وَقَالَ: لَهُمْ صَاحِبُهُمْ: إِنِّي لأَرْجُو أَنْ يَكُونَ اللهَ قَدْ تَابَ عَلَيْكُمْ وَقَبِلَ تَوْبَتَنَا فَإِنِّي أَرَى الصَّبْرَ قَدْ أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَصَارَتِ الرِّيحُ لَنَا فَإِنْ ظَفَرْتُمْ بِهِ فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَأْخُذُوهُ سَلِيمًا فَلا تَقْتُلُوهُ.

قَالَ: فَاقْتَتَلُوا إِلَى قَرِيبٍ مِنَ اللَّيْلِ لا هَؤُلاءِ يَفِرُّونَ وَلا هَؤُلاءِ يَهْرُبُونَ فَلَمَّا كَانَ فِي آخِرِ النَّهَارِ وَعَرَفَ اللهُ مِنْهُمُ الصِّدْقَ أَنْزَلَ عَلَيْهِمُ النَّصْرَ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللهِ وَقَتَلُوهُمْ وَأَخَذُوهُ سَلِيمًا فَأَتَوْا بِهِ.

قَالَ: فاجتمع بنو إِسْرَائِيلَ إِلَى صَاحِبِهِمْ فَقَالَ لَهُمْ: مَا جَزَاءُ رَجُلٍ مِنْ أَنْفُسِنَا قَتَلَ نَبِيَّنَا وَقَتَلَ وَالِدَهُ وَأَدْخَلَ عَلَيْنَا عَبَدَةَ الأَوْثَانِ حَتَّى قَتَلُونَا وَشَرَّدُونَا فِي الْبِلادِ؟

فَقَائِلٌ يَقُولُ: احْرِقُوهُ! وَقَائِلٌ يَقُولُ: قَطِّعُوهُ!

وَقَائِلٌ يَقُولُ: عَذِّبُوهُ! فَكُلَّمَا قَالُوا لَهُ شَيْئًا مِنْ هَذَا قَالَ: هَذَا يَأْتِي عَلَى نَفْسِهِ قَالُوا: فَأَنْتَ أَعْلَمُ.

قَالَ: فَإِنِّي أَرَى أَنْ نَأْخُذَهُ فَنَصْلِبَهُ حَيًّا وَلا نُطْعِمَهُ وَلا نَسْقِيَهُ وَلا نَقْتُلَهُ وَنَدَعَهُ حَتَّى يَمُوتَ قَالُوا لَهُ: افْعَلْ فَصُلِبَ حَيًّا وَجَعَلُوا عَلَيْهِ الْحَرَسَ.

قَالَ: فَمَكَثَ يَوْمَهُ وَمِنَ الْغَدِ وَالْيَوْمَ الثَّالِثَ حَتَّى أَمْسَى فَلَمَّا أَمْسَى رَأَى الْمَوْتَ فَدَعَا آلِهَتَهُ الَّتِي كَانَ يَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللهِ - عَزَّ وَجَلَّ - قَالَ: فَبَدَأَ بِأَفْضَلِهَا فِي نَفْسِهِ فَيَدْعُوهُ فَإِذَا لَمْ يُجِبْهُ جَاوَزَهُ وَدَعَا الآخَرَ فَأَتَى عَلَى آلِهَتِهِ جَمِيعًا يَدْعُوهُمْ فَلا يُجِيبُونَهُ، وَذَلِكَ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ.

قَالَ: اللَّهُمَّ إِلَهَ جَدِّي وَأَبِي إِنِّي قَدْ ظَلَمْتُ نَفْسِي وَدَعَوْتُ هَذِهِ الآلِهَةَ الَّتِي كُنْتُ

أَعْبُدُهَا مِنْ دُونِكَ فَلَوْ كَانَ عِنْدَهَا خَيْرٌ لأَجَابَتْنِي فَاغْفِرْ لِي وَخَلِّصْنِي مِمَّا أَنَا فِيهِ، فَتَحَلَّلَتْ عَنْهُ الْعُقَدُ فَإِذَا هُوَ فِي أَسْفَلِ الْجِذْعِ.

وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ قَالَ: فَجَعَلَ يَدْعُو صَنَمًا صَنَمًا فَلا يُجِيبُهُ أَحَدٌ قَالَ: فَنَظَرَ إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَ: يَا حَنَّانُ! يَا مَنَّانُ! أَشْهَدُ أَنَّ كُلَّ مَعْبُودٍ مِنْ لَدُنْ عَرْشِكَ إِلَى قَرَارِ أَرْضِكَ بَاطِلٌ إِلا وَجْهَكَ الْكَرِيمَ أَنْتَ فَأَغِثْنِي.

قَالَ: فَبَعَثَ اللهُ - عَزَّ وَجَلَّ - مَلَكًا فَحَلَّهُ عَنْ خَشَبَتِهِ فَأَنْزَلَهُ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَأَخَذَهُ الْحَرَسُ فَأَتَوْا بِهِ صَاحِبَهُمْ وَاجْتَمَعَ بَنُو إِسْرَائِيلَ، فَقَالَ: مَا تَأْمُرُونَ فِي هَذَا؟

قَالُوا: مَا تَرَى فِيهِ اللهِ - عَزَّ وَجَلَّ - حَلَّهُ وَتَقُولُ لَنَا: مَا تَأْمُرُونَ فِيهِ؟!.

قَالَ: صَدَقْتُمْ وَلَكِنْ أَحْبَبْتُ أَنْ أَسْتَأْمِرَكُمْ. فَخَلُّوا عَنْهُ.

قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ يَقُولُ: وَاللهِ مَا كَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ بَعْدَهُ رَجُلٌ خَيْرًا مِنْهُ وَلا أَفْضَلَ»[1].

■ ■ ■

(1) انظر: «التوابين» لموفق الدين ابن قدامة [ص/ 36 - 40].

توبة ملك من الملوك
وقوم لا يعبدون الله

عن بكر بن عبد الله المزني قال: «كان فيمن كان قبلكم ملك وكان متمرِّدًا على ربه - عز وجل - فغزاه المؤمنون فأخذوه سليمًا فقالوا: بأيِّ قتلة نقتله؟

فأجمع رأيهم على أن يجعلوا له قمقمًا عظيمًا ويؤجِّجوا تحته النار ولا يقتلوه حتى يذيقوه طعْم العذاب ففعلوا ذلك به.

قال: فجعل يدعو آلهته واحدًا واحدًا يا فلان! بما كنت أعبدك به وأُصَلِّي لك وأمسح وجهك، فأنقذني مما أنا فيه!

فلما رآهم لا يغنون عنه شيئا رفع رأسه إلى السماء وقال: لا إله إلا الله، ودعا مخلصا فصبَّ الله عليه ماء من السماء فأطفأ تلك النار.

وجاءت ريح فاحتملت ذلك القمقم فجعلت تدور بين السماء والأرض وهو يقول: لا إله إلا الله!

فقذفه الله إلى قوم لا يعبدون الله - عز وجل - وهو يقول: لا إله إلا الله! فاستخرجوه فقالوا: ويحك! مالك؟

فقال: أنا ملك بني فلان كان من أمري وكان من أمري ... فقص عليهم القصة فآمنوا»[1].

■ ■ ■

(1) انظر: «التوابين» لموفق الدين ابن قدامة [ص/ 40].

قصة الرجل العابد والمرأة البَغِيِّ

كَان فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ امْرَأَةٌ بَغِي، وَكَانَتْ مُفْتِنَةً لِلنَّاسِ بِجَمَالِهَا، وَكَانَ بَابُ دَارِهَا أَبَدًا مَفْتُوحًا، فَكُلُّ مَنْ مَرَّ بِبَابِهَا رَآهَا قَاعِدَةً فِي دَارِهَا عَلَى السَّرِيرِ بِحِذَاءِ الْبَابِ، فَكُلُّ مَنْ نَظَرَ إِلَيْهَا افْتُتِنَ بِهَا، فَإِذَا أَرَادَ الدُّخُولَ إِلَيْهَا احْتَاجَ إِلَى إِحْضَارِ عَشْرَةِ دَنَانِيرَ، أَوْ أَقَلَ أَوْ أَكْثَر، حَتَّى تَأْذَنَ لَهُ بِالدُّخُولِ عَلَيْهَا.

فَمَرَّ بِهَا ذَاتَ يَوْم عَابِدٌ مِنَ الْعُبَّادِ فَوَقَعَ بَصَرُهُ فِي الدَّارِ وَهِيَ قَاعِدَةٌ عَلَى السَّرِيرِ، فَافْتُتِنَ بِهَا فَجَعَلَ يُجَاهِدُ نَفْسَهُ وَيَدْعُو اللهَ تَعَالَى لِيُزِيلَ ذَلِكَ مِنْ قَلْبِهِ، فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ عَنْهُ، وَكَانَ يُكَابِدُ نَفْسَهُ الْمُكَابَدَةَ الشَّدِيدَةَ حَتَّى بَاعَ قُمَاشًا كَانَ لَهُ وَجَمَعَ مِنَ الدَّنَانِيرِ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ.

فَجَاءَ إِلَى بَابِهَا وَأَمَرَتْ أَنْ يُسَلِّمَ ذَلِكَ إِلَى وَكِيلٍ لَهَا، وَوَاعَدَتْهُ وَقْتًا لِمَجِيئِهِ، فَجَاءَ إِلَيْهَا فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ وَقَدْ تَزَيَّنَتْ وَجَلَسَتْ فِي بَيْتِهَا عَلَى سَرِيرِهَا، فَدَخَلَ عَلَيْهَا الْعَابِدُ وَجَلَسَ مَعَهَا عَلَى السَّرِيرِ.

فَلَمَّا مَدَّ يَدَهُ إِلَيْهَا وَانْبَسَطَ إِلَيْهَا، تَدَارَكَهُ اللهُ تَعَالَى بِرَحْمَتِهِ وَبَرَكَاتِهِ وَعِبَادَتِهِ الْمُتَقَدِّمَةِ، فَوَقَعَ فِي قَلْبِهِ أَنَّ اللهَ تَعَالَى نِي فِي هَذِهِ الْحَالَةِ فَوْقَ عَرْشِهِ وَأَنَا فِي الْحَرَامِ، وَقَدْ أَحْبَطَ عَمَلِي كُلَّهُ فَوَسِعَتِ الْهَيْبَةُ فِي قَلْبِهِ، وَارْتَعَدَتْ فَرَائِصُهُ وَتَغَيَّرَ لَوْنُهُ.

فَنَظَرَتِ الْمَرْأَةُ إِلَيْهِ فَرَأَتْهُ مُتَغَيِّرَ اللَّوْنِ فَقَالَتْ: أَيُّ شَيْءٍ أَصَابَكَ قَالَ: إِنِّي أَخَافُ رَبِّي، فَائْذَنِي لِي بِالْخُرُوجِ.

فَقَالَت لَهُ، وَيْحَكَ إِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ يَتَمَنَّوْنَ الَّذِي وَجَدْتَهُ، فَأَيُّ شَيْءٍ هَذَا الَّذِي أَنْتَ فِيهِ؟

فَقَالَ لَهَا: إِنِّي أَخَافُ اللهَ تَعَالَى، وَإِنَّ الْمَالَ الَّذِي دَفَعْتُهُ إِلَيْكِ هُوَ حَلَالٌ لَكِ فَائْذَنِي لِي بِالْخُرُوجِ.

فَقَالَتْ لَهُ كَأَنَّكَ لَمْ تَعْمَلْ هَذَا الْعَمَلَ قَطُّ.

قَالَ: لَا.

قَالَتِ المَرْأَةُ: مِنْ أَيْنَ أَنْتَ؟ وَمَا اسْمُكَ؟

فَأَخْبَرَهَا أَنَّهُ مِنْ قَرْيَةِ كَذَا، وَاسْمُهُ كَذَا، فَأَذِنَتْ لَهُ بِالْخُرُوجِ فَخَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا وَهُوَ يَدْعُو بِالْوَيْلِ وَالثُّبُورِ، وَيَبْكِي عَلَى نَفْسِهِ، وَيَحْثُو التُّرَابَ عَلَى رَأْسِهِ.

فَوَقَعَتِ الهَيْبَةُ فِي قَلْبِ المَرْأَةِ بِبَرَكَةِ ذَلِكَ الْعَابِدِ، فَقَالَتْ فِي نَفْسِهَا: إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ أَوَّلُ ذَنْبٍ أَذْنَبَهُ، وَقَدْ دَخَلَ عَلَيْهِ مِنَ الخَوْفِ مَا دَخَلَ، وَإِنِّي قَدْ أَذْنَبْتُ مُنْذُ كَذَا وَكَذَا سَنَةٍ، وَإِنَّ رَبَّهُ الَّذِي يَخَافُ مِنْهُ هُوَ رَبِّي، فَخَوْفِي مِنْهُ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ أَشَدَّ.

فَتَابَتْ إِلَى اللهِ تَعَالَى وَأَغْلَقَتْ بَابَهَا عَنِ النَّاسِ وَلَبِسَتْ ثِيَابًا خَلِقَةً، وَأَقْبَلَتْ عَلَى الْعِبَادَةِ. وَكَانَتْ فِي عِبَادَتِهَا مَا شَاءَ اللهُ

فَقَالَتْ فِي نَفْسِهَا إِنِّي لَوِ انْتَهَيْتُ إِلَى ذَلِكَ الرَّجُلِ فَلَعَلَّهُ يَتَزَوَّجُنِي فَأَكُونُ عِنْدَهُ فَأَتَعَلَّمُ مِنْ أَمْرِ دِينِي وَيَكُونُ عَوْنًا لِي عَلَى عِبَادَةِ اللهِ تَعَالَى، فَتَجَهَّزَتْ وَحَمَلَتْ مَعَهَا مِنَ الْأَمْوَالِ وَالخَدَمِ مَا شَاءَ اللهُ.

فَانْتَهَتْ إِلَى تِلْكَ الْقَرْيَةِ وَسَأَلَتْ عَنْهُ، فَأُخْبِرَ الْعَابِدُ أَنَّهُ قَدِمَتِ امْرَأَةٌ تَسْأَلُ عَنْهُ، فَخَرَجَ الْعَابِدُ إِلَيْهَا فَلَمَّا رَأَتْهُ الْمَرْأَةُ كَشَفَتْ وَجْهَهَا لِيَعْرِفَهَا، فَلَمَّا رَآهَا الْعَابِدُ عَرَفَ وَجْهَهَا وَتَذَكَّرَ الْأَمْرَ الَّذِي كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا، فَصَاحَ صَيْحَةً وَخَرَجَتْ رُوحُهُ!

وَبَقِيَتِ المَرْأَةُ حَزِينَةً، وَقَالَتْ: إِنِّي خَرَجْتُ لِأَجْلِهِ وَقَدْ مَاتَ، فَهَلْ مِنْ أَقْرِبَائِهِ أَحَدٌ يَحْتَاجُ إِلَى امْرَأَةٍ؟

فَقَالُوا: إِنَّ لَهُ أَخًا صَالِحًا لَيْسَ لَهُ مَالٌ.

فَقَالَتْ لَا بَأْسَ، وَإِنَّ لِي مِنَ المَالِ مَا فِيهِ غُنْيَةٌ.

فَجَاءَ أَخُوه فَتَزَوَّجَ بِهَا . والله أعلم بحقيقة الحال.

قصة صاحب الرغيف

عَنْ أَبِي بُرْدَةَ قَالَ: لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا مُوسَى - الْوَفَاةُ قَالَ: يَا بَنِيَّ اذْكُرُوا صَاحِبَ الرَّغِيفِ [فإنه] كَانَ رَجُلٌ يَتَعَبَّدُ فِي صَوْمَعَةٍ أُرَاهُ سَبْعِينَ سَنَةً لا يَنْزِلُ إلا فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ.

قَالَ: فَشَبَّهَ أَوْ شَبَّ الشَّيْطَانُ فِي عَيْنِهِ امْرَأَةً فَكَانَ مَعَهَا سَبْعَةَ أَيَّامٍ أَوْ سَبْعَ لَيَالٍ ثُمَّ كُشِفَ عَنِ الرَّجُلِ غِطَاؤُهُ فَخَرَجَ تَائِبًا.

وَكَانَ كُلَّمَا خَطَا خُطْوَةً صَلَّى وَسَجَدَ فَآوَاهُ اللَّيْلُ إِلَى دُكَّانٍ عَلَيْهِ اثْنَا عَشَرَ مِسْكِينًا فَأَدْرَكَهُ الْعَيَاءُ فَرَمَى بِنَفْسِهِ بَيْنَ رَجُلَيْنِ مِنْهُمْ.

وكَانَ ثَمَّ رَاهِبٌ يَبْعَثُ إِلَيْهِمْ كُلَ لَيْلَةٍ أَرْغِفَةً فَيُعْطِي كُلَّ إِنْسَانٍ رغيفًا، فجاء صاحب الرغيف فَأَعْطَى كُلَّ إِنْسَانٍ رَغِيفًا، وَمَرَّ عَلَى ذَلِكَ الرَّجُلِ الَّذِي خَرَجَ تَائِبًا فَظَنَّ أَنَّهُ مِسْكِينٌ، فَأَعْطَاهُ رَغِيفًا فَقَالَ لَهُ: الْمَتْرُوكُ: مَا لَكَ لَمْ تُعْطِنِي رَغِيفِي؟

فَقَالَ: تَرَانِي أَمْسَكْتُ عَنْكَ؟ سَلْ هَلْ أَعْطَيْتُ أَحَدًا مِنْكُمْ رَغِيفَيْنِ؟

قَالُوا: لا.

فَقَالَ: وَاللهِ لا أُعْطِيكَ اللَّيْلَةَ شَيْئًا!

فَعَمَدَ التَّائِبُ إِلَى الرَّغِيفِ الَّذِي دَفَعَهُ إِلَيْهِ فَدَفَعَهُ إِلَى الرَّجُلِ الَّذِي تَرَكَ فَأَصْبَحَ التَّائِبُ مَيِّتًا.

قَالَ: فَوُزِنَتِ السَّبْعُونَ بِالسَّبْعِ لَيَالٍ فَرَجَحَتِ اللَّيَالِي، فَوُزِنَ الرَّغِيفُ بِالسَّبْعِ لَيَالٍ فَرَجَحَ الرَّغِيفُ»[1].

---

(1) انظر: «التوابين» لموفق الدين ابن قدامة [ص/ 52 - 53].

قصة الرجل الذي فقأ عينه
من أجل ذنب واحد!

عن كعب قال: «قَحَطتْ بنو إسرائيل على عهد موسى - عليه السلام - فسألوه أن يستَسْقِي لهم فقال: اخرجوا معي إلى الجبل.

فخرجوا فلما صعد الجبل قال موسى: لا يتبعني رجل أصاب ذنبا!

فانصرف أكثر من نصفهم!

ثم قال الثانية: لا يتبعني من أصاب ذنبا.

فانصرفوا جميعا إلا رجلا واحدا أعور يقال له: بَرْخ العابد.

فقال له موسى: ألم تسمع ما قلت؟

قال: بلى.

قال: فلم تُصب ذنبًا؟

قال: ما أعلمه إلا شيئا أذكره، فإنْ كان ذنبًا رجعت.

قال: ما هو؟

قال: مررت في طريق فإذا باب حجرة مفتوح فلمحت بعيني هذه الذاهبة شخصًا لا أعلم ما هو، فقلت لعيني: أنت مِن بين بدني سارعتِ إلى الخطيئة، لا تصحبيني بعدها! فأدخلتُ أصبعي فقلعْتُها! فإن كان هذا ذنبًا رجعتُ.

فقال موسى: ليس هذا ذنبًا.

قال له: استسق يا برْخ.

فقال: قدوس قدوس ما عندك لا ينفد، وخزائنك لا تَفْنَى، وأنت بالبُخْل لا

تُرْمَى، فما هذا الذي لا تُعْرَف به؟

اسْقِنا الغيث الساعة.

قال: فانصرفا يخوضان الوَحَل»[1].

■ ■ ■

(1) انظر: «التوابين» لموفق الدين ابن قدامة [ص/ 54 - 55].

يا موسى إني أبغض النمَّامين
أفأكون نمَّامًا؟!

رُوِيَ أنه لحق بني إسرائيل قحْطٌ على عهد موسى - عليه السلام - فاجتمع الناس إليه فقالوا: يا كليم الله! ادع لنا ربك أن يسقِيَنا الغيث.

فقام معهم وخرجوا إلى الصحراء وهم سبعون ألفا أو يزيدون. فقال موسى عليه السلام إلهي اسقنا غيثك، وانشر علينا رحمتك، وارحمنا بالأطفال الرُّضَّع، والبهائم الرُّتَّع والمشايخ الرُّكَّع، فما زادت السماء إلا تقشُّعًا، والشمس إلا حرارة!

فأوحى الله إليه أن فيكم عبدًا يبارزني منذ أربعين سنة بالمعاصي! فنادِ في الناس حتى يخرج من بين أظهركم، فبِه منعتُكم.

فقال: موسى: إلهي وسيدي أنا عبد ضعيف وصوتي ضعيف، فأين يبلغ وهُم سبعون ألفا أو يزيدون؟

فأوحى الله إليه: منك النداء ومني البلاغ.

فقام مناديًا وقال: يا أيها العبد العاصي الذي يبارز الله منذ أربعين سنة! أُخْرج من بين أظهرنا فبِك منعنا المطر.

فقام العبد العاصي فنظر ذات اليمين وذات الشمال فلم ير أحدًا خرج فعلم أنه المطلوب، فقال في نفسه: إنْ أنا خرجت من بين هذا الخلْق افتضحتُ على رؤوس بني إسرائيل، وإنْ قعدت معهم منعوا لأجلي.

فأدخل رأسه في ثيابه نادما على فعاله وقال: إلهي وسيدي! عصيتُك أربعين سنة وأمهلتني، وقد أتيتك طائعًا فاقبلني.

فلم يستتم الكلام حتى ارتفعت سحابة بيضاء فأمطرت كأفواه القِرَب.

فقال موسى: إلهي وسيدي! بماذا سقيتنا وما خرج من بين أظهرنا أحد؟

فقال: يا موسى! سقيتكم بالذي به منعتُكم!

فقال موسى: إلهي أرني هذا العبد الطائع.

فقال: يا موسى إني لم أفضحه وهو يعصيني، أأفضحه وهو يطيعني؟! يا موسى إني أبغض النَّمامين أفأكون نَمّامًا؟!»[1].

■ ■ ■

(1) انظر: «التوابين» لموفق الدين ابن قدامة [ص/ 55 - 56].

قصة الملك الذي صار لَبِنَة من تراب!

رُوِيَ أَنَّهُ «مَاتَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ رَجُلٌ وَخَلَّفَ ابْنَيْنِ، وَقَصْرًا فَتَخَاصَمَا فِي قِسْمَتِهِ، فَتَكَلَّمَتْ لَبِنَةٌ مِنَ الْقَصْرِ بِأَنْ لَا تَخَاصَمُوا لِأَجْلِي، فَلَقَدْ كُنْت مَلِكًا عَمَّرْت ثَلَاثَمِائَةٍ وَسَبْعِينَ سَنَةً، ثُمَّ مِتُّ، فَبَقِيتُ فِي الْقَبْرِ مِائَةً وَثَلَاثِينَ سَنَةً.

ثُمَّ رُفِعَ تُرَابِي وَجُعِلَ مِنِّي آنِيَةٌ فَبَقِيتُ أَرْبَعِينَ سَنَةً، ثُمَّ انْكَسَرْتُ وَرُمِيتُ فِي الطَّرِيقِ مِائَةً وَثَلَاثِينَ سَنَةً، ثُمَّ ضُرِبْتُ لَبِنَةً وَوُضِعْتُ فِي هَذَا الْقَصْرِ مُنْذُ ثَلَاثِمِائَةٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً! أَفَتُخَاصِمُونَ وَسَتَصِيرُونَ مِثْلِي، فَاعْتَبِرُوا بِي»[1].

من فوائد القصة:

قال القرطبي (عقب هذه القصة): «والحكايات في هذا المعنى [يعني: كثيرة] والوجود شاهد بتجديد ما دَثَر، وتغيير ما غُيِّر، وعن ذلك يكون الحفْر والإخراج، واتخاذ الأواني وبناء الأبراج.

ولقد كنت في زمن الشباب أنا وغيري ننقل التراب على الدواب، من مقبرة عندنا تسمَّى بمقبرة اليهود خارج قرطبة، وقد اختلط بعظام من هناك وعظمهم ولحومهم وشعورهم وأبشارهم إلى الذين يصنعون القرمد[2] للسقف».

■ ■ ■

(1) انظر: «التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة» للقرطبي [1/ 39 - 40]، و«مفيد العلوم ومبيد الهموم» ينسب لأبي بكر الخوارزمي [ص/ 260].

(2) هو حجارة مصنوعة تنضج بالنار ويبنى بها أو يغطى بها وجه البناء. انظر: «المعجم الوسيط» مادة: «قرمد».

قصة سَوْسَن العَابِـدَة

عَنْ أَبِي إِدْرِيسَ الأَوْدِيِّ قَالَ: «كَانَ رَجُلانِ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ عَابِدَانِ وَكَانَتْ جَارِيَـةٌ يُقَالُ لَهَا سَوْسَنُ عَابِدَةٌ وَكَانُوا يَأْتُونَ بُسْتَانًا فَيَتَقَرَّبُونَ فِيهِ بِقُرْبَانٍ لَهُمْ.

فَهَوِيَ الْعَابِدَانِ سَوْسَنَ، فَكَتَمَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ وَاخْتَبَأَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا خَلْفَ شَجْرَةٍ يَنْظُرَانِ إِلَيْهَا، فَبَصُرَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِصَاحِبِهِ، فَقَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا لِصَاحِبِهِ: مَا يقيمك هَا هُنَا فَأَفْشَى كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِلَى صَاحِبِهِ حُبَّ سَوْسَنَ.

فَاتَّفَقَا عَلَى أَنْ يُرَاوِدَاهَا، فَلَمَّا جَاءَتْ لِتُقَرِّبَ قَالا لَهَا: قَدْ عَرَفْتِ طَوَاعِيَةَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَنَا وَإِنْ لَمْ تُوَاتِينَا قُلْنَا إِذَا أَصْبَحْنَا إِنَّا أَصَبْنَا مَعَكِ رَجُلا وَإِنَّ الرَّجُلَ أَفْلَتَنَا وَإِنَّا أَخَذْنَاكِ.

فَقَالَتْ لَهُمَا: مَا كُنْتُ لأُطِيعَكُمَا فَأَخَذَاهَا فَأَخْرَجَاهَا وَقَالا أَخَذْنَا سَوْسَنَ مَعَ رَجُلٍ وَإِنَّ الرَّجُلَ سَبَقَنَا وَذَهَبَ [يعني: نقول أنكِ وقعتِ في الحرام].

فَأَقَامُوا سَوْسَنَ عَلَى الْمَصْطَبَةِ، وَكَانُوا يُقِيمُونَ الْمُذْنِبَ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ فَتَنْزِلُ عُقُوبَةٌ مِنَ السَّمَاءِ فَتَأْخُذُهُ، فَأَقَامُوا سَوْسَنَ.

فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الثَّالِثُ جَاءَ نبي الله دَانِيَالُ وَهُوَ ابْنُ ثَلاثَ عَشْرَةَ سَنَةً فَوَضَعُوا لَهُ كُرْسِيًّا فَجَلَسَ عَلَيْهِ وَقَالَ قدِّموها إِلَيَّ.

فجاءا كالمستهزئين فَقَالَ لأَحَدِهِمَا: خَلْفَ أَيِّ شَجَرَةٍ رَأَيْتَهَا؟

فَقَالَ وَرَاءَ تُفَّاحَةٍ.

وَقَالَ لِلآخَرِ: خَلْفَ أَيِّ شَجَرَةٍ رَأَيْتَهَا؟

فَاخْتَلَفَا فَنَزَلَتْ نَارٌ مِنَ السَّمَاءِ فَأَحْرَقَتْهُمَا فَأَفْلَتَتْ سَوْسَنُ»[1].

---

(1) انظر: «ذم الهوى» لابن الجوزي [ص/ 270 - 271]، و«مصارع العشاق» للسراج القارئ [ص/ 22].

مَاتَ يَبْكِي عَلَى تِلْكَ النَّظْرَةِ

عن وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ قال: «كَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ رَجُلٌ مِنَ الْعُبَّادِ شَدِيدُ الاجْتِهَادِ، فَرَأَى يَوْمًا امْرَأَةً فَوَقَعَتْ فِي نَفْسِهِ بِأَوَّلِ نَظْرَةٍ، فَقَامَ مُسْرِعًا حَتَّى لَحِقَهَا فَقَالَ لها: رُوَيْدَكِ - يعني: تمهَّلي - يَا هَذِهِ.

فَوَقَفَتْ وَعَرَفَتْهُ، فَقَالَتْ: مَا حَاجَتُكَ؟

قَالَ: أَذَاتُ زَوْجٍ أَنْتِ؟

قَالَتْ: نَعَمْ فَمَا تُرِيدُ؟

قَالَ: لَوْ كَانَ غَيْرَ هَذَا كَانَ لَنَا نَظَرٌ فِي ذَلِكَ!

قَالَتْ: وَمَا نَظَرُكَ؟

قَالَ: عَرَضَ بِقَلْبِي مِنْ نَظَرِكِ عَارِضٌ! [يعني: تعلَّق قلبي بك].

قَالَتْ: وَمَا يَمْنَعُكَ مِنْ إِنْفَاذِهِ؟

قَالَ: وَتُتَابِعِينِي عَلَى ذَلِكَ؟

قَالَتْ: نَعَمْ.

فَخَلَتْ بِهِ فِي مَوْضِعٍ فَلَمَّا أَنْ رَأَتْهُ مُجِدًّا فِي الَّذِي يَنَالُ قَالَتْ: رُوَيْدَكَ يَا مِسْكِينُ لَا تُسْقِطْ جَاهَكَ عِنْدَ الله!

فَانْتَبَهَ لَهَا وَسَكَنَ عَنْ قَلْبِهِ مَا كَانَ يجد من فتنتها.

فَقَالَ لها: لَا حَرَمَكِ اللهُ ثَوَابَ فِعْلِكِ، ثُمَّ تَنَحَّى نَاحِيَةً فَقَالَ لِنَفْسِهِ: اخْتَارِي إِمَّا عَمَى الْعَيْنَيْنِ، وَإِمَّا قَطْعَ الإِحْلِيلِ، وَإِمَّا السِّيَاحَةَ فِي مَسَالِكِ الْوُحُوشِ وَالسِّبَاعِ؟ فَاخْتَارَتِ السِّيَاحَةَ.

فَلَبِسَ أَثْوَابَ السِّيَاحَةِ وَخَرَجَ سَائِحًا فِي الْبَرَارِي وَالْقِفَارِ حَتَّى مَاتَ يَبْكِي عَلَى تِلْكَ النَّظْرَةِ»[1].

من فوائد القصة:

قلت: كان في شريعة بني إسرائيل من أتى ذنبًا وجب عليه معاقبة نفسه بالإيذاء البدنيِّ! وكلما كانت المعاقبة شديدة، كلما كان ذلك أدْعَى أن يتقبل الله التوبة من صاحبها! فكان هناك من يفقأ عينه، ومن يقطع أذنه، ومن يَخْصي نفسه!

وذلك جزاء من جنس أعمالهم، حيث شدَّدوا على أنفسهم فشدد الله عليهم.

■ ■ ■

(1) انظر: «ذم الهوى» لابن الجوزي [ص/ 271].

وَاللهِ لاَ يَغْفِرُ اللهُ لَكَ!

عن أَبِي هُرَيْرَة – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – قال سَمِعْتُ النَّبِيَّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يَقُولُ: «كَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ رَجُلاَنِ كَانَ أَحَدُهُمَا مُجْتَهِدًا فِي الْعِبَادَةِ وَكَانَ الآخَرُ مُسْرِفًا عَلَى نَفْسِهِ فَكَانَا مُتَآخِيَيْنِ.

فَكَانَ الْمُجْتَهِدُ لاَ يَزَالُ يَرَى الآخَرَ عَلَى ذَنْبٍ فَيَقُولُ: يَا هَذَا أَقْصِرْ، فَيَقُولُ خَلِّنِي وَرَبِّي أَبُعِثْتَ عَلَيَّ رَقِيبًا.

قَالَ: إِلَى أَنْ رَآهُ يَوْمًا عَلَى ذَنْبٍ اسْتَعْظَمَهُ، فَقَالَ لَهُ: وَيْحَكَ أَقْصِرْ!

قَالَ: خَلِّنِي وَرَبِّي أَبُعِثْتَ عَلَيَّ رَقِيبًا؟

قَالَ: فَقَالَ وَاللهِ لاَ يَغْفِرُ اللهُ لَكَ، أَوْ لاَ يُدْخِلُكَ اللهُ الْجَنَّةَ أَبَدًا!

قال: فَبَعَثَ اللهُ إِلَيْهِمَا مَلَكًا فَقَبَضَ أَرْوَاحَهُمَا وَاجْتَمَعَا عِنْدَهُ.

فَقَالَ لِلْمُذْنِبِ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي.

وَقَالَ لِلآخَرِ: أَكُنْتَ بِي عَالِمًا؟ أَكُنْتَ عَلَى مَا فِي يَدَيَّ قَادِرًا؟ اذْهَبُوا بِهِ إِلَى النَّارِ.

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَالَّذِي نَفْسُ أَبِي الْقَاسِمِ بِيَدِهِ لَتَكَلَّمَ بِالْكَلِمَةِ أَوْبَقَتْ دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ»[1].

الدروس المستفادة

صدق رسول الله، ولا ينبغي لأحد أن يحكم على مسلم عاصٍ بجنة ولا نار، بل لا يملك أن يحكم على كافر بذلك إلا إذا مات على كفره، لأن الخواتيم بيد الله، ولا يدري أحد بماذا يختم الله له في حياته.

فانظر: إلى ذلك الأخ العابد الذي أحبط الله عمله وأدخله النار لكونه تألَّى على الله وحلف عليه أنه لن يغفر لأخيه العاصي!

---

(1) أخرجه: أحمد [2/ 323]، وأبو داود [رقم/ 4901]، وابن حبان [رقم/ 5712]، وغيرهم من حديث: أَبِي هُرَيْرَة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. وقد حسَّنه الإمام الألباني في «صحيح الجامع» [3/ 124].

لئنْ تأوَّهتَ ثانية
لأهدِمنَّ السموات عليهم!

رُوِيَ عن ابن عباس أنه قال: «كان في بني إسرائيل راهب متفرِّد في صومعته دهرًا طويلًا، وكان مَلَكٌ يأتيه كل يوم غدوًّا وعشيًّا ويقول له: ألك حاجة؟

وأنبت الله له في الحَجَر فوق صومعته عنبًا يحمل له في كل يوم قِطْفًا من العنب، وكان إذا عطش مدَّ يده، فيسكب فيها الماء من الهواء.

فبينما هو كذلك إذا هو بامرأة ذات حسن وجمال مع العشاء، فنادتْه: يا راهب أسألك بحقّ المعبود إلا ما بَيَّتَّني عندك الليلة، فإن مكاني بعيد.

فقال: اصعدي، فلما صارت عنده رمَتْ ثوبها، وقامت عريانة تجلو نفسها! فغطَّى وجهه، ثم قال لها: ويَلَكِ اسْتَتِري.

فقالت: والله لا بُدَّ لي منك أن تتمتع الليلة بي!

فقال لنفسه: ما تقولين؟

فقالت: اتقّ الله!! [يعني: لا بد أن تفعل]

فقال لها: ويحك تريدين أن تذهبي بعبادتي وتذيقيني سرابيل القطران ومفظعات النيران، وأخاف عليكِ من نار لا تُطْفأ وعذاب لا يَفْنَى، وأخاف أن يغضب ربنا فلا يرضى.

فراودتْه نفْسُه فقال لها: أعْرِض عليكِ نارًا صغيرة، فإذا صبرتِ عليها متَّعتُكِ الليلة! فقام وملأ السراج زيتًا وغلَّظ فتيلته والمرأة تسمع وتبصر، ثم أخذ أصبعيه فأدخلها في السراج! فأكلت [النار] إبهامه، ثم رجعت إلى السبابة فأكلتها، ثم كذلك حتى أكلت يده!

فصاحت المرأة صيحة فماتت، فسترها بثوبها وقام إلى الصلاة، فلما أصبح وقف إبليس عند صومعته وصرخ به في المدينة: إن الراهب قد زنى بفلانة، وقتلها!

فركب ملك المدينة في مملكته وصاح به، فأجابه فقال: أين فلانة؟

فقال: عندي.

فقال: قل لها هل تنزل؟

قال: إنها ماتت.

قال: فما رضيتَ بالزِّنا حتى قتلتَها؟!

فخرَّبُوا الدِّير وهدموا الصومعة، وجعلوا في رقبته حبلًا، وحُمِلَتِ المرأة، وجِيء بالرجل موقف العذاب، وكان القوم ينْشرون الزاني والزانية بالمناشير، ويده ملفوفة في كُمِّه لا يُعْلِمُهم ولا يحدِّثهم بقصته.

فوضَعَ المنشار على رأسه، وقال لأصحاب العذاب جُرُّوا فجروا، وبلغ إلى عنقه فتأوَّه [أي قال: آه من شدة الألم] فأوحى الله إلى جبريل: أنْ قُلْ له: لا تنطق بها أنا أنظر إليك، وعزَّتي وجلالي لئن تأوَّهتَ ثانية لأهدمنَّ السموات [عليهم] ولأخسفنَّ بمن في الأرض.

قال ابن عباس: فردَّ الروح في المرأة، فقامت وقالت: والله هو مظلوم، وما زنى بي وما قتلني، ثم قصَّتْ عليهم القصة.

فأخرجوا يده فإذا هي مُحْرَقة فقالوا: لو علمنا ما نشرناك، وخرَّ ميتًا، وخرَّتِ المرأة ميتة، فحفروا لهما قبرًا فوجدوا فيه مِسْكًا وكافورًا، ثم غسلوهما وكفنوهما وصلوا عليهما ودفنوهما.

فنادى منادٍ من السماء: إن الله تعالى قد نصب الميزان تحت العرش وأشهد ملائكته أني زوَّجْته خمسين ألف عروس من الفردوس، وهكذا أفعل بأهل المراقبة»[1].

(1) انظر: «إرشاد العباد إلى سبيل الرشاد» لزين الدين المليباري [ص/ 340 - 341]، و«الزهر الفائح في ذِكْر من تنزَّه عن الذنوب والقبائح» لابن الجزري [ص/ 110].

كمْ بَقِيَ من عمري؟

«كان في بني إسرائيل رجلٌ عَبَدَ اللهَ مائتي عام ويريد أن يرى إبليس، فلما كان ذات يوم وإذا بإبليس لعنه الله قد تصوَّر بين يديه.

فقال له: ماذا تريد مني؟

فقال له: أريد منك أن تُعْلِمَني كم بقي من عمري؟

فقال: بقي من عمرك مائتا سنة[1]. (ولا يعلم الأعمار إلا الذي خلقها).

فقال العابد في نفسه: أشتغل باللهو والفسق مائة وخمسين سنة وأتوب في الخمسين الباقية.

فخرج العابد تلك الليلة على نية المعصية، فأدركه الموت فمات، وكان يُقدِّم المعصية على التوبة»![2]

الدروس المستفادة

قلت: كم رجلًا أزمع في قلبه المعصية حتى حين، فجاءه ملك الموت فقطع عليه حياته، وحزَّ أُمنيَّاته، وحال بينه وبين ما كان يشتهيه من ذلك المتاع الزائف!

والعاقل: هو من يبادر بالتوبة قبل أن يُحال بينه وبينها، ويسارع بالاستغفار قبل أن لا يستطيعه! ولا يغترُّ بأماني النفس والشيطان والهوى له، فإن تلك الثلاثة: (النفس والشيطان والهوى) هم ألَدُّ أعداء الإنسان على الحقيقة.

■ ■ ■

(1) لا يعلم الغيب إلا الله.

(2) انظر: «الزهر الفائح في ذكر من تنزه عن الذنوب والقبائح» ابن الجزري [ص/ 89].

نَعمْ يا ربِّ، هَذا الَّذِي كُنْتُ آكُلُ مِنْ مَزْبَلَتِه

كَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مَلِكٌ، وَكَانَ مُسْرِفًا عَلَى نَفْسِهِ، وَكَانَ مُسْلِمًا، وَكَانَ إِذَا أَكَلَ طَرَحَ فُضَالَةَ الطَّعَامِ عَلَى مَزْبَلَةٍ، فَكَانَ عَابِدٌ يَأْوِي إِلَى مَزْبَلَتِهِ، فَإِنْ وَجَدَ كِسْرَةً أَكَلَهَا، وَإِنْ وَجَدَ بَقْلَةً أَكَلَهَا، وَإِنْ وَجَدَ عَرْقًا تَعَرَّقَهُ

فَمَاتَ ذَلِكَ المَلِكُ، فَأَدْخَلَهُ اللهُ النَّارَ بِذُنُوبِهِ، وَخَرَجَ الْعَابِدُ إِلَى الصَّحْرَاءِ، فَأَكَلَ مِنْ بَقْلِهَا، وَشَرِبَ مِنْ مَائِهَا، فَقَبَضَهُ الله تَعَالَى، فَقَالَ لَهُ: مَا عِنْدَكَ لِأَحَدٍ مَعْرُوفٌ، فَأُكَافِئَهُ عَلَيْهِ؟

قَالَ: يَا رَبِّ، لَا.

قَالَ: فَمِنْ أَيْنَ كَانَ مَعَاشُكَ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِ؟

قَالَ: كُنْتُ آوِي إِلَى مَزْبَلَةِ مَلِكٍ، فَإِنْ وَجَدْتُ كِسْرَةً أَكَلْتُهَا، وَإِنْ وَجَدْتُ بَقْلَةً أَكَلْتُهَا، وَإِنْ وَجَدْتُ عَرْقًا تَعَرَّقْتُهُ، فَقَبَضْتَهُ، فَخَرَجْتُ إِلَى الصَّحْرَاءِ مُقْتَصِرًا عَلَى مَائِهَا وَنَبَاتِهَا .

فَقَالَ لَهُ: هَلْ تَعرِفُهُ، فَأَمَرَ بِهِ، فَأُخْرِجَ مِنَ النَّارِ جَمْرَةً تَنْتَفِضُ، فَأُعِيدَ

فَقَالَ: نَعَمْ يَا رَبِّ، هَذَا الَّذِي كُنْتُ آكُلُ مِنْ مَزْبَلَتِهِ

قَالَ: فيقول لَهُ: خُذْ بِيَدِهِ، فَأَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ لِمَعْرُوفٍ كَانَ مِنْهُ إِلَيْكَ لَمْ يَعْرِفْهُ، أَمَا لَوْ عَرِفَهُ مَا عَذَّبْتُهُ[1].

■ ■ ■

(1) انظر: «البر والصلة» لابن الجوزي [ص/ 263].

لَا أَتُوبُ عَلَيْكَ

عَنْ خَالِدِ بْنِ ثَابِتٍ الرَّبَعِيِّ، أَنَّهُ قَالَ: «بَلَغَنِي أَنَّهُ كَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ رَجُلٌ شَابٌّ قَدْ قَرَأَ الْكِتَابَ وَعَلِمَهُ عِلْمًا، وَكَانَ مَغْمُوزًا فِيهِمْ، وَأَنَّهُ طَلَبَ بِعِلْمِهِ وَقِرَاءَتِهِ الشَّرَفَ وَالْمَالَ، وَأَنَّهُ ابْتَدَعَ بِدَعًا أَدْرَكَ الشَّرَفَ وَالْمَالَ فِي الدُّنْيَا

وَلَبِثَ كَذَلِكَ حَتَّى بَلَغَ سِنًّا، وَأَنَّهُ بَيْنَمَا هُوَ نَائِمٌ لَيْلَةً عَلَى فِرَاشِهِ، إِذْ تَفَكَّرَ فِي نَفْسِهِ، فَقَالَ: هَبْ هَؤُلَاءِ النَّاسَ لَا يَعْلَمُونَ مَا ابْتَدَعْتُ، أَلَيْسَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ عَلِمَ مَا ابْتَدَعْتُ؟ وَقَدِ اقْتَرَبَ الْأَجَلُ، فَلَوْ أَنِّي تُبْتُ؟

قَالَ: فَبَلَغَ فِي اجْتِهَادِهِ فِي التَّوْبَةِ أَنْ عَمَدَ فَخَرَقَ تَرْقُوَتَهُ[1] وَجَعَلَ فِيهَا سِلْسِلَةً، ثُمَّ أَوْثَقَهَا إِلَى آسِيَةٍ [يعني: سارية] مِنْ أَوَاسِي الْمَسْجِدِ، وَقَالَ: لَا أَبْرَحُ مَكَانِي هَذَا حَتَّى يُنْزِلَ اللهُ فِيَّ تَوْبَةً، أَوْ أَمُوتَ مَوْتَ الدُّنْيَا - وَكَانَ لَا يُسْتَنْكَرُ الْوَحْيُ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ - فَأَوْحَى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي شَأْنِهِ إِلَى نَبِيٍّ مِنْ أَنْبِيَائِهِمْ: إِنَّكَ لَوْ كُنْتَ أَصَبْتَ ذَنْبًا بَيْنِي وَبَيْنَكَ لَتُبْتُ عَلَيْكَ، بَالِغًا مَا بَلَغَ، وَلَكِنْ كَيْفَ مَنْ أَضْلَلْتَ مِنْ عِبَادِي فَمَاتُوا فَأَدْخَلْتَهُمْ جَهَنَّمَ؟ فَلَا أَتُوبُ عَلَيْكَ»[2].

الدروس المستفادة

لا شك أن البدعة أشد خطرًا، وأعظم أمرًا من مجرد المعصية، لأن صاحب المعصية تموت آثار معصيته بتوبته الصادقة، أما صاحب البدعة فإنه لو تاب ما ماتت آثار بدعته، لأنها تنتشر بين الناس انتشار النار في الهشيم!

■ ■ ■

(1) عظمة مشرفة بين ثغرة النحر. والعاتق وهما ترقوتان. انظر: «المعجم الوسيط» [1/ 176].
(2) أخرجه: أحمد في «الزهد» [ص/ 82].

والله لا يغرُّنِي قارئ بعدك أبدًا

عَن أَبِي عبيدة قَالَ: تكلم عصفور في بني إسرائيل مع فَخ!

فقالَ العصفور: انْحِناؤك لماذا؟

قَالَ: من العبادة.

قَالَ: دفْنُك في التراب لماذا؟

قَالَ من التواضع.

قَالَ: فما هذا الشعْر؟

قَالَ: هذا لباسي.

قَالَ مَا هذا الطعام:

قَالَ: هذا أعددتُه لعابر السبيل.

قال: فتأذَنُ لي فيه؟

قَالَ: نعم.

قَالَ: فنقر العصفور نقرة فأخذ بعنقه!

فجعل العصفور يقول شغ شغ شغ! وقال والله لا يغرني قارئ بعدك أبدا»[1].

وفي رواية: «نصب رجل من بني إِسْرَائِيل فخًا من نَاحيَة الطَّرِيق فجَاء عُصْفُور فَسقط ثمَّ انْطلق إِلَى الفخ.

فَقَالَ للفخ: مَالِي أَرَاك متباعدًا عَن الطَّرِيق؟

(1) أخرجه: ابن حبان في «روضة العقلاء ونزهة الفضلاء» [ص/ 110].

قَالَ: أعتزل شرور النَّاس.

قَالَ: فَمَالِي أَرَاكَ ناحل الْجِسْم؟

قَالَ: أنحلتني الْعِبَادَة.

قَالَ: فَمَا هَذَا الْحَبل على عِطْفَيْك؟

قَالَ: الْمسوح وَالشعْر لبْس الرهبان والزهاد.

قَالَ: فَمَا هَذِه الْعَصَا فِي يدك؟

قَالَ: أتوكأ عَلَيْهَا.

قَالَ: فَمَا هَذِه الْحَبَّة فِي فِيك؟

قَالَ: رصدتُّها لِابْنِ السَّبِيل أَو مُحْتَاج.

قَالَ: فَأَنا ابْن سَبِيل ومحتاج.

قَالَ: فدونك، فَوضع العصفور رَأسه فِي الفخ، فَأخذ بعنقه، فَقَالَ العصفور: سيق سيق، ثمَّ قَالَ لَا غرَّني بعْدك قَارِئ مُرائي مرّة أُخْرَى»[1].

■ ■ ■

(1) انظر: «الأذكياء» لابن الجوزي [ص/ 242].

قصة صاحب السمكة

عن عمرو بن دينار، قال: كان في بني إسرائيل رجل قائم على ساحل من سواحل البحر، فرأى رجلا وهو ينادي بأعلى صوته: ألا من رآني فلا يظلمن أحدًا.

قال: فدنوت منه، فقلت: يا عبد الله، ما الذي بك؟

قال: إذًا أُخْبِرك، كنت رجلًا شرطيًّا، فجئتُ هذا الساحل، فرأيت رجلا صيادًا قد صاد سمكة، فسألته أن يهبها إلي، فأبى، فسألته بثمنٍ فأَبَى، فضربتُ رأسه بسَوْطي، وأخذتُ منه السمكة، فعلقْتُها بيدي فبينا أنا ذاهب إلى منزلي، إذ قبضتِ السمكة على أبهامي فدفعتها إلى عيالي يعالجونها فوضعت بين يدي فضربت على إبهامي، قبل أن آكل منها شيئًا، وكان لي جار معالِج فأتيته فقلتُ: إبهامي!

فقال: هي آكلة [أي: مرض يأكل اليد] إنْ أنت رميتُ بها [يعني: قطعتَها] وإلا هلكتَ.

قال: فرميتُ بها. [يعني: قطعتها].

قال: فوقع في كفي [يعني: وقع الداء في كفي] فجئت إليه، فقال: إن أنت رميت بها وإلا هلكت.

قال: فرميت بها.

قال: فوقع في ذراعي [يعني: وقع الداء في ذراعي]

قال: فجئت إليه فقال: إن أنت رميت بها وإلا هلكت.

قال: فرميتها.

قال: فوقع في عضدي. [يعني: وقع الداء في ذراعي]

قال: فخرجت من منزلي هاربًا، فبينا أنا أسيح في البلاد، إذ رُفِعَتْ لي شجرة دوحاء فأويتُ إلى ظلها.

قال: فنعست، فأتاني آتٍ في منامي فقال لي: لِمَ تقطع أعضاءك فترمي بها؟ أُرْدُد الحق إلى أهله وانْجُ بنفسك.

قال: فانتبهت، فعلمت أن ذلك من قِبَل الله عز وجل، فأتيت الصياد فوجدته قد طرح شبكة، فانتظرته حتى أخرجها، فإذا فيها سمك كبير.

قال: فدنوت منهُ فقلت: يا عبد الله، إني مملوك لك فأعتقني.

قال: ما أعرفك.

قلت: بلى، أنا الشرطي الذي ضربتُ رأسك وأخذت السمكة منك.

فأريته يدي فلما رآها، قال: أنت في حِلٍّ.

قال: فتناثر الدود منها، فلما أردتُ أن أنصرف قال: كما أنت ما هذا عدْل، دعوت عليك في خطَر سمكة فاسْتُجِيب لي.

فأخذ بيدي فذهب بي إلى منزله فدعا ابنًا له فقال: احْفُر في هذه الزاوية.

فحفر فأخرج منها جَرَّة فيها ثلاثون ألف درهم فقال: أُعْدد منها عشرة آلاف.

فقال: خذها واستعن بها على زمانتك [يعني: مرضك].

ثم قال: أُعْدد منها عشرة آلاف أخرى.

فقال: فَعُدَّ منها عشرة آلاف فقال: اجعلها في فقراء جيرانك وقرابتك.

قال: فلما أردت أنْ أنصرف، قلت: أخبرني كيف دعوتَ عليَّ؟ .

قال: إذًا أُخْبرُك.

لَّما ضربتَ رأسي وأخذتَ السمكة، نظرتُ إلى السماء وبكيتُ فقلت: «ربي هذا عدل منك خلقْتَه وخلقتني، وجعلته قويًا وجعلتني ضعيفًا، ثم سلَّطتَه عليَّ، فلا أنت منعته من ظلمي، ولا أنت جعلتني قويًّا فأمتنع من ظلمه، فأسألك بالذي خلقته وخلقتني، وجعلته قويًّا وجعلتني ضعيفًا، أنْ تجعله عبرة لِخَلْقِك»[1].

---

(1) انظر: «المستغيثين بالله تعالى عند المهمّات والحاجات» لابن بشكوال [ص/ 113 - 115].

بارك الله لك في مالك

كَانَ رَجُلٌ عَابِدٌ من بنـي إسرائيـل يَعْمَـلُ فِي كُـلِّ يَـوْمٍ زَبِيلًا [1]، فَيَبِيعُـهُ بِـدِرْهَـمٍ، فَيَشْتَرِي بِأَرْبَعَةِ دَوَانِيقَ قُوتًا لِعِيَالِهِ، وَبِدَانِقَيْنِ خُوصًا فَيَعْمَلُ بِهِ زَبِيلًا آخَرَ.

فَبَاعَ الزَّبِيلَ يَوْمًا بِدِرْهَمٍ، وَأَقْبَلَ لِيَشْتَرِيَ طَعَامًا، فَمَرَّ بِسَائِلٍ، يَقُـولُ: مَـنْ يُقْـرِضُ الْمَلِيَّ الْوَفِيّ؟

فَأَعْطَاهُ الدِّرْهَمَ، ثُمَّ جَاءَ إِلَى أَهْلِهِ، فَقَالُوا: أَيْنَ قُوتُنَا؟

قَالَ: أَقْرَضْتُهُ مَلِيًّا وَفِيًّا، وَسَيَأْتِيكُمْ رِزْقُكُمْ.

وَجَمَعَ مَا عِنْدَهُ مِنَ الْخُوصِ، فَعَمِلَ مِنْـهُ زَبِـيلًا صَـغِيرًا فَبَاعَـهُ بِـدَانِقَيْنِ، وَقَـالَ: إِنِ اشْتَرَيْتُ خُبْزًا لَمْ يَكْفِ عِيَالِي، وَإِنِ اشْتَرَيْتُ خُوصًا بَقِيَ عِيَالِي بِلَا خُبْزٍ، فَمَرَّ بِهِ صَـيَّادٌ مَعَـهُ سَمَكَةٌ، فَاشْتَرَاهَا بِالدَّانِقَيْنِ، وَجَاءَ بِهَا، وَقَامَ يُصَلِّي، فَـشَقَّتْهَا امْرَأَتُـهُ، فَخَرَجَـتْ مِنْهَـا دُرَّةٌ كَالْبَيْضَةِ، فَأَضَاءَتِ الْبَيْتَ، فَقَالَتْ زَوْجَتُهُ: مَا أَسْرَعَ مَا رَدَّ عَلَيْكَ رَبُّكَ مَا أَقْرَضْتَهُ، فَأَقْبَـلَ بِهَا إِلَى الْمَلِكِ، فَدَعَى بِاللَّالِينَ [يعني: تُجَّار اللآلئ] فَقَوَّمُوهَا مِائَةَ أَلْـفِ دِرْهَـمٍ، فَاشْـتَرَاهَا الْمَلِكُ بِمِائَةِ أَلْفٍ.

فَقَالَ الْعَابِدُ لِامْرَأَتِهِ: شَأْنُكِ بِالْمَالِ وَاتْرُكِينِي أُصَلِّي، فَجَـاءَ سَـائِلٌ، فَقَـالَ: يَـا أَهْـلَ الدَّارِ، وَاسُونِي مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ، فَقَالَ لَهُ: ادْخُلْ خُذْ مِنْ هَذَا الْمَالِ بدْرة! [البدرة: كيس فيـه مقدار من المال].

---

(1) الزبيل: هو سلة من ورق النخيل. أو شيء من خوص يُجْعَل فيه التمر. جمْع: زبابيل. انظر: «المعجم الوسيط» [1/ 572]، و«معجم الرائد» [ص/ 712].

فَقَالَ السَّائِلُ: تَهْزَأُ بِي؟

قَالَ: لَا.

قَالَ السَّائِلُ: لَا أُطِيقُ حَمْلَهَا، قَالَ: أَنَا أَحْمِلُهَا مَعَكَ، فَحَمَلَهَا مَعَهُ.

فَلَمَّا خَرَجَ السَّائِلُ، قَالَ لَهُ: لَسْتُ بِسَائِلٍ، وَلَكِنِّي مَلَكٌ مِنْ مَلَائِكَةِ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، أَرْسَلَنِي اللهُ تَعَالَى إِلَيْكَ لِأَبْلُوَكَ فِيمَا آتَاكَ، فَوَجَدَكَ عَبْدًا شَكُورًا، وَاعْلَمْ أَنَّ اللهَ تَعَالَى قَدْ قَبِلَ مِنْكَ الدِّرْهَمَ الَّذِي أَقْرَضْتَهُ فَصَيَّرَهُ اثْنَى عَشَرَ جُزْءًا، أَعْطَاكَ مِائَةَ أَلْفٍ بِجُزْءٍ وَاحِدٍ، وَادَّخَرَ لَكَ أَحَدَ عَشَرَ جُزْءًا حَتَّى يُعْطِيَكَ فِي الْجَنَّةِ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، ارْجِعْ فَبَارَكَ اللهُ لَكَ فِي مَالِكَ [1]

■ ■ ■

(1) انظر: «البر والصلة» [ص/ 258]، لابن الجوزي.

المَلِك الذي ترك مُلْكَه وعاش فقيرًا

عن عون بن عبد الله بن عتبة قال: «حدَّثْتُ عمر بن عبد العزيز بحديث فكأن معناه وقع منه [يعني: أثَّر فيه وأفزعه وأخافه].

حدَّثْتُه أن ملِكًا ممن كان قبلنا ابتنى مدينة فتنوَّق [يعني: أحسن] في بنائها، ثم صنع طعاما ودعا الناس إليه وأقعد على أبوابها ناسًا يسألون كل من خرج منها: هل رأيتم فيها عيبًا؟

فيقولون: لا.

حَتَّى كَانَ آخِرُ مَنْ مَرَّ بِهِمْ شَبَابٌ، عَلَيْهِمْ أَكْسِيَةٌ، فسألوهم هل رأيتم فيها عيبًا؟

فقالوا: رَأَيْنَا عَيْبَيْنِ اثْنَيْنِ.

فحبسوهم ودخلوا على الملك فقالوا: قد دخل الناس فسألناهم، فذكروا أنهم لم يروا عيبًا حتى جاء قوم عليهم أكسية فسألناهم فقالوا: رأينا عيبيْن اثنين.

قال ما كنت أرضى بعيب واحد! فائتوني بهم.

فأدخلوهم عليه فقال: هل رأيتم عيبًا؟

فقالوا: عيبين اثنين.

فقال: وما هما؟

فقالوا: تخرب ويموت صاحبها!

قال وهل تعلمون دارًا لا تخرب ولا يموت صاحبها؟

قالوا: نعم.

قال: وما هي؟

قالوا: دار الآخرة.

فدعوه إلى صحبته فاستجاب لهم.

فقال لهم: إنْ جئتُ معكم علانية لم يدعْني أهل مملكتي، ولكن ميعادكم موضع كذا وكذا.

فكان معهم زمانًا ثم قال لهم ذات يوم: عليكم السلام. فقالوا: ما لك أرأيت منا شيئا تكرهه؟

فقال: لا.

فقالوا: فما حمَلك على مفارقتنا؟

قال: أنتم تعرفونني فأنتم تكرمونني لحالي التي كنت عليها. [وقد اخترتُ أن أعبد الله بعيدًا عمن يعرفني].

قال عون بن عبد الله بن عتبة فلما حكيت ذلك لعمر بن عبد العزيز فكأن معناه وقع من عمر موقعًا [يعني: تأثَّر عمر بالقصة تأثرًا شديدا، وهمَّ أن يخلع نفسه من خلافة المسلمين ويفعل كما فعل الملك في القصة] فذهبتُ إلى مسلمة بن عبد الملك[وكان ابنَ عمه عبد الملك بن مروان] فأخبرته بالخبر.

فدخل مسلمة على عمر وقد كان حدثه بهذا الحديث، فقال: ويحك يا مسلمة أرأيت رجلًا حُمِّل ما لا يطيق ففرَّ إلى ربه - عز وجل - فهل ترى عليه بذلك بأسًا؟

فقال له مسلمة: اتق الله يا أمير المؤمنين في أمة محمد - ﷺ - فوالله لئن فعلتَ ليقتتلن عنه بأسيافهم!

فقال له عمر: ويحك يا مسلمة لقد حُمِّلْتُ ما لا أطيق [يعني: أمور الخلافة] وجعل يرددها، وجعل مسلمة يناشده بالله حتى سكن عمر»[1].

---

(1) أخرجه محمد بن أحمد بن البراء في «كتاب الروضة» كما في «كتاب التوابين» [ص/ 28 - 29] لابن قدامة، والبيهقي في «الشعب» [13/ رقم/ 10268]. وقد نقلنا الخبر ببعض التصرف والإيضاح.

التعقيب على القصة

هكذا كان عمر بن عبد العزيز، سريع الدمعة، شديد الخشية، ثخين الدين، رقيق القلب، لا يحتمل موعظة إلا وينخلع لها قلبه. وكان لو قال له طفل: اتق الله يا عمر، لرأيته قعد أمام الطفل يبكي على نفسه!

لقد احترم عمر نفسه أمام الله والناس، فأبى الله إلا أن يُخَلِّد ذِكْره ومآثره بين الناس، لأنه من أولئك الذين صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا. نحسبه كذلك والله حسيبه.

رحم الله عمر. وأين مثل عمر؟

■ ■ ■

اللهمَّ كما أريْتَهُمْ ذُلَّ المعصية فأرِهِمْ عِزَّ الطاعة

يُحْكَى أنه كان في بني إسرائيل قاض من قضاتهم وكان له زوجة بديعة الجمال كثيرة الصون والصبر والاحتمال، فأراد ذلك القاضي النهوض إلى زيارة البيت المقدس فاستخلف أخاه على القضاء وأوصاه بزوجته.

وكان أخوه قد سمع بحسنها وجمالها فأحبها، فلما سار القاضي توجه إليها وراودها عن نفسها، فامتنعت واعتصمت بالورع، فأكثر الطلب عليها وهي تمتنع.

فلما يئس منها خاف أن تُخْبِر أخاه بصنيعه إذا رجع، فاستدعى بشهود زور يشهدون عليها بالزنا، ثم رفع مسألتها إلى مِلِك ذلك الزمان فأمر برجمها، فحفروا لها حفرة وأقعدوها فيها ورُجِمَتْ حتى غطَّتْها الحجارة، وقال: تكون الحفرة قبرها.

فلما جَنَّ الليل صارت تئِنُّ من شدة ما نالها، فمرَّ بها رجل يريد قرية، فلما سمع أنينها قصدها وأخرجها من الحفرة وحملها إلى زوجته وأمرها بمداواتها حتى شُفِيَتْ.

وكان للمرأة ولد فدفعتْه إليها فصارت تكفله وتبيت معها في بيت ثان، فرآها أحد الشُّطَّار [يعني: قُطَّاع الطرق] فطمع فيها وأرسل يراودها عن نفسها، فامتنعت فعزم على قتلها.

فجاءها الليل ودخل عليها البيت وهي نائمة ثم هوَى بالسكين إليها فوافق الصبيَّ فذبحه، فلما علم أنه ذبح الصبي أدركه الخوف، فخرج من البيت وعصمها الله منه، ولما أصبحت وجدت الصبي مذبوحًا وجاءت أمه وقالت: أنتِ التي ذبحتِيه! ثم ضربتها ضربًا موجِعًا، وأرادت ذبحها، فجاء زوجها وأنقذها منها وقال: والله لم تفعل ذلك.

فخرجت المرأة فارَّة بنفسها لا تدري أين تتوجه؟ وكان معها بعض دراهم فمرَّتْ بقرية والناس مجتمعون ورجل مصلوب على جذع شجرة إلا أنه في قيد الحياة، فقالت: يا

قوم ما له؟

قالوا لها: أصاب ذنبًا لا يُكفِّره إلا قتله أو صدقةُ كذا وكذا من الدراهم.

فقالت: خذوا الدراهم وأطلقوه فتاب على يديها ونذر على نفسه أنه يخدمها لله تعالى حتى يتوفاه الله، ثم بنَى لها صومعة أسكنها فيها وصار يحتطب ويأتيها بقوتها، واجتهدت المرأة في العبادة حتى كان لا يأتيها مريض أو مصاب فتدعو له إلا شُفِيَ من وقته.

ثم إن المرأة لما صارت مقصودة للناس وهي مقبلة على عبادتها في الصومعة كان من قضاء الله تعالى أنه نزل بأخي زوجها الذي رجمها عاهة في وجهه، وأصاب المرأة التي ضربتها بَرَص، وابتلى الشاطر [يعني: اللص] بوجع أقعده!

وقد جاء القاضي زوجها من حَجِّه وسأل أخاه عنها فأخبره أنها ماتت، فأسف عليها واحتسبها عند الله، ثم تسامعت الناس بالمرأة حتى كانوا يقصدون صومعتها من أطراف الأرض ذات الطول والعرض.

فقال القاضي لأخيه: يا أخي هل قصدت هذه المرأة الصالحة؟ لعل الله يجعل لك على يديها شفاء، قال: يا أخي احملني إليها.

وسمع بها زوج المرأة التي نزل بها البَرَص فسار بها إليها.

وسمع أهل الشاطر المُقْعَد بخبرها فساروا به إليها أيضًا واجتمع الجميع عند باب صومعتها، وكانت ترى جميع من يأتي صومعتها من حيث لا يراها أحد، فانتظروا خادمها حتى جاء ورغبوا إليه في أن يستأذن لهم في الدخول عليها ففعل، فتنَقَّبتْ واستترتْ ووقفتْ عند الباب تنظر زوجها وأخاه اللص والمرأة، فعرفتهم وهم لا يعرفونها.

فقالت لهم: يا هؤلاء إنكم ما تستريحون مما بكم حتى تعترفوا بذنوبكم، فإن العبد إذا اعترف بذنبه تاب الله عليه وأعطاه ما هو متوجه إليه. فقال القاضي لأخيه: يا أخي تُبْ إلى الله ولا تُصِرَّ على عصيانك فإنه أنفع لخلاصك، فعند ذلك قال أخ القاضي: الآن أقول الحق إني فعلت بزوجتك ما هو كذا وكذا وهذا ذنبي.

فقالت البرصاء: وأنا كانت عندي امرأة فنسبت إليها ما لم أعلمه وضربتها عمدًا وهذا ذنبي، فقال المقعد: وأنا دخلت على امرأة لأقتلها بعد مراودتها عن نفسها وامتناعها من الزنا فذبحتُ صبيّا كان بين يديها وهذا ذنبي.

فقالت المرأة: اللهم كما أريتهم ذُلَّ المعصية فأرِهمْ عِزَّ الطاعة، إنك على كل شيء قدير، فشفاهم الله - عز وجل - وجعل القاضي ينظر إليها ويتأملها فسألتْه عن سبب النظر فقال لها: كانت لي زوجة ولولا أنها ماتت لقلتُ أنها أنت.

فعرَّفتْه بنفسها، وجَعَلا يحمدان الله عز وجل على ما منَّ عليهما به من جَمْع شمْلهما، ثم طفق كل من أخ القاضي واللص والمرأة يسألونها المسامحة.

فسامحت الجميع وعبدوا الله تعالى في ذلك المكان مع لزوم خدمتها إلى أنْ فرَّق الموت بينهم[1].

■ ■ ■

(1) انظر: «ألف ليلة وليلة».

لَمْ يَكْذِبْ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام إلاَّ ثَلاثَ كَذَبَاتٍ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – رضي الله عنه – قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله – صلى الله عليه وسلم – «لَمْ يَكْذِبْ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام إِلَّا ثَلاَثَ كَذَبَاتٍ، ثِنْتَيْنِ مِنْهُنَّ فِي ذَاتِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَوْلُـهُ: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الـصافات: 89]. وَقَوْلُهُ: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ [الأنبياء: 63].

وَقَالَ: بَيْنَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ وَسَارَةُ، إِذْ أَتَى عَلَى جَبَّارٍ مِنَ الجَبَابِرَةِ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّ هَـا هُنَـا رَجُلًا مَعَهُ امْرَأَةٌ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ فَسَأَلَهُ عَنْهَا، فَقَالَ: مَنْ هَذِهِ؟ قَالَ: أُخْتِـي، فَأَتَى سَارَةَ قَالَ: يَا سَارَةُ: لَيْسَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ مُؤْمِنٌ غَيْرِي وَغَـيْرُكِ، وَإِنَّ هَـذَا سَـأَلَنِي فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّكِ أُخْتِي، فَلاَ تُكَذِّبِينِي، فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا فَلَمَّا دَخَلَتْ عَلَيْهِ ذَهَبَ يَتَنَاوَلُهَا بِيَدِهِ فَأُخِذَ، فَقَالَ: ادْعِي اللهَّ لِي وَلاَ أَضُرُّكِ، فَدَعَتِ اللهَّ فَأُطْلِقَ، ثُمَّ تَنَاوَلَهَا الثَّانِيَةَ فَأُخِـذَ مِثْلَهَـا أَوْ أَشَـدَّ، فَقَالَ: ادْعِي اللهَّ لِي وَلاَ أَضُرُّكِ، فَدَعَتْ فَأُطْلِقَ، فَدَعَا بَعْضَ حَجَبَتِهِ، فَقَالَ: إِنَّكُـمْ لَمْ تَـأْتُونِي بِإِنْسَانٍ، إِنَّمَا أَتَيْتُمُونِي بِشَيْطَانٍ، فَأَخْدَمَهَا هَاجَرَ، فَأَتَتْهُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي، فَأَوْمَأَ بِيَدِهِ: مَهْيَم، قَالَتْ: رَدَّ الله كَيْدَ الكَافِرِ، أَوِ الفَاجِرِ، فِي نَحْرِهِ، وَأَخْدَمَ هَاجَرَ»[1].

توضيح القصة

يقول النبي – صلى الله عليه وسلم – في هذا الحديث: (لم يكذب إبراهيم عليه الصلاة والسلام إلا ثلاث كذبات ...).

قـال في الحـديث عـن الكذبـة الأولى حـين دُعِـي إلى آلهـتهم: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصافات:89] وذلك أنه لم تكن به عِلَّة ولا مرض؛ ولكنه كان سقيم الـنفس، كاسـف البال، حزينًا على شرك قومه؛ لأنهم لم يُلَبُّوا نداءه، ولم يطيعوه في دعوته.

فإذًا عندما قال: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الـصافات:89] لم يكـن في الحقيقـة كـذابًا، وإنـما

(1) [صحيح] أخرجه: البخاري [رقم/ 3357]، ومسلم [رقم/ 2371]، وغيرهما من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ.

استخدم التورية، ويقصد بالمرض (المرض النفسي) أنه مريض النفس، اعتلَّت نفسه من إصرارهم على الشرك والكفر، قال: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصافات:89] لما دعوه للخروج معهم إلى عيدهم، وكانوا يخرجون إلى عيد خارج البلد، قال لهم: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصافات:89]، وقبل أن يقول لهم: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصافات:89] نظر نظرة في النجوم ﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصافات:89].

وكان هؤلاء القوم كفارًا عبادَ الكواكب والنجوم، ويعتقدون أن النجوم لها تأثير في الحوادث الأرضية، وفي مرض الناس، والإنجاب، والرزق ونحو ذلك، فأراد إبراهيم الخليل أن يقيم عليهم الحجة، ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾ [الصافات:88 - 89] عاملهم من حيث كانوا؛ لئلا يُنكِروا عليه ﴿فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الصافات:90] تركوه وذهبوا إلى عيدهم خارج البلد.

ولَمَّا خلت البلد وصار معبد الأصنام فارغًا دخل إبراهيم على الأصنام، فكسَّرها، ثم وضع القدوم (الفأس) في يد كبيرهم لعلهم يعتقدون أنه هو الذي غار غيْرةً لنفسه، وأنَفَ أن تُعْبَد معه الأصنام الصغار، فقام عليها وكسرها.

فلما رجعوا من عيدهم وجدوا أصنامهم مكسَّرة، ﴿قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٢﴾﴾ [الأنبياء:62] لأنه لم يتخلف عن حضور العيد غيره، ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ [الأنبياء:63] وأشار بإصبعه ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ [الأنبياء:63]

أي: غضب من أن يعبد معه الصغار وهو أكبر منها فكسرها.

ماذا أراد إبراهيم من هذا الكلام؟ أن يقيم عليهم الحجة، ولذلك قال لهم: ﴿فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ﴾ [الأنبياء:63] حتى يخبروا من فعل ذلك بهم، اسألوا الأصنام المكسرة، حتى يخبروكم من كسرها، ﴿إِن كَانُوا يَنطِقُونَ﴾ [الأنبياء:63].

فلما قال لهم ذلك رجعوا إلى أنفسهم، وعرفوا أنها لا تنطق، ﴿نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ﴾ [الأنبياء:65] رُدُّوا إلى الكفر بعد أن أقروا على أنفسهم بالظلم.

لما قال لهم: ﴿فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ﴾ [الأنبياء:63] رجعوا إلى أنفسهم، قالوا: ﴿إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ [الأنبياء:64] كيف تعبدون أشياء لا تسمع ولا تبصر.

لكن لما كان القوم على فسادٍ في الطريقة أجيالًا استمرءوا الكفر، وأصرُّوا على الباطل، وعاندوا وتعصبوا لمبدئهم، ورفضوا الحق ورجعوا مرة أخرى، ﴿ثُمَّ نُكِسُوا۟﴾ [الأنبياء:65] هذا معنى: ﴿ثُمَّ نُكِسُوا۟﴾ [الأنبياء:65] رجعوا إلى الكفر مرةً أخرى بعد أن لاح لهم الحق، وأقنعهم إبراهيم، وتبينت لهم القضية بالحجة.

لكنهم رجعوا، نكسوا على أنفسهم، مثل المريض إذا صارت له صحوة ثم انتكس مرة أخرى ورجع إلى المرض، ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَـٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ﴾ [الأنبياء:65] كيف نسألهم وهم لا ينطقون؟ فانتهز إبراهيم الخليل الفرصة، وقال لهم: ﴿أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ۝٦٦ أُفٍّ لَّكُمْ﴾ [الأنبياء:66 - 67] تبًّا لكم وهلاكًا لكم، ﴿وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء:67].

وهذه قصة الكذبتين الأوليين: ﴿إِنِّى سَقِيمٌ﴾ [الصافات:89]، و﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَـٰذَا﴾ [الأنبياء:63].

وقيل: إنه استخدم التورية أيضًا، قال: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ﴾ [الأنبياء:63] وأشار إلى إصبعه.

وعلى أية حالٍ كانت من إبراهيم الخليل عليه السلام طريقة لإقناع قومه ومحاجتهم.

نعود إلى قصتنا:- ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَـٰذَا﴾ [الأنبياء:63].

- ﴿إِنِّى سَقِيمٌ﴾ [الصافات:89].

- وكذلك عندما قال عن زوجته: إنها أخته.

قال النبي - عليه الصلاة والسلام - عن هذه الثلاث الكذبات: « ثنتين منهن في ذات الله ».

ما معنى في ذات الله؟ مع أن قول إبراهيم عن زوجته: هذه أختي، أيضًا فيها معنى من جهة الدفاع عن عرض زوجته وتخليص زوجته في سبيل الله أيضًا؛ لكن خصَّ هاتين بقوله: (**في ذات الله**) مع أن الثالثة في ذات الله أيضًا؛ لكن الثنتين الأوليتين ما تضمنتا حظًّا لنفسه، بخلاف الثالثة، فإن فيها حظًّا له وهي: نجاته ونجاة زوجته.

الثالثة التي هي في ذات الله؛ لكن فيها فائدة له أو حظًّا له، وسعيه لتخليص زوجته، وهو مقصد شرعي مباح لا غبار عليه على الإطلاق؛ لكن امتدح الثنتين الأولين؛ لأنهما لله محضتين ما فيهما حظ لنفس إبراهيم وشخصه أبدًا.

قال: « **بينما هو ذات يومٍ و سارة قدم أرض جبارٍ ومعه سارة** ».

قيل: إنه ملك مصر في ذلك الوقت هذا الجبار الكافر الطاغية، وأن إبراهيم لَّما خرج من أرض العراق بعدما أحرق الله النمرود وقومه اتجه إلى بلاد الشام وبلاد مصر، فلما دخل بلاد مصر وكان عليها هذا الرجل الجبار قيل له: إن هنا رجلٌ - وهو إبراهيم - ومعه امرأة، دخلوا مملكتك، المرأة جميلة جدًّا في غاية الجمال، لا تصلح إلا لك.

وإبراهيم تزوجها لَّما هاجر من بلاد قومه إلى حَرَّان، قيل: إنه تزوجها في ذلك الوقت، ولما دخل بها مصر وكان على مصر ذلك الملك الطاغية بعض أقرباء الملك، كما ورد في الحديث رأى إبراهيم ورأى معه سارة، وكانت قد أُوتِيَتْ من الحُسْن شيئًا عظيمًا، وقال له: إني رأيتها تطحن، وإنها في غاية الجمال، فالملك كان لا يدع شيئًا مثل هذا يفوته من ظلْمه وعَسْفه وبغيه.

فأرسل إلى إبراهيم وإلى سارة وجيء بها، وجيء معه، فسأله عنها، فقال: من هذه المرأة التي معك؟

قال: أختي. ظاهر الحديث أنه أتي بإبراهيم أولًا وسأله من هذه؟ قال: هذه أختي، رجع إبراهيم إلى زوجته، قال: يا سارة ! ليس على وجه الأرض مسلم غيري وغيركِ، ثم طلب منها، إذا سألها الملك عن قرابتها منه مَن تكون بالنسبة له أن تقول له: إنها أخته؛ حتى لا يتناقض كلامه مع كلامها؛ ولئلا يظهر بمظهر الكاذب، فقال: فصدقيه إذا سألك

عني، فقولي: هذا أخي؛ لأنني قلت له: إنك أختي، يقصد إبراهيم أختي في الإسلام.

فلعل إبراهيم أحس مسبقًا أن الملك سيطلبها، فأوصاها بها أوصاها به، ولما وقع ما كان يظنه أعاد عليها الوصية لما استدعاه الملك، وقال: من هذه المرأة التي معك؟ قال: أختي، رجع إليها، وقال: إذا سألك فاصْدقيني إذا سألك فقولي له: أنك أختي، ولا تكذبيني.

ما هو السبب؟ لماذا لم يقل: إنها زوجتي؟ ولماذا لم يخبر بالحقيقة؟

قيل: إن الملك إذا عرف أنها زوجته لا يمكن أن يصل إليها إلا بالتخلص من زوجها، فيَقْتُل إبراهيم للوصول إلى المرأة؛ لكن لو عرف أنها أخته ربما وصل إليها بطريقة أخرى كالزواج أو غيره، وإن كان رجلًا رَكَّابًا للحرام، كما يتبين من القصة؛ لكنه كان ظالمًا يريد اغتصابها، فلعله كان إذا عرف أن المرأة متزوجة قتل الزوج أولًا، فأراد إبراهيم أن يدفع أعظم الضررين بارتكاب أخفهما، بين أن يكذب أو يخبر بالحقيقة، ويُقْتل، فارتكب أدنى المفسدتين، وأخبر بتلك الكلمة، وقال لها: (**ليس على وجه الأرض مؤمنٌ غيري وغيرك**).

لو قال قائل: ولوط عليه السلام؟! فيمكن أن يقال: إن إبراهيم يقصد الأرض التي هو فيها الآن، دخلنا بلد مصر، لا يوجد مؤمن غيري وغيرك، أما الأرض الأخرى ففيها لوط، ﴿ **فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ** ﴾ [العنكبوت: 26] وقال إبراهيم: ﴿ **إِنِّى مُهَاجِرٌ** ﴾ [العنكبوت:26] وهاجر إبراهيم، ﴿ **إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ** ﴾ [العنكبوت:26].

لما أُخِذَت سارة من إبراهيم قام إبراهيم يصلي، ولما أدخلت سارة على الملك لم يتمالك أن بسط يده إليها من شدة جمالها، لأنه لم يستطع أن يقاوم نفسه فقبِضَت يده قبضة شديدة.

ولَمَّا شُلَّتْ يد هذا الملك وصُرِع قال: (**ادعي الله لي ولا أضرك**) وفي رواية مسلم: (**ادعي الله أن يطلق ففعلتْ**) قال أبو سلمة: قال أبو هريرة: قالت: (**اللهم إنْ يَمُتْ، يقال: هي التي قتلته**) إنْ يمت الآن من هذه الصرعة يقول قومه: هي التي قتلته، فربما قتلوها، فدعت الله له فأرسلها، لما تحرر الرجل ورجع إلى حاله الأولى هل توقف؟ أبدًا.

تناولها الثانية، ثم قام إليها فقامت تتوضأ وتصلي ودعت الله عز وجل فأُخذ مثلها أو أشد، أشد من القبضة الأولى.

وفي المرة الثالثة دعا الرجل الذي جاء له بـــ «سارة» وقال له: **إنك لم تأتني بإنسان، إنما أتيتني بشيطان، ما أرسلتم إلي إلا شيطانة أرجعوها،** ولعله لما صُرِع ظن أن الشيطان هو الذي تدخل، وكانوا قبل الإسلام في الجاهلية يعظمون أمر الجن جدًا، ويرون كل ما وقع من الخوارق من فعل الجن؛ لما رأى الملك نفسه مصروعًا مشلولًا قال: **هذا من فعل الجن، هذا شيطان، هذا ليس بإنسان.**

أطلق سراح سارة وقال: **أعيدوها إلى إبراهيم،** وزيادة على ذلك: **أعطاها خادمة** وهي هاجر وهبها لها لتخدمها، لأنه سمع أنها كانت تعجن العجين أو تخدم نفسها، قال: هذه لا يليق أن تخدم نفسها، فأعطاها خادمة وهي: هاجر .

فلما أطلق سراحها ومعها هاجر أتت سارة إلى إبراهيم وكان يصلي، فقال إبراهيم بعدما انصرف من صلاته: (**مَهْيَمْ - أي: ما الخبر؟ - فقالت سارة ملخصةً ما حصل: رد الله كيد الكافر وأخدم هاجر**) رد الله كيد الكافر في نحره، أَشَعَرْتَ أن الله كبت الكافر وأخدم وليدةً؟ وهي الجارية.

أبو هريرة ماذا قال عن هاجر في آخر القصة؟ قال: « **تلك أمكم يا بني ماء السماء**» يخاطب أبو هريرة العرب يقول لهم: « **تلك أمكم** » . هذه هاجر التي كانت خادمة وأُعْطِيَت خادمةً وجاريةً لـــ «سارة»، ثم وهبتها لزوجها إبراهيم.

قال: [**فتلك أمكم يا بني ماء السماء**] لماذا يطلق على العرب (بني ماء السماء)؟ لكثرة ملازمتهم للفلوات والصحاري؛ لأن فيها مواقع القَطْر وهو الماء النازل من السماء، يغشون البَرَاري لأجل رعي مواشيهم، ولذلك سُمُّوا ببني ماء السماء؛ لأن عيشهم على ماء السماء.

وقوله: [**تلك أمكم يا بني ماء السماء**] قيل: إن العرب كانوا من ولد إسماعيل، وهناك عرب قبلهم؛ لكن هؤلاء العرب المتأخرون كانوا من ولد إسماعيل. [1]

---

(1) نقلا عن « سلسلة القصص/ دروس صوتية» محمد صالح المنجد.

من ذكاء لقمان الحكيم

كَانَ لُقْمَان الْحَكِيم عبدا نُوبِيًّا أسود، وَكَانَ قد أعطَاهُ الله تَعَالَى الْحِكْمَة وَكَانَ مملوكًا لرجل من بني إِسْرَائِيل اشْتَرَاهُ بِثَلَاثِينَ مِثْقَالا و نصف مِثْقَال، وَكَانَ يعْمل لَهُ.

وَكَانَ مَوْلَاهُ يلْعَب بالنرد يُقامِر عَلَيْهِ، وَكَانَ على بَابه نهر يجْري، فلعب يَوْمًا بالنرد على أَن من غلب صَاحبه فِي القمار يشرب المَاء الَّذِي فِي النَّهر كُله! أَو يفتدي مِنْهُ، وَإِنْ هُوَ غلب صَاحبه فعل بِهِ مثل ذَلِك.

فلعب سيد لُقْمَان القمار يومًا فغلبه صاحبه المقامر معه، فقال له: اشْربْ مَا فِي النَّهر كله وَإِلَّا فافتد مِنْهُ!

فقَالَ فسلني الْفِدَاء.

قَالَ: عَيْنَيْك أفقؤهما أو جَمِيع مَا تملك!

فقَالَ: أمهلني يومي هَذَا . فأمسى كئيبًا حَزِينًا، فجَاءَهُ لُقْمَان وَقد حمل حزْمَة على ظَهره فَسلَّم على سَيّده ثمَّ وضع مَا مَعَه وَرجع إِلَى سَيّده، وَكَانَ سَيّده إِذا رَآهُ عَبث بِهِ وَكان يسمع مِنْهُ الْكَلِمَة الحكيمة فيعجب مِنْهُ.

فلَمَّا جلس إِلَيْهِ قَالَ لسَيِّده: مَا لي أَرَاك كئيبًا حَزِينًا؟ فأعرض عَنهُ. فقَالَ لَهُ الثَّانِيَة مثل ذَلِك فأعرض عَنهُ. ثمَّ قَالَ لَهُ الثَّالِثَة مثل ذَلِك فأعرض عَنهُ. فقَالَ لَهُ: أَخْبرنِي فَلَعَلَّ لَك عِنْدِي فرجا.

فَقص عَلَيْهِ الْقِصَّة فَقَالَ لَهُ لُقْمَان لَا تغتمَّ فَإِن لَك عِنْدِي فرَجًا، قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: إِذا أَتَاك الرجل فَقَالَ لَك اشرب مَا فِي النَّهر فَقل لَهُ: هل أشرب مَا بَين ضفتَي النَّهر أَو الْمَدّ الذي يدفعه النهر؟ فَإِنَّهُ سَيَقُولُ لَك اشرب مَا بَين الضفتين فقط، فَإِذا قَالَ لَك ذَلِك فَقل لَهُ: لا أستطيع ذلك إلا أن تحْبِسَ عني مَدَّ النهر أولا حَتَّى اشرب مَا بَين الضفتين! فَإِنَّهُ لَا يَسْتَطِيع أَن يحبس عَنْك الْمَدّ وَتكون قد خرجت مِمَّا ضمنت لَهُ!

فَعرف سَيّده أنه قد صدق في نصيحته، فطابت نَفسه، فَلَمّا أصبح جَاءَهُ الرجل فَقَالَ لَهُ: أين الوفاء بشرطك؟

فقَالَ لَهُ: نعم. هل أشرب مَا بَين الضفتين أو المُدّ الذي يدفعه النهر؟

فقَالَ: لَا بل مَا بَين الضفتين.

فقَالَ له: فاحبس عني المُدّ حينئذٍ!

قَالَ كَيفَ أَسْتَطِيع!؟

قَالَ: وما ذنبي أنا؟ فغلبه في الحجَّة، وأعتق الرجل لقمان لنصيحته وحِكْمته»[1].

■ ■ ■

(1) نقلا - ببعض التصرف والإيضاح - عن: «الأذكياء» لابن الجوزي [ص/ 18 - 19].

غَيِّرْ عَتَبَةَ بَابِـكَ

قال ابْنُ عَبَّاس - ﷺ - في سياق حديثه الطويـل في قـصة بنـاء البيـت العتيـق وقـصة إبـراهيم وهـاجر: إن إسـماعيل «لَمَّـا أَدْرَكَ زَوَّجُـوهُ امْـرَأَةً مِـنْهُمْ، وَمَاتَـتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ [يعني: هاجر] فَجَاءَ إِبْرَاهِيمُ بَعْدَمَا تَزَوَّجَ إِسْمَاعِيلُ يُطَـالِعُ تَرِكَتَـهُ، فَلَـمْ يَجِدْ إِسْمَاعِيلَ، فَسَأَلَ امْرَأَتَهُ عَنْهُ؟

فَقَالَتْ: خَرَجَ يَبْتَغِي لَنَا [أي: يطلب المعاش].

ثُمَّ سَأَلَهَا عَنْ عَيْشِهِمْ وَهَيْئَتِهِمْ؟

فَقَالَتْ: نَحْنُ بِشَرٍّ، نَحْنُ فِي ضِيقٍ وَشِدَّةٍ، فَشَكَتْ إِلَيْهِ.

قَالَ: فَإِذَا جَاءَ زَوْجُكِ فَاقْرَئِي عليه السلام، وَقُولِي لَهُ يُغَيِّرْ عَتَبَةَ بَابِهِ!

فَلَمَّا جَاءَ إِسْمَاعِيلُ كَأَنَّهُ آنَسَ شَيْئًا، فَقَالَ: هَلْ جَاءَكُمْ مِنْ أَحَدٍ؟

قَالَتْ: نَعَمْ، جَاءَنَا شَيْخٌ كَذَا وَكَذَا، فَسَأَلَنَا عَنْكَ فَأَخْبَرْتُهُ، وَسَـأَلَنِي كَيْـفَ عَيْـشُنَا، فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّا فِي جَهْدٍ وَشِدَّةٍ.

قَالَ: فَهَلْ أَوْصَاكِ بِشَيْءٍ؟

قَالَتْ: نَعَمْ، أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ السَّلاَمَ، وَيَقُولُ غَيِّرْ عَتَبَةَ بَابِكَ

قَالَ: ذَاكِ أَبِي، وَقَدْ أَمَرَنِي أَنْ أُفَارِقَكِ، الْحَقِي بِأَهْلِكِ.

فَطَلَّقَهَا، وَتَزَوَّجَ مِنْهُمْ أُخْرَى، فَلَبِثَ عَنْهُمْ إِبْرَاهِيمُ مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ أَتَاهُمْ بَعْـدُ فَلَـمْ يَجِدْهُ، فَدَخَلَ عَلَى امْرَأَتِهِ فَسَأَلَهَا عَنْهُ؟

فَقَالَتْ: خَرَجَ يَبْتَغِي لَنَا. [أي: يطلب المعاش].

قَالَ: كَيْفَ أَنْتُمْ؟ وَسَأَلَهَا عَنْ عَيْشِهِمْ وَهَيْئَتِهِمْ.

فَقَالَتْ: نَحْنُ بِخَيْرٍ وَسَعَةٍ، وَأَثْنَتْ عَلَى اللهِ.

فَقَالَ: مَا طَعَامُكُمْ؟

قَالَتِ اللَّحْمُ.

قَالَ: فَمَا شَرَابُكُمْ؟

قَالَتِ: المَاءُ.

قَالَ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي اللَّحْمِ وَالمَاءِ، قَالَ النَّبِيُّ - ﷺ -: «وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ يَوْمَئِذٍ حَبٌّ، وَلَوْ كَانَ لَهُمْ دَعَا لَهُمْ فِيهِ» .

قَالَ: فَهُمَا لاَ يَخْلُو عَلَيْهِمَا أَحَدٌ بِغَيْرِ مَكَّةَ إِلَّا لَمْ يُوَافِقَاهُ، قَالَ: فَإِذَا جَاءَ زَوْجُكِ فَاقْرَئِي عليه السلام، وَمُرِيهِ يُثْبِتُ عَتَبَةَ بَابِهِ.

فَلَمَّا جَاءَ إِسْمَاعِيلُ قَالَ: هَلْ أَتَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ؟

قَالَتْ: نَعَمْ، أَتَانَا شَيْخٌ حَسَنُ الهَيْئَةِ، وَأَثْنَتْ عَلَيْهِ، فَسَأَلَنِي عَنْكَ فَأَخْبَرْتُهُ، فَسَأَلَنِي كَيْفَ عَيْشُنَا فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّا بِخَيْرٍ، قَالَ: فَأَوْصَاكِ بِشَيْءٍ، قَالَتْ: نَعَمْ، هُوَ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلاَمَ، وَيَأْمُرُكَ أَنْ تُثْبِتَ عَتَبَةَ بَابِكَ، قَالَ: ذَاكِ أَبِي وَأَنْتِ العَتَبَةُ، أَمَرَنِي أَنْ أُمْسِكَكِ»[1].

الدروس المستفادة

نستفيد من هذا الحديث فائدتين:

الأولى: أن المرأة هي زينة البيت، وعتبته، - والعتبة كناية عن الباب - فهي التي تحفظ البيت، وتدبر المعاش، فإذا كانت المرأة خائنة، ومسرفة، أشقت الرجل غاية الشقاء.

الثانية: أنه لا ينبغي للمرأة أن تشكوَ من زوجها ولا تفضحه أمام أحد ولو كان أقرب الأقربين، ولا تشتكي أنها لا تأكل ما تريد، وأن مرتبه ودخله ضعيف، وأنه لا

(1) [صحيح] أخرجه: البخاري [رقم/ 3364]، وغيره من حديث: ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما.

يستطيع أن ينفق عليها، فليس هذا من وفاء المرأة، والرجل دائمًا يحب المرأة الوفية التي تستر عليه، ولا تكشف عيبه ولا عجزه، ويحفظ لها الجميل.

وأنا أعرف رجلًا غنيًا من أعيان الجيزة في مصر كان يبكي على امرأته لما ماتت بكاءً شديدًا، وأصبره وأقول له اصبر واحتسب، - لأنه كان يبكي بصوت عالٍ - فقال لي: ومن أين لي بمثل هذه المرأة؟

وبدأ يحكي طرفًا من حياته معها، فقال: تزوجتها وليس لي في الأرض شيء، كنت عامل بناء، أعمل مع مقاول، فلما رأى المقاول فيَّ الأمانة والجد، جعلني رئيس العمال، ثم زوجني ابنته هذه، قال: فتزوجتها فكانت نعم الزوجة، كنت فقيرًا وكنا نذهب كل خميس وجمعة، لزيارة والد المرأة، وكان بعد صلاة الجمعة يعمل مأدبة ويتوسع فيها، يقول: فكنت آكل، ولكن زوجتي لم تكن تأكل، فيقول لها والدها: كلي، فتقول: يا أبي! فلان هذا كل يوم يأتي لنا بمثل هذا، وهي لم تأكل من ذلك شيئًا، وإنما تظهر هذا التعفف، لكي لا تفضح زوجها ولا يظهر بأنه أقل من أبيها.

فالمرأة لا ينبغي أن تفضح زوجها وتُشَوِّه سمعته، وليس هذا من خلُق المرأة الوفِيَّة، المرأة عتبة الباب، وعتبة الدار هي محل اعتناء واهتمام، فإذا أغلق الباب بإحكام أمنا على ما في الدار، فكذلك إذا كانت المرأة أمينة أمن الرجل على ماله وعرضه.

ولذلك إبراهيم عليه السلام، عندما جاء وسأل زوجة ولده فتبرمت واشتكت الضيق والشدة.

إن المرأة غير الوفية لا تستحق الحياة مع هذا الرجل، والرجل يتخذ قرارًا حاسمًا، إذا كانت المرأة تشقيه ويئس من إصلاحها، بشرط أن يكون قام بحق القوامة عليها، كما هو حال إسماعيل عليه السلام، عندما استمع وصية أبيه وطلق زوجته.

وبعد أن طلَّق إسماعيل عليه السلام زوجته عملًا بوصية والده، تزوج امرأة أخرى من جرهم وعاش معهم، ومضت الأيام والأعوام وجاء إبراهيم عليه السلام يسأل عن ولده، فدخل بيت إسماعيل، فوجد امرأته فسلم وقال: أين إسماعيل؟ قالت: خرج يبتغي لنا.

فقال: كيف حالكم؟ فأثنت على الله عز وجل، وحمدته وقالت: بخير حال.

فقال: ما طعامكم؟ قالت: اللحم.

فقال: ما شرابكم؟ قالت: الماء.

فدعا إبراهيم عليه السلام لهم باللحم والماء، ولو كان في مكة حب وزرع آنذاك لدعا لهم إبراهيم بالبركة بالحب والزرع أيضًا، ولذلك تجد اللحم والماء والبركة في مكة، وتجد فيها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف، كما قال تبارك وتعالى: { يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ } [القصص:57]، كل الثمرة الموجودة في الدنيا تجبى إلى مكة تحقيقًا لدعاء إبراهيم عليه السلام.

فلما وجد إبراهيم عليه السلام المرأة تثني على الله تبارك وتعالى بما هو أهله، وتحمده تبارك وتعالى وتثني على زوجها، قال لها: أقرئيه السلام وقولي له: إن أباك يقول لك: ثبت عتبة دارك، فجاء إسماعيل، وكأنما آنس شيئًا فسأل: هل جاءكم من أحدٍ؟ فقالت: نعم.

جاء رجل.

فقال: ما صفته؟ قالت: كان رجلًا وضيئًا، ومِنْ صِفَته كذا وكذا.

فقال: بما أوصاك؟ قالت: أن أقرئك السلام، ويقول لك: ثَبِّتْ عتبة دارك، فقال: إن أبي يأمرني أن أمسكك [1].

■ ■ ■

(1) نقلا عن «جنة الرضا في التسليم لما قدر الله وقضى/ دروس صوتية» لأبي إسحاق الحويني. شفاه الله.

ائْتُونِي بِالسِّكِّينِ أَشُقّهُ بَيْنَهُمَا

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «كَانَتِ امْرَأَتَانِ مَعَهُمَا ابْنَاهُمَا، جَاءَ الذِّئْبُ فَذَهَبَ بِابْنِ إِحْدَاهُمَا، فَقَالَتْ صَاحِبَتُهَا: إِنَّمَا ذَهَبَ بِابْنِكِ، وَقَالَتِ الأُخْرَى: إِنَّمَا ذَهَبَ بِابْنِكِ.

فَتَحَاكَمَتَا إِلَى دَاوُدَ، فَقَضَى بِهِ لِلْكُبْرَى، فَخَرَجَتَا عَلَى سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ فَأَخْبَرَتَاهُ، فَقَالَ: ائْتُونِي بِالسِّكِّينِ أَشُقّهُ بَيْنَهُمَا، فَقَالَتِ الصُّغْرَى: لاَ تَفْعَلْ يَرْحَمُكَ الله، هُوَ ابْنُهَا، فَقَضَى بِهِ لِلصُّغْرَى». (1)

الدروس المستفادة

قال الإمام النووي - رحمه الله -: «توصَّل سليمان بطريق من الحيلة والملاطفة إلى معرفة باطن القضية، فأوهمها أنه يريد قطْعه، ليعرف من يشق عليها قطعه، فتكون هي أمه، فلما هان على الكبرى قطعه عرف أنها ليست أمه، ولمَّا قالت الصغرى ما قالت عرف أنها أمه»

ولا شك أن في هذه القصة دليلًا على فِراسة سليمان عليه السلام وعبقريته في استخراج الحكم بالقرائن والاستدلال بالأمارات.

والأنبياء في النهاية بشر كانوا يحكمون فيما يُعْرَض عليهم من قضايا باجتهادهم الخاص وليس بوحي، ومن هنا جاء في الصحيحين عن أم سلمة - رضي الله عنها - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إليَّ ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، فأقضي له بنحو ما أسمع، فمن قضيت له بحق أخيه فإنما أقطع له قطعة من النار».

فالحاكم مثاب أصاب أو أخطأ، وعلى القاضي أن يجتهد ما استطاع، والفضل أولًا وآخرًا لله يؤتيه من يشاء(2).

---

(1) حديث صحيح: أخرجه البخاري [رقم/ 3427]، ومسلم [رقم/ 1720]، من حديث أبي هريرة به.

(2) نقلا عن «موسوعة الخطب والدروس» جمعها ورتبها الشيخ علي بن نايف الشحود.

من ذكاء الأنبياء

عن مُحَمَّد بن كَعْب الْقرظِيِّ قَالَ: «جَاءَ رجل إِلَى سُلَيْمَان النَّبِي - ﷺ - فَقَالَ يَا نَبِي الله إِن لي جيرانًا يسرقون أُوَزِّي [مفرد أُوَزَّة] فَنَادَى الصَّلَاة جَامِعَة ثمَّ خطبهم فَقَالَ فِي خطبَته: أحدكم يسرق أُوَز جَاره ثمَّ يدْخل الْمَسْجِد والريش على رَأسه، فَمسح رجل بِرَأْسِهِ فَقَالَ سُلَيْمَان خذوه فَإِنَّهُ صَاحبكُم»[1].

التعقيب على القصة

ومن ذكاء الحيوانات في عصر الأنبياء:

ما رُوِيَ في الإسرائيليات: أنّ الهدهد جاء إلى سليمان، فقال: أريد أن تكون في ضيافتي!

فقال سليمان: أنا وحدي؟

فقال: لا! بل أنت والعسكر في يوم كذا، على جزيرة كذا؛ فلمّا كان ذلك اليوم، جاء سليمان و عسكره، فطار الهدهد، فصاد جرادةً، فخنقها، ورمَى بها في البحر، وقال: كلوا، فمَنْ لم ينلْ من اللّحم نال من المَرَقة؛ فضحك سليمان من ذلك وجنوده حولًا كاملًا[2].

■ ■ ■

(1) أخرجه: ابن الجوزي في كتابه «الأذكياء» [ص/ 17].

(2) أخرجه: ابن الجوزي في كتابه «الأذكياء» [ص/ 237].

اللَّهُمَّ لا تجعل ابْنِي مِثْلها

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – رضي الله عنه – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم –: «بَيْنَا امْرَأَةٌ تُرْضِعُ ابْنَهَا إِذْ مَرَّ بِهَا رَاكِبٌ وَهِيَ تُرْضِعُهُ، فَقَالَتِ اللَّهُمَّ لاَ تُمِتِ ابْنِي، حَتَّى يَكُونَ مِثْلَ هَذَا، فَقَالَ: اللَّهُمَّ لاَ تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ، ثُمَّ رَجَعَ فِي الثَّدْيِ.

وَمُرَّ بِامْرَأَةٍ تُجَرَّرُ وَيُلْعَبُ بِهَا، فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ لاَ تَجْعَلِ ابْنِي مِثْلَهَا، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا.

فَقَالَ: أَمَّا الرَّاكِبُ فَإِنَّهُ كَافِرٌ، وَأَمَّا الْمَرْأَةُ فَإِنَّهُمْ يَقُولُونَ لَهَا تَزْنِي، وَتَقُولُ حَسْبِيَ اللهُ يَقُولُونَ تَسْرِقُ، وَتَقُولُ حَسْبِيَ اللهُ»(1).

قلت: قد ورد بلفظ أتم وهو: «بَيْنَمَا امْرَأَةٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ تُرْضِعُ ابْنًا لَهَا، إِذْ مَرَّ بِهَا فَارِسٌ مُتَكَبِّرٌ، عَلَيْهِ شَارَةٌ حَسَنَةٌ، فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ: اللهُمَّ، لَا تُمِيتَنَّ ابْنِي هَذَا حَتَّى أَرَاهُ مِثْلَ هَذَا الْفَارِسِ عَلَى مِثْلِ هَذَا الْفَرَسِ.

قَالَ: فَتَرَكَ الصَّبِيُّ الثَّدْيَ، ثُمَّ قَالَ: اللهُمَّ، لَا تَجْعَلْنِي مِثْلَ هَذَا الْفَارِسِ .

قَالَ: ثُمَّ عَادَ إِلَى الثَّدْيِ يَرْضَعُ، ثُمَّ مَرُّوا بِجِيفَةٍ حَبَشِيَّةٍ أَوْ زِنْجِيَّةٍ تُجَرُّ، فَقَالَتْ: أُعِيذُ ابْنِي بِاللهِ أَنْ يَمُوتَ مِيتَةَ هَذِهِ الْحَبَشِيَّةِ أَوِ الزِّنْجِيَّةِ، فَتَرَكَ الثَّدْيَ، وَقَالَ: اللهُمَّ، أَمِتْنِي مِيتَةَ هَذِهِ الْحَبَشِيَّةِ أَوِ الزِّنْجِيَّةِ.

فَقَالَتْ أُمُّهُ: يَا بُنَيَّ، سَأَلْتُ رَبَّكَ أَنْ يَجْعَلَكَ مِثْلَ ذَلِكَ الْفَارِسِ، فَقُلْتَ: اللهُمَّ، لَا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ، وَسَأَلْتُ رَبَّكَ أَلَّا يُمِيتَكَ مِيتَةَ هَذِهِ الْحَبَشِيَّةِ أَوِ الزِّنْجِيَّةِ، فَسَأَلْتَ رَبَّكَ أَنْ يُمِيتَكَ مِيتَتَهَا .

(1) [صحيح] أخرجه: البخاري [رقم/ 3279]، وغيره من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ.

قَالَ: فَقَالَ الصَّبِيُّ: إِنَّكِ دَعَوْتِ رَبَّكِ أَنْ يَجْعَلَنِي مِثْلَ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّ الْحَبَشِيَّةَ أَوِ الزِّنْجِيَّةَ كَانَ أَهْلُهَا يَسُبُّونَهَا، وَيَضْرِبُونَهَا، وَيَظْلِمُونَهَا، فَتَقُولُ: حَسْبِيَ اللهُ حَسْبِيَ اللهُ». (1)

■ ■ ■

(1) أخرجه أحمد [15/ 69 - 70] طبعة الرسالة.

لَيْسَ لِلْعَبْدِ أَنْ يَخْتَبِرَ رَبَّه

حُكِيَ أن إبْلِيسَ (لَعَنَهُ الله) قال لِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عليه السلام: «أَلَسْت تَقُولُ إِنَّهُ لَنْ يُصِيبَكَ إِلَّا مَا كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْك ؟

قَالَ: نَعَمْ .

قَالَ: فَارْمِ نَفْسَك مِنْ ذُرْوَةِ هَذَا الْجَبَلِ! فَإِنَّهُ إِنْ يُقَدِّرْ لَك السَّلَامَةَ تَسْلَمْ!

فَقَالَ لَهُ: يَا مَلْعُونُ إِنَّ لله أَنْ يَخْتَبِرَ عِبَادَهُ وَلَيْس لِلْعَبْدِ أَنْ يَخْتَبِرَ رَبَّهُ»[1].

التعقيب على القصة:

قال الماوردي (تعليقًا على هذا الخبر): «وَمِثْلُ هَذَا الْجَوَابِ لَا يُسْتَغْرَبُ مِنْ أَنْبِيَاءِ اللهِ تَعَالَى الَّذِينَ أَمَدَّهُمْ بِوَحْيِهِ، وَأَيَّدَهُمْ بِنَصْرِهِ، وَإِنَّمَا يُسْتَغْرَبُ مِمَّنْ يَلْجَأُ إلَى خَاطِرِهِ وَيُعَوِّلُ عَلَى بَدِيهَتِهِ».

■ ■ ■

(1) انظر: «أدب الدنيا والدين» للماوردي [ص/ 23].

فَسَقَتْهُ فَغُفِرَ لَهَا بِـهِ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم -: «بَيْنَمَا كَلْبٌ يُطِيفُ بِرَكِيَّةٍ، كَادَ يَقْتُلُهُ العَطَشُ، إِذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَنَزَعَتْ مُوقَهَا [يعني: خُفَّهَا] فَسَقَتْهُ فَغُفِرَ لَهَا بِهِ»[1].

الدروس المستفادة من القصة:

قال ابن تيمية وهو بصدد الكلام على الإخلاص في العمل: «من ذلك حديث البغي التي سقت كلبًا فغُفر لها، فلا يقال في كل بَغِيٍّ سقتْ كلبًا غُفِر لها؛ لأن هذه البغي قد حصل لها من الصدق والإخلاص والرحمة بخلْق الله ما عادَلَ إثْمَ البَغْي وزاد عليه ما أوجب المغفرة.

والمغفرة تحصل بما يحصل في القلب من الإيمان الذي يعلم الله وحده مقداره وصفته وهذا يفتح باب العمل ويجتهد به العبد أن يأتيَ بهذه الأعمال وأمثالها من موجِبات الرحمة وعزائم المغفرة، ويكون مع ذلك بين الخوف والرجاء».[2]

وقال أيضًا: « فإن العمل إذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا لم يقبل حتى يكون خالصًا صوابًا والخالص: أن يكون لله، والصواب أن يكون على السُّنَّة .

فالعمل الصالح لا بد أن يُراد به وجه الله تعالى، فإن الله تعالى لا يقبل من العمل إلا ما أُرَيد به وجهه وحده ؛ كما في الصحيح عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «**يقول الله أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملًا أشرك فيه غيري فأنا بريء منه، وهو كله للذي أشرك** ».[3]

---

(1) [صحيح] أخرجه: البخاري [رقم/ 3280]، ومسلم [رقم/ 2245]، وغيرهما من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه .

(2) انظر: « مختصر الفتاوي المصرية» [ص/ 226] لابن تيمية.

(3) انظر: «رسالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» [ص/ 13]. لابن تيمية.

وقال أيضًا: « والذي أمر الله به هو الذي شرعه الله، وهو الموافق لسنة الله وسنة رسوله، فقد أخبر الله تعالى أنه من أخلص قصده لله وكان محسنًا في عمله فإنه مستحق للثواب سالمٍ من العقاب .

ولهذا كان أئمة السلف يجمعون هذيْن الأصلَيْن، كقول الفضيل بن عياض في قوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ (سورة الملك: من الآية 2) . قال: أخلصه وأصوبه، فقيل: يا أبا علي ! ما أخلصه وأصوبه ؟

فقال: إن العمل إذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يقبل، وإذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا لم يقبل حتى يكون خالصًا صوابًا . والخالص: أن يكون لله، والصواب: أن يكون على السُّنَّة». [1]

■ ■ ■

(1) انظر: «رسالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» [ص/ 64]. لابن تيمية.

أَنْكِحُوا الغُلَامَ الجَارِيَةَ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – رضي الله عنه – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – «اشْتَرَى رَجُلٌ مِنْ رَجُلٍ عَقَارًا لَهُ، فَوَجَدَ الرَّجُلُ الَّذِي اشْتَرَى العَقَارَ فِي عَقَارِهِ جَرَّةً فِيهَا ذَهَبٌ.

فَقَالَ لَهُ الَّذِي اشْتَرَى العَقَارَ: خُذْ ذَهَبَكَ مِنِّي، إِنَّمَا اشْتَرَيْتُ مِنْكَ الأَرْضَ، وَلَمْ أَبْتَعْ مِنْكَ الذَّهَبَ.

وَقَالَ الَّذِي لَهُ الأَرْضُ: إِنَّمَا بِعْتُكَ الأَرْضَ وَمَا فِيهَا، فَتَحَاكَمَا إِلَى رَجُلٍ، فَقَالَ: الَّذِي تَحَاكَمَا إِلَيْهِ: أَلَكُمَا وَلَدٌ؟

قَالَ أَحَدُهُمَا: لِي غُلَامٌ، وَقَالَ الآخَرُ: لِي جَارِيَةٌ.

قَالَ: أَنْكِحُوا الغُلَامَ الجَارِيَةَ وَأَنْفِقُوا عَلَى أَنْفُسِهِمَا مِنْهُ وَتَصَدَّقَا»[1].

توضيح القصة:

في هذا الحديث الجليل يخبرنا نبينا عن رجلين صالحيْن من الأمم السابقة اشترى أحدهما من الآخر أرضًا فوجد في هذه الأرض جَرَّة (إناء كبير من الخزف) مملوءة ذهبًا فلم يقع منهما التنافس للحصول على هذا الذهب والاستئثار به دون الآخر.

بل لم يقبل كل واحد منهما أن يأخذ من الذهب شيئًا ويترك لصاحبه الباقي خوفًا من أن يكون حرامًا، والمال الحرام يُذهب البركة ويجلب غضب الرب ويمنع إجابة الدعاء، ويؤدي إلى دخول النار، ويكون الحساب عليه يوم القيامة بالحسنات والسيئات حيث لا درهم ولا دينار.

فلصلاح هذيْن الرجلَيْن ذهبا يحتكمان إلى عالِمٍ من علمائهم، وكانت حجة البائع أنه باع الأرض بما فيها، فالذهب ليس له، وكانت حجة المشتري أنه اشترى

(1) [صحيح] أخرجه: البخاري [رقم/ 3285]، ومسلم [رقم/ 1721]، وغيرهما من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ.

الأرض ولم يشتر الذهب، ولو كان غيرهما من الناس لكانت هذه الحجج يستدل بها كل طرف على استحقاقه هو للمال دون صاحبه، ولكن الخوف من الله تعالى زهدهما في هذا المال المشتبه فيه.

فجاء الحكم الذي رضي به الطرفان وهو تزويج ابن أحدهما ببنت الآخر، والإنفاق من هذا المال على الأسرة الجديدة التي تقوي أخوة الإيمان بين هاتين الأسرتين الصالحتين، وكذلك التصدق من هذا المال.

هذه نظرة الصالحين إلى الدنيا وهذه هي حقيقة الدنيا في كتاب الله تعالى وفي سنة رسوله، والدنيا عبارة عن كل ما يشغل عن طاعة الله مما يكون قبل الموت.

فعلى هذا فإن الأموال والأولاد والمناصب إذا استعان بها صاحبها على طاعة الله فليست مذمومة، وإذا شغلت عن طاعة الله أو أدت إلى معصيته فهي مذمومة.[1]

من فوائد القصة :

1 - ... أداء الأمانة مطلوب لقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾ [سورة النساء آية: 58].

2 - ... القناعة كنز لا يفنَى تعود بالخير والبركة على صاحبها .

3 - ... الرزق مقسوم، لا بد أن يصل إليك في وقته ومقداره، قال رسول الله -ﷺ-: « **لو أن ابن آدم هرب من رزقه كما يهرب من الموت لأدركه رزقه كما يدركه الموت** » .

4 - ...على المسلم أن يقنع بالحلال، ويترك الحرام والطمع فيما ليس له، ويأخذ بالأسباب المشروعة للرزق، وأن العمل الصالح يكفل له السعادة في الدنيا والآخرة.

5 - ...الحَكَم العادل يُرْضِي المحتكمين .

6 - ...عدم الطمع فيما ليس للإنسان.[2]

---

(1) نقلا عن « موسوعة الخطب والدروس » جمعها ورتبها الشيخ علي بن نايف الشحود.

(2) نقلا عن « من بدائع القصص النبوي الصحيح » [ص/ 15 - 16] لمحمد بن جميل زينو.

عَجَزْتُمْ أَنْ تَكُونُوا مِثْلَ عَجُوزِ بَنِي إِسْرَائِيلَ؟

عَنْ أَبِي مُوسَى الأشعري - رضي الله عنه - قَالَ: «أَتَى النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - أَعْرَابِيًّا فَأَكْرَمَهُ، فَقَالَ لَهُ: «ائْتِنَا» ، فَأَتَاهُ، فَقَالَ رَسُولُ الله - صلى الله عليه وسلم -: «سَلْ حَاجَتَكَ» .

فَقَالَ: نَاقَةٌ نَرْكَبُهَا، وَأَعْنُزًا يَحْلُبُهَا أَهْلِي، فَقَالَ رَسُولُ الله - صلى الله عليه وسلم -: «عَجَزْتُمْ أَنْ تَكُونُوا مِثْلَ عَجُوزِ بَنِي إِسْرَائِيلَ؟»

قَالَ: إِنَّ مُوسَى لَمَّا سَارَ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ مِصْرَ ضَلُّوا الطَّرِيقَ، فَقَالَ: مَا هَذَا؟

فَقَالَ عُلَمَاؤُهُمْ: إِنَّ يُوسُفَ لَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ أَخَذَ عَلَيْنَا مَوْثِقًا مِنَ اللهِ أَنْ لَا نَخْرُجَ مِنْ مِصْرَ حَتَّى نَنْقُلَ عِظَامَهُ مَعَنَا، قَالَ: فَمَنْ يَعْلَمُ مَوْضِعَ قَبْرِهِ، قالوا: عَجُوزٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ.

فَبَعَثَ إِلَيْهَا فَأَتَتْهُ، فَقَالَ: دُلِّينِي عَلَى قَبْرِ يُوسُفَ، قَالَتْ: حَتَّى تُعْطِيَنِي حُكْمِي؟

قَالَ: مَا حُكْمُكِ؟

قَالَتْ: أَكُونُ مَعَكَ فِي الْجَنَّةِ، فَكَرِهَ أَنْ يُعْطِيَهَا ذَلِكَ، فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ: أَنْ أَعْطِهَا حُكْمَهَا، فَانْطَلَقَتْ بِهِمْ إِلَى بُحَيْرَةٍ: مَوْضِعِ مُسْتَنْقَعِ مَاءٍ، فَقَالَتْ: أَنْضِبُوا هَذَا الْمَاءَ [يعني: أخرجوه] فَأَنْضَبُوا، قَالَتِ: احْتَفِرُوا وَاسْتَخْرِجُوا عِظَامَ يُوسُفَ، فَلَمَّا أَقَلُّوهَا إِلَى الْأَرْضِ إِذَا الطَّرِيقُ مِثْلُ ضَوْءِ النَّهَارِ »(1)

من فوائد القصة:

1 ـ تواضع النبي - صلى الله عليه وسلم - .

2 ـ التحَلِّي بكرم الضيافة.

---

(1) حديث جيد: أخرجه أبو يعلى في مسنده [رقم/ 7254]، وعنه ابن حبان في صحيحه [رقم/ 723]، والحاكم في «المستدرك» [2/ 439]. وغيرهم من رواية أبي موسى به.

3 ـ ردُّ الجميل والمكافأة على الإحسان.

4 ـ انتهاز الداعية للفُرَص والمواقف.

5 ـ النُّصْح للآخرين.

6 ـ خطورة التفريط بالأوامر الشرعية.

7 ـ سؤال أهل العلم والرجوع إليهم عند الأمور المدلهِمَّات.

8 ـ الوفاء بالمواثيق والعهود.

9 ـ بُعْد أهل ذلك الزمان عن القُبُورية.

10 ـ استثمار أبواب الخير إذا فُتِحَتْ.

11 ـ أَخْذُ العلم ممن جاء به.

12 ـ الأنبياء لا يعلمون الغيب.

13 ـ معجزتان لنبي الله يوسف - عليه السلام - بعد موته.

14 ـ علو الهِمة في طلب الجنة.

15 ـ مشروعية الوصِيَّة.

16 ـ مشروعية نَقْل الميت للمصلحة.

17 ـ لا نشهد بالجنة والنار إلا لمن شهد له الله والرسول - صلى الله عليه وسلم - .

18 ـ العلم طريق إلى الجنة.

19 ـ حقارة الدنيا.

20 ـ من طلب الجنة بصدْق بلَّغه الله إياها.

21 ـ ثمار الطاعة وبركتها.

22 ـ الفرج بعد الشدة [1] .

[**فائدة**] قال الإمام الألباني: «كنت استشكلت قديما قوله في هذا الحديث «عظام يوسف» **لأنه يتعارض بظاهره مع الحديث الصحيح: «إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء»!**

حتى وقفت على حديث ابن عمر – رضي الله عنهما –: **أن النبي – ﷺ – لما بدن، قال له تميم الداري: ألا أتخذ لك منبرا يا رسول الله يجمع أو يحمل عظامك ؟ قال: «بلى، فاتخذ له منبرًا مرقاتيْن»** . أخرجه أبو داود [رقم/ 1081] بإسناد جيد على شرط مسلم .

فعلمت منه أنهم كانوا يطلقون « العظام »، و يريدون البدن كله، من باب إطلاق الجزء وإرادة الكل [2]، كقوله تعالى: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ﴾ [سورة الإسراء آية: 78]. أي: صلاة الفجر .

فزال الإشكال و الحمد لله، فكتبت هذا لبيانه» [3] .

■ ■ ■

(1) نقلا عن رسالة «الكنوز في قصة العجوز / قصة عجوز بني إسرائيل» لأبي مالك عدنان المقطري.

(2) ويسميه البلاغيون مجازا مرسلا علاقته الجزئية.

(3) انظر: «السلسلة الصحيحة» [1/ 312].

ارْجِعُوا فَقَدْ سُقِيتُمْ بِدَعْوَةِ نَمْلَةٍ !

عَنْ أَبِي الصِّدِّيقِ النَّاجِي: «أَنَّ سُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُدَ – عليهما السلام – خَرَجَ بِالنَّاسِ يَسْتَسْقِي ، فَمَرَّ بِنَمْلَةٍ مُسْتَلْقِيَةً عَلَى ظَهْرِهَا رَافِعَةً قَوَائِمَهَا إِلَى السَّمَاءِ، وَهِيَ تَقُولُ اللَّهُمَّ إِنِّي خَلْقٌ مِنْ خَلْقِكَ لَيْسَ بِنَا غِنًى عَنْ رِزْقِكَ ، فَإِمَّا أَنْ تَسْقِيَنَا وَإِمَّا أَنْ تُهْلِكَنَا .

فَقَالَ سُلَيْمَانُ لِلنَّاسِ: ارْجِعُوا فَقَدْ سُقِيتُمْ بِدَعْوَةِ غَيْرِكُمْ»[1].

■ ■ ■

(1) أخرجه: أحمد في «الزهد» [رقم/ 449]، وابن أبي شيبة [رقم/ 34273]، وأبو نعيم في «الحلية» [3/ 101].

قصة الملك الذي ترك ملكه ليستقي للناس الماء!

عن عبد الواحد بن زيد قال: «كان في بني إسرائيل عابد لم يكن له إلا جُبَّة صوف وقربة يستقي فيها الماء للناس.

فلما حضره الموت قال لأصحابه إني لم أدَع من الدنيا شيئا إلا جُبَّتي، وهذه القربة ما أطيق حملها يوم القيامة فإذا مِتُّ فادفعوها إلى فلان الملك ليحملها مع ما تحمَّل من دنياه.

فلما مات العابد أخبروا الملك بما قاله.

فقال الملك: هذا العابد عجز عن حمل جُبَّة وقِرْبة وأنا تحمَّلت من الدنيا ما تحمَّلْتُه!

فأخذ الجُبَّة فلبسها وأخذ القِرْبة وخرج من مُلْكِه، فجعل يسْتقي للناس الماء»[1].

■ ■ ■

(1) انظر: «التوابين» لموفق الدين ابن قدامة [ص/ 37 – 40].



أهم المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- صحيح البخاري.
- صحيح مسلم.
- المسند. للإمام أحمد.
- سنن أبي داود.
- الجامع. للترمذي.
- سنن ابن ماجه.
- التِّبْر المسبوك في نصيحة الملوك . أبو حامد الغزالي.
- نزهة المجالس ومنتخب النفائس. للصفوري.
- حياة الحيوان الكبرى. للدميري.
- نهاية الأرب في فنون الأدب. للنويري.
- منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة. للخوئي.
- بحار الأنوار. للمجلسي.
- النجوم الزاهرة. لابن تغري بردي.
- حوادث الزمان. لشمس الدين الجزري.
- أحْلَى حِكَايَاتِ كَهْفِ الْغَرَائِبِ ومَغَارَةِ العَجَائِبِ. لأبي المظفر السناري.
- قوت المغتذي على جامع الترمذي. للسيوطي.
- فتح الباري. لابن حجر.

- التاريخ الكبير. للبخاري.
- دلائل النبوة. للبيهقي.
- معرفة الصحابة. لأبو نعيم.
- الزهد. للأمام أحمد.
- مسند أبي يعلى.
- حلية الأولياء. لأبي نعيم.
- المستدرك. للحاكم.
- الحبائك في أخبار الملائك. للسيوطي.
- العظمة. لأبي الشيخ الأصفهاني.
- الزهر الفائح في ذكر من تنزه عن الذنوب والقبائح. لابن الجزري.
- المصنف. لابن أبي شيبة.
- شرح رياض الصالحين. لابن عثيمين.
- فيض القدير. للمناوي.
- سكب الأدب على لامية العرب. لسليمان بك الشاوي.
- نشوار المحاضرة. للتنوخي.
- الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي. لأبي الفرج المعافي النهرواني.
- قصص الماضين من حديث سيد المرسلين. لمشهور حسن سلمان.
- صحيح الترغيب والترهيب. للألباني.
- سلسلة القصص/ دروس صوتية لمحمد صالح المنجد.
- العبودية أعلى مقامات الحب/ دروس صوتية للمحدث أبي إسحاق الحويني.
- جنة الرضا في التسليم لما قدّر الله وقضى / دروس صوتية. للمحدث أبي إسحاق الحويني.

- النهاية في غريب الحديث والأثر. لابن الأثير.
- المعجم الوسيط . مجموعة علماء.
- شعب الإيمان. للبيهقي.
- البداية والنهاية. لابن كثير.
- دليل الفالحين في شرح رياض الصالحين. ابن علان.
- من بدائع القصص النبوي الصحيح. لمحمد بن جميل زينو.
- التبصرة. لابن الجوزي.
- إتحاف الخيرة. للبوصيري.
- إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس. للإتليدي.
- معالم في الطريق. للأستاذ الأديب سيد قطب.
- الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر. لمحمد الإبراهيم.
- الإخلاص. لحسين العوايشة.
- المعجم الأوسط. للطبراني.
- فنون العجائب في أخبار الماضيين من بني إسرائيل. للنقاش.
- من عاش بعد الموت. لابن أبي الدنيا.
- المنتخب من مسند عبد بن حميد.
- تسلية أهل المصائب. للمنبجي.
- حكايات ألف ليلة وليلة.
- إحياء علوم الدين. للغزالي.
- السلسلة الصحيحة. للألباني.
- الغيلانيات. لأبي بكر الشافعي.

- تاريخ دمشق، ابن عساكر.
- المستطرف في كل فن مستظرف. للأبشيهي.
- المعجم الكبير. للطبراني.
- الدخيل في التفسير. رسالة ماجستير. للشيخ محمد حسن عبد الغفار.
- الاستعداد للموت وسؤال القبر. للمليباري.
- التوابين. لموفق الدين ابن قدامة.
- تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين. لأبي الليث السمرقندي.
- التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة . للقرطبي.
- مفيد العلوم ومبيد الهموم. (المنسوب) لأبي بكر الخوارزمي.
- ذم الهوى. لابن الجوزي.
- مصارع العشاق. للسراج القارئ.
- صحيح ابن حبان.
- صحيح الجامع. للألباني.
- البر والصلة. لابن الجوزي.
- صحيح الترغيب والترهيب. للألباني.
- سلسلة جامع تراث العلامة الألباني في العقيدة .
- روضة العقلاء ونزهة الفضلاء. ابن حبان.
- الأذكياء. لابن الجوزي.
- المستغيثين بالله تعالى عند المهمّات والحاجات. لابن بشكوال.
- معجم الرائد. جبران مسعود.
- جنة الرضا في التسليم لما قدر الله وقضى/ دروس صوتية لأبي إسحاق الحويني.

- موسوعة الخطب والدروس. جمعها ورتبها الشيخ علي بن نايف الشحود.
- أدب الدنيا والدين. للماوردي.
- مختصر الفتاوى المصرية. لابن تيمية.
- رسالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. لابن تيمية.
- موسوعة البحوث والمقالات العلمية. جَمْع وإعداد: علي بن نايف الشحود.
- الكنوز في قصة العجوز / قصة عجوز بني إسرائيل. لأبي مالك عدنان المقطري.



محتويات الكتاب